

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
الجامعة المستنصرية
كلية التربية – قسم التاريخ



هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري

رسالة تقدمت بها الطالبة

زهراء يوسف إسماعيل

الى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية وهي جزء من متطلبات
نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

أنوار جاسم حسن العنبكي

١٤٤٠ هـ   ٢٠١٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الحجرات، آية/ ١٣

إقرار المشرف

أشهد أنَّ اعداد هذه الرسالة الموسومة بـــ(**هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**) التي قدمتها طالبة الماجستير (**زهراء يوسف إسماعيل**) قد جرى بإشرافي في الجامعة المستنصرية/ كلية التربية/ قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي.

التوقيع

المشرف: أ.م.د. أنوار جاسم حسن العنبكي

التاريخ: / /٢٠١٨

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع

أ.م.د. جبار درويش الشمري

رئيس قسم التاريخ

/ /٢٠١٨

إقرار الخبير اللغوي

أشهد أنَّ إعداد هذه الرسالة الموسـومة بـ **(هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري)** التي قدمتها طالبة الماجستير **(زهراء يوسف إسماعيل)**، قد جرى بإشرافي في الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، وقد وجدتها صالحة من الناحية اللغوية.

التوقيع:

الاسم:

إقرار الخبير العلمي

أشهد أنَّ هذه الرسالة الموسومة بـ(**هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**) التي قدمتها طالبة الماجستير (**زهراء يوسف إسماعيل**)، في الجامعة المستنصرية / كلية التربية / قسم التاريخ، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ الاسلامي، قد وجدتها صالحة من الناحية العلمية.

التوقيع:

الأسم:

قرار لجنة المناقشة

نحن رئيس وأعضاء لجنة المناقشة نشهد أننا قد اطلعنا على هذه الرسالة الموسومة بـ(**هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي وأثرها الحضاري من القرن الخامس الهجري حتى القرن العاشر الهجري**) التي قدمتها طالبة الماجستير (**زهراء يوسف إسماعيل**)، وفيما له علاقة بها، ونرى أنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي بتقدير (   ).

التوقيع	التوقيع
الاسم: أ.د. كريم عاتي لعيبي	الاسم: أ.د. مثنى فيلفل سلمان
رئيس اللجنة	عضواً

التوقيع	التوقيع
الاسم: أ.م. سحر عبد الله محمد	الاسم: أ.م.د. أنوار جاسم حسن
عضواً	عضواً ومشرفاً

صادق مجلس كلية التربية على قرار لجنة المناقشة

التوقيع

أ.د. صباح عبود عاتي

عميد كلية التربية

/   /٢٠١٨

الإهداء

إلى من سبقت رحمته غضبه إلى من يعطي الكثير بالقليل اله الموحدين من الأولين والاخرين رب العالمين . . .

وإلى من بعث رحمة للأنام رسول الحب والوئام والإنسانية والسلام سيدنا محمد (صلى الله عليه وأله وسلم) . . .

وإلى من أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا أئمة المؤمنين وشفعائنا يوم الدين حباً وولاءً . . .

وإلى سفينة النجاة في موج الحياة والدي براً وطاعةً ووفاءً . . .

وإلى نبع الحنان والدفء والأمان مفتاح الجنان والدتي . . .

وإلى أريج الزهور وأطيب العطور إلى من لا تكفي لمدحهم السطور أخوتي وأخواتي . . .

وإلى الحاضر الغائب نور عيني أخي محمد رحمه الله . . .

وإلى ساحل الخلقِ والنقاء ومرفأ الكرم والعطاء السيد ناصر الأعرجي . . .

أُهدي جهدي هذا . . .

الباحثة

الشكر والتقدير

الحمد لله الأول قبل الإنشاء والأحياء والآخر بعد فناء الأشياء العليم الذي لا ينسى من ذكره ولا ينقص من شكره.

والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

عرفاناً بالجميل ووفاءً لكل من قدم وأعطى كثيراً كان أو قليل وأيماناً مني بقول من لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق أتقدم بأطيب كلمات الثناء والشكر والتقدير وأخص بالذكر صاحبة الفضل الكبير الأستاذة المساعدة الدكتورة ((أنوار العنبكي)) لقبولها الاشراف على رسالتي بعد أن منحتني من جهدها ووقتها الكثير فلها كل الشكر والامتنان.

وكذلك كل الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور ((كريم عاتي الخزاعي)) الذي أقترح عليّ موضوع الرسالة كما أتقدم بوافر شكري وتقديري لرئاسة قسم التاريخ ولجميع أساتذتي فيه وبالأخص أذكر ((الأستاذ الدكتور رضا هادي عباس)) و((أ.د.حسين الباوي)) و((أ.م.د.رحيم خلف)) و((أ.م.د. عكرمة الساعدي)) و((أ.د.سامي حمود)) و((أ.د. مازن الأعرجي)) و((أ.د.هيفاء عاصم)) و((أ.م.د.سهاد خزعل)) و((أ.م.د. حكمة لفته)) و((أ.م.د.وفاء محسن رحمها الله)) فلهم مني كل الود والأحترام.

وأتقدم بشكري إلى ((أ.د. زمان عبيد وناس من جامعة كربلاء)) و((د.صلاح الطائي من الموصل)) على أمدادي بالمصادر فلهم مني جزيل الشكر والتقدير.

والشكر موصول لجميع الزملاء والزميلات، كما أوجه شكري الى صديقي ((هاني علي علال)) الذي كان لي عوناً طوال مسيرتي الدراسية.

وكذلك أوجه شكري وامتناني لجميع العاملين بمكتبات الجامعة المستنصرية.

وأيضاً أتقدم بوافر شكري وتقديري الى مكتبة علي الولاء الذي كان لي عوناً في دراستي وطباعة رسالتي وكذلك العاملين فيها.

وأخيراً أتقدم بالشكر والامتنان لكل من مد لي العون وساعدني في أعداد هذه الرسالة وأخص بالذكر إخواننا في البلاد الأخرى ومنهم ((أ.أحمد هبهاب من سوريا)) و((أ. بوعلام شاري و أ. جمال الدين و أ.مولاي محمد من الجزائر)) و((أ.محمد أحمد من موريتانيا)) و((د.بطل شعبان و د.أيهاب شعبان و د.محمد عيد وأ.د.سحر عبد العزيز سالم من مصر)) و((أ.محمد القذافي من ليبيا)) و((أ.الحسن الصالحي الحسني و أ.خلد البربوشي من السعودية)) و ((د.عمر ميرغني الحسيني من السودان)) و ((د.محمد بمبا من السنغال)).

فجزاهم الله خير الجزاء

الباحثة

قائمة رموز الرسالة

الرمز	المعنى
ت	توفي
ج	الجزء
ط	الطبعة
د.ت	دون تاريخ
د.ن	دون ناشر
م	الميلادية
مج	المجلد
هـ	الهجرية
تح	تحقيق
تر	ترجمة

ثبت المحتويات



المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على سيد الخلق اجمعين وآل بيته الطاهرين المنتجبين.

حظيت بلاد السودان الغربي باهتمام العالم الاسلامي منذ وقت مبكر، وذلك لما تحويه هذهِ البلاد من عناصر جذب متعددة. وترجع علاقة شعوب السودان الغربي بالإسلام إلى القرون الهجرية الأولى، حيث وفدت على هذهِ البلاد العديد من الهجرات سواء كانت فردية أم جماعية.

إن المتتبع للهجرات العربية والبربرية إلى هذا الاقليم يرى بوضوح أنها كانت احدى الوسائل الفاعلة والمؤثرة في نشر الاسلام والثقافة العربية الإسلامية في كثير من إجزاء القارة الافريقية ولاسيما في السودان الغربي.

فضلاً عن ذلك كان للعامل البشري مكانة مؤثرة في تاريخ السودان الغربي وفي تكوين نسيجه الاجتماعي وبلورة بنائه السياسي وتطور ثقافته بصورة عامة والانتقال بشعوبه الى مراحل حضارية اكثر ازدهاراً وتقدماً.

وعن سبب الاهتمام بالبحث في هذا الموضوع لكونه يكشف الغموض عن هجرة القبائل العربية والبربرية الى بلاد السودان الغربي وتأثيرها الحضاري، فضلاً عن ان هذا الموضوع يتعلق بضرورة التوجه الى دراسة التاريخ الاسلامي لأفريقيا بصفة عامة والسودان الغربي بصفة خاصة، حيث ان الكثير من المعلومات التي تخص الموضوع مازالت متفرقة في ثنايا كثير من المصادر العربية المخطوطة والمطبوعة، ولعل هذه الدراسة تساهم ولو بشكل يسير في التعريف بمكانته وأهميته في هذه المصادر ومدى اسهامها في صياغة تاريخه بأقلام ومساهمة عربية اسلامية.

ولم يكن تحقيق هذه المهمة بشكل يسير، حيث واجهت الدراسة الكثير من الصعوبات ومنها عدم توفر المعلومات وقلتها في المصادر الاصلية، إذ أنه من الصعب التتبع الدقيق لجميع الهجرات التي وفدت إلى السودان الغربي وندرة الاشارات لهذه الهجرات باستثناء بعض الدراسات السابقة مثل مؤلفات بول مارتي (كتاب كنتة الشرقيون وكتاب البرابيش "بنو حسان") وكذلك كتاب أمطير سعد غيث (التأثير العربي الاسلامي على بلاد السودان الغربي) وكذلك أطروحة فوزية يونس

فتاح (التأثيرات الحضارية العربية الاسلامية على بلاد السودان الغربي) واقتضت الدراسة تقسيمها الى عدة فصول تسبقها مقدمة وتمهيد بعنوان (التعريف الجغرافي والبشري لبلاد السودان الغربي) وهي:

الفصل الاول: جاء بعنوان (انتشار الاسلام في بلاد السودان الغربي) ويتكون من مبحثين: المبحث الأول: (طرق انتشار الاسلام في بلاد السودان الغربي) والمبحث الثاني: (أهم الممالك في بلاد السودان الغربي).

وأما الفصل الثاني: قد جاء بعنوان (هجرة القبائل العربية والبربرية الى بلاد السودان الغربي) ويتكون من أربعة مباحث وهي: المبحث الأول (دوافع الهجرة) والمبحث الثاني (القبائل العربية المهاجرة الى بلاد السودان الغربي) والمبحث الثالث (القبائل البربرية المهاجرة الى بلاد السودان الغربي) والمبحث الرابع (الهجرات الفردية التي تشمل الهجرات الشخصية والهجرات العائلية).

وأما الفصل الثالث: قد جاء بعنوان (الاثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهجرة القبائل العربية والبربرية الى بلاد السودان الغربي) ويتكون من ثلاثة مباحث المبحث الاول (الاثر السياسي) والمبحث الثاني (الاثر الاقتصادي) والمبحث الثالث (الاثر الاجتماعي).

وأما الفصل الرابع: قد جاء بعنوان (الاثار العمرانية والعلمية والدينية لهجرة القبائل العربية والبربرية الى بلاد السودان الغربي) ويتكون من ثلاثة مباحث المبحث الأول (الاثر العمراني) والمبحث الثاني (الاثر العلمي) والمبحث الثالث (الاثر الديني).

عرض المصادر والمراجع:

أولاً:- كتب البلدانيين:-

لا تقل قيمة المواد التي وردت في المصادر الجغرافية عن مواد المصادر التاريخية؛ وذلك بسبب المعلومات الفريدة التي حوتها هذهِ المصادر وكذلك لا يمكن لأي باحث في مجال الدراسات الافريقية أن يستغني عنها ومن أهم هذهِ المصادر هي:- كتاب "البلدان" احمد بن اسحاق اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) حيث يعتبر

أول جغرافي عربي مدنا بمعلومات مباشرة عن الطرق الصحراوية، وأشار الى طريق الذهب من سجلماسة الى غانة.

وكتاب "صورة الارض" لأبو القاسم محمد بن حوقل (ت٣٦٧هـ) ويُعد من أشهر مؤلفي القرن الرابع الهجري الذين تناولوا مسالك الصحراء فترك لنا معلومات غنية في كتابه الذي جمع مادتهُ من أفريقيا أثناء تجواله واشتغالهُ بالتجارة فوقف على احوال المنطقة فجاءت معلوماتهُ دقيقة عن السودان الغربي.

أما كتاب عبدالله بن عبد العزيز البكري (ت٤٨٧هـ) فقد تعرض في كتابهُ "المسالك والممالك" بتفصيل دقيق عن الصحراء الغربية وبلاد السودان الغربي حيث أستخدمنا المعلومات التي أوردها في خدمة كل فصول الرسالة لتنوع المعلومات ووفرتها حول الحياة السياسية والحضارية في مملكة غانة الى قبيل وصول المرابطين أليها.

وأما محمد بن محمد الادريسي (ت٥٦٠هـ) في كتابه "نزهة المشتاق في أختراق الأفاق" فقد أعطى وصفاً دقيقاً لغانة فقد كانت معلوماتهُ عنها وفيرة ومتنوعة فقد ذكر ما طراء على مملكة غانة من تطور من بعد دخول المرابطين واستيلائهم عليها، وتأتي أهمية كتابهُ في معالجة النواحي الاقتصادية من حياة السكان في السودان الغربي فهو يذكر أنواع السلع والمعادن التي كانت تبادلها. أما احمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت٧٤٩هـ) صاحب كتاب "مسالك الابصار في ممالك الامصار" حيث سجل فيه معلومات غزيرة ومهمة تناولت تفاصيل دقيقة عن مملكة مالي شملت الاوضاع السياسية والثقافية والعسكرية والعمرانية والانشطة التجارية وهناك مصادر ذات أهمية بالغة الا وهي كتب الرحلات ومن أشهرها "رحلة أبن بطوطة ابو عبدالله اللواتي (ت٧٧٩هـ)" التي يطلق عليها تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" وتأتي أهمية هذهِ الرحلة أن صاحبها كان شاهد عيان على المعلومات التي دونها في رحلته وتعد المادة الغزيرة التي سجلها في رحلته من أهم المصادر لدراسة أوضاع المسلمين السياسية والثقافية والاجتماعية والأقتصادية في المنطقة والتي أفادتنا كثيراً في كتابة فصول الرسالة.

أما الرحالة الأخر فهو الحسن بن محمد الوزان الذي زار السودان الغربي في القرن (١٠هـ/١٦م) وعلى الرغم من أنهُ متأخر ألا أن كتابةُ "وصف أفريقيا" مهم جداً لأنهُ شاهد المظاهر المختلفة بنفسه ودونها وتعد معلوماتهُ المصدر المهم في الحصول على المعلومات وكتابة المادة فقد تحدث عن مدن السودان الغربي مؤكداً على أهم النشاطات الاقتصادية التي كانت تمارس فيها وكتب عن أحوالها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية فتكونت لدينا صورة واضحة عن التطورات التي جرت على السودان الغربي بعد القرون العديدة من أنتشار الإسلام.

ثانياً: المصادر الاولية:-

اعتمدنا في هذا البحث على عدد من الكتب التاريخية السابقة والمعاصرة لفترة الدراسة ويأتي في مقدمتها كتاب ابو الحسن علي بن محمد بن أبي زرع (ت٧٢٦هـ) "الانيس المطرب بروض القرطاس في اخبار ملوك المغرب وتايخ مدينة فاس" وكتاب ابي القاسم محمد بن سماك العاملي (ت ق ٨ هـ) "الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية" فيما يتعلق بعلاقات المرابطين مع السودان الغربي وجهادهم في تلك المنطقة.

كما استفدنا من كتاب عبد الرحمن بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ) "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر" وهو من الكتب المهمة في تاريخ السودان الغربي حيث خصص ابن خلدون فصلاً من تاريخهُ عن بلاد السودان الغربي بعنوان مستقل لملوك السودان وتتميز موادهُ عنها بدقتها لأنهُ أعتمد فيها على بعض الرواة المحليين من السودان الغربي، كما استفدنا منه كثيراً في معلوماتنا عن القبائل العربية والبربرية خاصة.

وكذلك اعتمدنا أيضاً على مؤلفات احمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ) حيث قدم المقريزي معلومات جيدة ومهمة في مؤلفاتهُ عن بلاد السودان الغربي.

أما كتب التاريخ المحلية فيأتي في المقدمة منها كتاب القاضي محمود كعت التنبكتي (ت٩٤٥هـ) الذي أسماه "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر

الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار" وكان محمود كعت معاصراً لسلطان صنغي أسكيا محمد فصحبه الى الحج معه وكان مستشاراً له فكان معاصراً للأحداث السياسية التي سبقت الغزو المراكشي (السعدي) للسودان الغربي، فركز في كتابه على احداث دولة سنغاي ما عدا بداية الكتاب حيث يتحدث فيه عن دولة مالي.

أما المؤرخ المغربي عبد العزيز بن محمد الفشتالي (ت ١٠٣٢ه) فقد كان شخصية سياسية وعلمية بارزة في عهد الدولة السعدية فقد أحتوى كتابهُ "مناهل الصفا" على معلومات مهمة عن بلاد السودان الغربي.

أما كتاب عبد الرحمن بن عبدالله السعدي (ت١٠٦٦هـ) "تاريخ السودان" فهو يحتل نفس المكانة والأهمية لكتاب الفتاش فقد قسم كتابه الى ثمانية وثلاثين باباً أهتم أولاً بذكر الاحداث التاريخية حسب السنين فقد ذكر دولة مالي بشكل سريع ومختصر وركز على دولة سنغاي حيث كان معاصراً لها كما أهتم بالترجمة للحكام والعلماء والفقهاء كما جاء وصفه للمدن والمناطق التي زارها تفصيلياً ودقيقاً.

ثالثاً:- كتب التراجم:-

تعد كتب التراجم من الكتب المهمة التي استخدمناها في التعريف بالعلماء والفقهاء ومن أهم هذهِ الكتب هي كتاب "نيل الابتهاج بتطريز الديباج" لأحمد بابا التمبكتي (ت١٠٣٦هـ) فقد ترجم أحمد بابا فيه لكل علماء وفقهاء السودان الغربي فأفادت مادتهُ في إبراز دور العلماء والفقهاء من العرب والبربر الذين هاجروا الى بلاد السودان الغربي.

فقد تميزت كتب طبقات الإباضية بأنها تضمنت سير وأخبار المثيرين من الفقهاء الذين ترددوا على الصحراء الى الممالك الافريقية ومن أهم هذهِ الكتب كتاب "طبقات المشائخ" لأبو العباس احمد الدرجيني (ت٦٧٠هـ) وكتاب السير لأبو الربيع سليمان الوسياني (ق ٦هـ)، وكتاب "السير" لأبو العباس احمد بن سعيد الشماخي (ت ٩٢٨هـ).

رابعاً:- المراجع الثانوية:-

والى جانب تلك المصادر علينا أن نذكر دراسات الباحثين المحدثين الذين أضافوا الكثير في كتابتهم الى المكتبة الافريقية وكانت مهمة جداً بتزويدنا بمعلومات مهمة للرسالة ومنها كتب أبراهيم علي طرخان (امبراطورية غانة) و(إمبراطورية مالي) وكتاب عبد القادر زبادية (مملكة سنغاي في عصر الأسقيين) وكتاب صباح أبراهيم الشيخلي (تاريخ الإسلام) وكتاب دريد عبد القادر نوري (تاريخ الاسلام في أفريقيا) وكتاب حسن أحمد محمود (الاسلام والثقافة العربية في أفريقيا) وكتاب نعيم قداح (أفريقيا الغربية) وكتابي الهادي الدالي المبروك (التاريخ السياسي والاقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء) و (التاريخ الحضاري لأفريقيا جنوب الصحراء) وكتاب أمطير سعد غيث (التأثير العربي الإسلامي في بلاد السودان الغربي).

وهناك مراجع أخرى استفدنا منها كثيراً في تراجم العلماء الفقهاء وإظهار الجانب الثقافي ومنها كتاب محمد بن ابي بكر الولاتي (ت١٢١٩هـ) فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، وكتاب احمد بابير الأرواني (ت١٩٩٠م)، السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية.

وأخيراً فهناك الكثير من المصادر والمراجع العربية والاجنبية والموسوعات والرسائل والأطاريح والبحوث المنشورة التي استخدمناها في الرسالة والتي لا تقل أهمية عما سبق ذكره وقد ورد ذكرها في قائمة المصادر والمراجع.

وما توفيقنا الا بالله فالحمد لله والشكر لهُ

"الباحثة"

الفصل الأول

((أنتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي))

المبحث الأول: طرق انتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي.

المبحث الثاني: أهم ممالك بلاد السودان الغربي.

المبحث الأول

طرق أنتشار الإسلام في بلاد السودان الغربي

إن المتتبع لسير الدعوة الإسلامية يلاحظ إن الإسلام أول ما خرج من مكة المكرمة كان نحو أفريقيا الشرقية وذلك بصحبة المهاجرين الأوائل الذين فروا من أذى المشركين بعقيدتهم الى بلاد الحبشة بأذن رسول الله (ﷺ) وقد ذكر ذلك الطبري في تاريخه: "... أمرهم رسول الله (ﷺ) أن يخرجوا الى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك صالح يقال لهُ النجاشي لا يظُلم أحد بأرضه وكان يثنى عليه مع ذلك صلاح وكانت أرض الحبشة متجراً لقريش..."[١].

وقد وصل الإسلام الى شمال القارة الافريقية وتمثل سنة (٢١ه/٦٤٢م) نقطة البداية لاستقرار الإسلام في أفريقيا الشمالية وذلك عندما أتجه عمرو بن العاص[٢]، نحو برقة على رأس جيش يقدر بنحو أربعة الاف رجل من القبائل المختلفة التي انجزت تحرير أرض مصر، ثم استمر الفاتحون حتى وصلوا المغرب الاقصى مكللين بالنجاح[٣].

وبذلك فمن الطبيعي أن ينشر الإسلام في وسط وغرب القارة الأفريقية بعد أن أنتشر في شرق وشمال القارة.

---

(١) ابو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ)، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٤٠٧هـ) ط١، ج١، ص٥٤٦.

(٢) عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي القرشي السهمي توفي سنة (ت٤٣ه)، للمزيد ينظر ابن سعد، ابو عبدالله محمد بن سعد (ت.٢٣٠هـ)، الطبقات الكبرى، تح: أحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨م)، ج٤، ص٢٥٤؛ البلاذري، احمد بن يحيى (ت ٢٧٩هـ)، أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م) ج١٠، ص٢٧٧.

(٣) أبن عبد الحكم، عبدالرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ)، فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، (القاهرة، د.س)، ص٤٧ وص١٧٠؛ نوري، دريد عبد القادر، أنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، عددا، ٢٠٠٧م، ص٦.

وكانت المناطق الواقعة الى جنوب الصحراء اي بلاد السودان الغربي على أتصال بشري وثقافي وتجاري بمناطق شمال أفريقيا حتى قبل وصول الإسلام بقرون عديدة، وذلك عبر مسالك الصحراء الأفريقية الكبرى[١]. أن لم تكن هذه الصحراء في يوم من الأيام تشكل عائقاً دون الاتصال الحضاري المثمر بين الإقليمين وكانت الأسس المباشرة لهذا الاتصال هي التجارة وتبادل السلع وعن طريقها انتقلت المؤثرات الحضارية بشكل واسع، أذ لعبت الصحراء الكبرى في تاريخ السودان الغربي ما لم يلعبهُ المحيط الأطلسي من الأدوار الحضارية العامة[٢].

فلما جاء الإسلام وصل العرب المسلمون عبر تلك المسالك والواحات المنتشرة في الصحراء الى غرب أفريقيا فشكل وصولهم امتدادا للصلات القديمة التي كانت تربط الطرفين بل أنها ازدادت كثافة وعطاء بشكل أخر يرتبط بالعقيدة الإسلامية[٣].

ولقد انتشر الاسلام في السودان الغربي في وقت مبكر وقد تعددت الوسائل التي أنتشر بها الاسلام في هذه المنطقة، واذا كانت كثير من المناطق قد وصلها الإسلام عبر وسائل محددة كالفتح أو الهجرة فأن أفريقيا قد تمثلت فيها كل الوسائل تقريباً وكان انتشار الإسلام فيها سلمياً[٤]. وستتكلم عن كل واحدة من هذهِ الوسائل التي أنتشر بها الإسلام في هذهِ المنطقة وهي:-

---

(١) الشيخلي، صباح أبراهيم، عوامل أنتشار الإسلام في أفريقيا الغربية، مجلة دراسات إسلامية، الجامعة المستنصرية، عدد١، ٢٠٠٠م، ص٧١.

(٢) الأمين، عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية، كتاب تجارة القوافل ودورها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (بغداد، ١٩٨٤م)، ص٦٩-٧٠.

(٣) الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٢.

(٤) العبيدي، عبدالعزيز بن راشد، وسائل انتشار الإسلام في أفريقيا دراسة تاريخية، مجلة دراسات أفريقية، عدد٦، (الخرطوم، ١٩٩٠م)، ص٣٧.

أولاً: طبيعة العقيدة الإسلامية:-

أن العقيدة الاسلامية كانت من أولى العوامل في نشر الإسلام فالإسلام ديـــن عالمي ونظام وثقافة أتجه دائماً الى ضم الشعوب الأخرى على اختلافاتها وتباينها[١].

والمعروف أن الإسلام يناسب الجماعات المختلفة وأمزجتها وأذواقها كمــا أنهُ يتلاءم مع البيئات التي ينتشر فيها، أذ أن التفرقة العنصرية التي باعــدت فــي أفهام الزنوج بين الواقعية والمثالية ليس لها مكان في الإســـلام فهـــو لا يعـــرف حواجز الطبقات أو الجنس أو اللون فلا يحول بين زنجي مسلم وبين التمتع بحقوقه السياسية والاجتماعية كاملة[٢]. فمن العوامل المهمة التي يسرت أنتشـــار الإســـلام بالسودان الغربي هو نبذ العنصرية وإقرار مبدأ المساواة فهي السر الحقيقـــي فـــي نجاح الدعوة في المنطقة ويرجع السبب في أعتناق الافارقة للإســـلام أن الـــداعي المسلم كان منذ اللحظة الأولى التي يعترف فيها المتحول الى الإسلام بالعقيدة يسير على المبادئ القائمة على الآخاء والمساواة ونبذ الطبقية، كمـــا أن لـــون الزنجـــي وجنسه لم يحملا أية حال إخوانه في الاسلام علـــى ان يتعصـــبوا عليـــه[٣]. أذ أن الإسلام لم يعامل الاسود قط على أنهُ من طبقة منحطة كما كانت الحال في كثيـــر من الأحيان في العالم المسيحي[٤].

فالإسلام لم يستعبد هذهِ الشعوب أنما أشعرها بالقوة والكرامة وقـــوى فيهـــا النزعة الى الحرية والأستقلال[٥].

كما أن الإسلام أنسجم مع المفاهيم الأفريقية وكذلك ضيق على المشـــتغلين بالرق والغى كثيراً من موارد الرق مما أقنع الأفريقيين بأعتناقه[٦].

---

(١) الشيخلي، صباح، عوامل انشار الإسلام، ص٧٠.

(٢) محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٤٣.

(٣) أرنولد توماس، الدعوة الى الإسلام، ترجمة: حسن أبراهيم حسن وأخرون، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٧١م) ط١، ص٣٩٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٣٩٤.

(٥) محمود، حسن أحمد، المرجع السابق، ص٤٣.

(٦) قداح، نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١٣٧.

وكذلك أرتبط الإسلام بالعلم وكان لهذا الأرتباط أثر عظيم في حياة الزنوج فالزنجي عندما يعتنق الإسلام يتحتم عليه تعلم القراءة والكتابة وترتفع مكانته الاجتماعية كلما زادت ثقافته والمامه بعلوم الدين والفقه ومن الملاحظ أنهُ في كل مكان وصل اليه الإسلام أنتشرت الكتاتيب و أقبل الأفريقيون عليها لرغبتهم في تعلم القراءة وقد أثر في نفوسهم أرتفاع مستوى إخوانهم المسلمين[١].

وحمل الإسلام الى هذهِ المنطقة عوامل القوة في ذاته فهو لم يكتسح القبائل الوثنية بالقوة وإنما وصل اليها بالطرق السلمية وان هذا التسامح وعدم الإكراه جعل الناس في غرب أفريقيا حكاماً ومحكومين يعتنقون الإسلام بكل حرية وقناعة واختيار[٢].

ثانياً: الجهاد العسكري:-

تغلغل الإسلام منذ السنوات الأولى لانتشاره في شمال أفريقيا نحو الصحراء الكبرى وبلاد السودان الغربي من خلال وصول عقبة بن نافع[٣]. وموسى بن نصير[٤]. بقواتهما الى المغرب الاقصى والحافات الشمالية للصحراء الغربية[٥]. وقد سجل أبن عبد الحكم حملة عقبة بن نافع بشيء من التفصيل وذكر انهُ في سنة (٤٦هـ/٦٦٦م) قاد حملة من الفرسان تعدادها أربعمائة فارس

---

(١) قداح، نعيم، افريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١٠٢.

(٢) محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٤٣.

(٣) عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري الذي فتح افريقية وبنى مدينة القيروان توفي سنة (٦٣هـ)، للمزيد ينظر ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج١، ص٤٦٦؛ ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الاصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار جيل، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج٣، ص١٠٧٥-١٠٧٦.

(٤) هو ابو عبد الرحمن موسى بن نصير اللخمي الامير المشهور الذي افتتح بلاد الاندلس استشهد سنة (٩٧هـ)، للمزيد ينظر ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تميز الصحابة، تح: مركز هجر للبحوث، دار هجر، (د.م، د.س)، ج١٤، ص٣٨.

(٥) نوري، دريد عبد القادر، انتشار الاسلام في أفريقيا، ص٧؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الاسلام، ص٧٢.

وأربعمائة بعير وثمانمائة قربة ماء ووصل بها الى منطقة ودان[١] ومن ثم اتجه الى فزان[٢] ثم الى عدد من المناطق الصحراوية المستوطنة والمؤدية الى بلاد السودان وأستغرقت الحملة حوالي خمسة أشهر[٣].

وهناك روايات محلية في السودان الغربي تذكر ان عقبة بن نافع وصل الى غانة[٤] وأنهُ في عام (٦٠هـ/٦٧٩م) كان في مدينة غانة جالية إسلامية وأن عقبة قد بنى مسجداً في غانة، وهذهِ الروايات لا يمكن الاعتماد عليها بسبب عدم ورود أشاره اليها في المصادر العربية وكذلك أن موقع مدينة غانة تقع في المنطقة الواقعة بين النيجر والسنغال إذ ليس من المعقول أن يسير عقبة بن نافع وجيشهُ قاطعاً الصحراء وصولا الى غانة في تلك المرحلة[٥]. لكنهُ يعد أول مسلم وصل الى المغرب الأقصى والصحراء جنوبه[٦].

---

(١) مدينة في جنوب أفريقيا بينها وبين زويلة عشرة أيام ولها قلعة حصينة وهي مدينتان دلبال ومدينة يوصى وجامعها واحد. فهي جزائر نخل متصلة، البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٥٨؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١١٥.

(٢) وهي بلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة أنطابلس هذا اسمها القديم افتتحها عمرو بن العاص سنة ٢٣ه صلحاً؛ اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب (ت٢٨٤هـ)، البلدان، تح: محمد أمين، دار الكتب (بيروت، ٢٠٠٢م) ط١، ص١٨٤.

(٣) فتوح مصر، ص١٣٢؛ نوري دريد عبد القادر، انتشار الاسلام، ص٧؛ الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الاسلام، ص٧٢.

(٤) مدينة تقع الى جنوب بلاد المغرب في أرض السودان الغربي وكانت مركزاً تجارياً مهماً وقد عرفت بكثرة وجود الذهب فيها، للمزيد ينظر القزويني، آثار البلاد واخبار العباد، ص٥٧؛ البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧١.

(٥) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين في نشر الاسلام بافريقيا الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، ٢٠٢، ص١٤.

(٦) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٢.

وتبع حملة عقبة بن نافع حملات القائد موسى بن نصير (٨٦-٩٦هـ/٧٠٥م-٧١٤م) والتي وصلت الى وادي درعة[١]، أيضاً[٢].

ويبدو أن خلفاء موسى بن نصير واصلوا جهودهم في نشر الإسلام في بلاد المغرب والسودان[٣]. إذ ذكر البكري رواية تدل على وجود الامويين في السودان الغربي إذ قال: "أن ببلاد غانة قوم يسمون بالهينين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية أنفذوه الى غانة في صدر الإسلام"[٤].

أن الجهد العسكري المبكر للعرب المسلمين في القرن (١هـ/٧م) قد فتح الطريق أمامهم للوصول الى مناطق غرب أفريقيا في القرون التالية[٥].

فمن الحملات الأولى التي قادت العرب الى تلك المنطقة الحملة التي أرسلها الوالي الأموي عبيد الله بن الحبحاب[٦]، بقيادة القائد حبيب بن عبدالله الفهري[٧]، وذلك عام (١١٦هـ/٧٣٤م) فوصلت الحملة الى: "السوس الأقصى وأرض السودان" ومع أن هذهِ الحملة كانت استطلاعية الا أنها قادت العرب المسلمين لأول

---

(١) هي قرى متصلة ومزارع كثيرة وهي على نهر سجلماسة النازل اليهم ومن أرض درعة الى بلاد السوس الأقصى أربعة أيام، ينظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢٧؛ مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الامصار، تح: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية (بغداد، ١٩٨٦م)، ص٢٠٦.

(٢) ينظر: الرقيق القيرواني، إبراهيم بن القاسم (ت٤٢٠هـ)، تاريخ افريقيا والمغرب، تح: محمد زنيهم، دار الفرجاني، (د.م، ١٩٩٤)، ط١، ص٥١؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٢.

(٣) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص١٥.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٧.

(٥) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٢.

(٦) هو عبدلله بن الحبحاب السلولي القيسي كان والي افريقية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبدلله الملك وابرز أعماله بناء جامع الزيتونة، الرقيق القيرواني، تاريخ افريقيا والمغرب، ص٦٦-٦٨.

(٧) هو حبيب بن ابي عبيدة مرة بن عقبة بن نافع الفهري القرشي تولى قيادة العساكر في بلاد المغرب وحارب البربر حتى قتل سنة ١٢٣ه، ينظر، الرقيق القيرواني، المصدرالسابق، ص٦٦.

مرة الى مشارف نهر النيجر والسنغال (في غرب أفريقيا) ومكنتهم من الحصـــول على كميات من الذهب[١].

ثالثاً: القوى السياسية في بلاد المغرب وعلاقتها مع السودان الغربي:-

كان للقوى السياسية في بلاد المغرب دور كبير في توثيق صـــلة العـــرب المسلمين بأفريقيا الغربية وذلك عن طريق أقامه علاقات سياسية واقتصادية مـــع تلك البلاد فكان هذا عاملاً مهماً في دخول الإسلام وحضارتهُ إليها[٢].

ومن هذهِ القوى هي:-

١-أمارة بني مدرار[٣] في المغرب الاقصى: (١٤٠-٢٩٦هـ/٧٥٧-٩٠٨م):-

كان لأمارة بني مدرار صلات وثيقة بـــبلاد الســـودان ونـــتج عـــن هـــذهِ الصلات أنتشار الإسلام على مـــذهب الخـــوارج الصـــفرية[٤] بـــين الســـودانيين

---

(١) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص٣٦؛ الرقيق القيروانـــي، تـــاريخ افريقيـــة والمغـــرب، ص٦٦؛ ابن عذارى، أبو العباس احمد بن محمد (ت٧١٢هـ)، البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: شبار عواد معروف، دار الغرب، (تونس، ٢٠١٣م)، ط١، ج١، ص٨١.

(٢) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٢.

(٣) وهي دولة قامت في المغرب الأقصى في مدينة سجلماسة سنة ١٤٠هـ أسسها عيســـى بـــن يزيد الأسود وهي على مذهب الخوارج الصفرية وقد أستمر قيام هذهِ الدولة في هذا الإقلـــيم حتى قيام الدولة الفاطمية في بلاد المغرب سنة ٢٩٦هـ والتي تمكنت من أسقاط دولة بنـــي مدرار الصفرية. ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ للمزيد ينظر، الخزاعي، كـــريم عـــاتي وعباس، رضا هادي، محاضرات في تاريخ المغـــرب والانـــدلس، ط٤، (بغـــداد،٢٠١٤م)، ص٤٤.

(٤) الصفرية: هي فرقة من الخوارج ظهرت في المغرب الأقصى وسيطرت عليه وقيـــل أنهـــم أتباع زياد بن الأصفر وقيل كذلك انهم أتباع النعمان بن الأصفر ونسبوا أيضاً الى عبدالله بن الصفار، ينظر البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ)، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الافاق، (بيروت، ١٩٧٧م)، ص٧٠؛ الشهرستاني، محمـــد بـــن عبـــد الكـــريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تح: محمد سيد كربلائي، دار المعرفة (بيروت، ١٤٠٤هـــــ)، ج١، ص١٣٧؛ المقريزي، أبو العباس احمد بن علي (ت٨٤٥هـ)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ)، ج٤، ص١٨٥.

الذين كانوا يعملون بالتجارة عبر الصحراء[١].

وعند بناء مدينة سجلماسة[٢]. شارك العديد من زنوج السودان في بناء المدينة[٣]. بل أن بعضهم سكن في مدينة سجلماسة إذ ذكر المقدسي أنهُ "كان لهم حصن يعرف بحصن السودان"[٤].

ويبدو أن أهم أثر لأمارة بني مدرار الصفرية هي نشر الإسلام على مذهب الخوارج الصفرية بين الجماعات السودانية والتأثير عليهم واستقطابهم وسعيهم في توطيد أسس هذا المذهب في بلادهم الواقعة جنوب الصحراء[٥].

٢-الأمارة الرستمية[٦] (١٦٠-٢٩٦هـ/٧٧٦-٩٠٨م):-

تعد الأمارة الرستمية من أولى الكيانات السياسية في بلاد المغرب التي أقامت علاقات سياسية واقتصادية مع بلاد السودان الغربي[٧]. فقد أشار ابن

---

(١) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودان، ص١٩.

(٢) وهي من أعظم مدن المغرب تقع على حافة الصحراء بينها وبين غانة في الصحراء مسيرة شهرين بنيت سنة ١٤٠هـ أسسها مدرار بن عبد الله، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص٣٠٥.

(٣) ابن عذارى، البيان، ج١، ص١٥٦؛سالم، عمر صالح، المرجع السابق، ص١٩.

(٤) أحسن التقاسيم، ص٢١٩.

(٥) محمد، سوادي عبد والحاج، صالح عمار، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، المكتب المصري، (القاهرة، ٢٠٠٤م)، ط١، ص١٢٦.

(٦) تأسست الامارة الرستمية في المغرب الأوسط سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م) على يد عبدالرحمن بن رستم واتخذت مدينة تاهرت عاصمة لها، ينظر: المالكي، ابن صغير، علي بن محمد (ت٧١٩هـ)، اخبار الائمة الرستمين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.م، د.س)، ص٢٥؛ للمزيد ينظر: عبد الحميد، سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، (د.م، د.س)، ج٢، ص٢٨٩.

(٧) الحرير، أدريس صالح، العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء واثرها في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات الجهاد الليبي، عدد١ (١٩٨٣م)، ص٧٩؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٢.

الصغير المالكي الى أن الأمام أفلح بن عبد الوهاب[١] الحاكم (٢٠٨-٢٤٠هـ/٨٢٤-٨٥٥م) كان قد أرسل وفداً دبلوماسياً برئاسة أحد اعوانهُ المسمى محمد بن عرفة مع هدايا الى ملك السودان وسجل ابن الصغير المالكي ذلك قائلاً: "فعجب ملك السودان ما رآه من هيبته وجمالهُ وفروسيتهُ وقال له ملك السودان كلمة بالسودانية ... معناها أنت حسن الوجه حسن الهيبة والأفعال"[٢].

فقد كان لتجار تاهرت[٣] نشاط تجاري كثيف مع مناطق بلاد السودان وعبر الصحراء الكبرى أذ أرتبطت عاصمة الرستمين تاهرت بطريق قوافل صحراوي عام مع بلاد السودان الغربي[٤]. وهذهِ الطرق[٥] هي:-

أ. الطريق من تاهرت الى غانة عبر سجلماسة[٦]. فأن سجلماسة تعد مدخلاً لغانة[٧].

---

(١) افلح بن عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم وهو الامام الثالث للرستميين توفي سنة (٢٥٠هـ) للمزيد ينظر: الزركلي، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هـ)، الاعلام، دار العلم، (د.م،٢٠٠٢)، ج٢، ص٥.

(٢) اخبار الائمة الرستميين، ص٦٢.

(٣) مدينة كبيرة أهلة بين جبال وأودية وبينها وبين البحر المالح مسيرة ثلاث رحلات وفيها وادي يقال لهُ وادي الشلف، وكانت فيما سلف من الزمان مدينتين كبيرتين واحدة قديمة والأخرى محدثة، ينظر اليعقوبي، البلدان، ص١٩٧؛ مؤلف مجهول، الاستبصار، ص١٧٨؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٥٥.

(٤) صفي الدين، محي الدين، العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، مجلة الدراسات التاريخية، عدد٧، (موريتانيا، ٢٠١٦م)، ص٥٠؛ الحرير، ادريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص٧٩؛ الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٢.

(٥) ينظر: ملحق رقم (٧) خارطة الطرق التجارية في الصحراء الكبرى والسودان الغربي.

(٦) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٩؛ مباركية، عبد القادر، دولة تاهرت شمال أفريقية وعلاقتها مع السودان الغربي، دورية كان التاريخية، (الكويت، ٢٠١٧م)، عدد٣٥، ص١٦٦.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٣٧.

ب. الطريق من تاهرت الى وارجلان[١] ثم الى بلاد السودان الذي ذكره أبن سعيد: "والسفر من واركلان في الصحراء الى بلاد السودان كثير"[٢].

ج. الطريق من غدامس[٣] الى بلاد السودان[٤].

د. الطريق من زويله[٥] وهي تمثل أول حد بلاد السودان حيث تخرج القوافل من مدن جبل نفوسة وتتجه جنوباً نحو زويلة[٦].

وكانت أهم المنتجات التي تحملها القوافل الرستمية الى بلاد السودان هي الأكسية القطنية والكتانية والزجاج والخزف والملح لندرتهُ عندهم فيبيعونه بأسعار مرتفعة للغاية[٧]. ويعودون محملين بالذهب والعاج وريش النعام وجلود الحيوانات[٨].

---

(١) تقع في طرف الصحراء مما يلي أفريقية وهو بلد خصيب كثير النخل والبساتين وفيها سبع مدائن مسورة حصينة بعضها قريب من بعض وهي كثيرة الزرع والمياه، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٠.

(٢) الجغرافيا، ص١٢٦؛ مباركية، عبد القادر، دولة تاهرت وعلاقتها مع السودان، ص١٦٥-١٦٦.

(٣) مدينة لطيفة كثيرة النخل والمياه وأهلها بربر مسلمون، وبينها وبين جبل نفوسة سبعة أيام في الصحراء وبينها وبين طرابلس ثلاثة أيام، ومن غدامس يدخل الى تادمكة ثم الى بلاد السودان، ينظر البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨١؛ مجهول، الأستبصار، ص١٤٦.

(٤) أبن سعيد، الجغرافيا، ص١٢٧؛ حياوي، فراس سليم، الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، (جامعة بابل، ٢٠١٣م)، عدد١٠، ص٩.

(٥) وهي مدينة غير مسورة في وسط الصحراء وهي أول حد بلاد السودان ويجتمع بها الرفاق ومنها يفترق قاصدهم وتتشعب طرقهم، ينظر البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٥٧.

(٦) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٦٥٧؛ فراس سليم حياوي، الدولة الرستمية، ص٩.

(٧) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٧؛ ينظر، محي الدين صفي الدين، العلاقات التجارية، ص٥٣؛ حياوي، فراس سليم، الدولة الرستمية، ص٩.

(٨) محي الدين، المرجع السابق، ص٥٣؛ حياوي، فراس سليم، المرجع السابق، ص٩.

فقد ذكر ابن الصغير المالكي الذي عاش في تاهرت وكتب عن تطورها أن طرق التجارة فتحت مع جميع البلدان المجاورة مثل السودان[١].

فقد كان الكثير من التجار الاباضية[٢] الذين مارسوا نشاطاتهم في غرب أفريقيا أستقر قسم منهم في تلك المناطق وقضى حياتهُ يمارس التجارة في مراكزها الرئيسية وكان لهؤلاء أثر كبير في نشر الإسلام وفقاً لمبادئ الإباضية[٣].

ونذكر من هؤلاء التجار تاجراً يسمى (تاملي الوسياني) الذي كان فقيراً في بداية حياته وعندما ذهب الى تادمكة أصبح غنياً جداً بسبب التجارة[٤].

وقد أدى العلماء الاباضية أيضاً دوراً في نشر الإسلام ومن العلماء الذين دخلوا الى بلاد السودان الشيخ عبد الحميد الفزاني وهو عالم كبير سكن بلاد السودان[٥].

وهناك معلم أخر يدعي أبو موسى هارون بن أبي عمران الوسياني من بلاد الجريد ذهب الى ورجلان حيث عرض عليه منصب معلم بمرتب مائة دينار

---

(١) أخبار الائمة الرستميين، ص٣٢.

(٢) وهي أحدى فرق الخوارج وقيل أنهم أتباع عبد الله بن أباض التميمي ويقال أنهم ينسبوا الى اباض وهي قرية في اليمامة وقد أفترقت الى اربع فرق وهي الحفصية والحارثية واليزيدية وأصحاب الطاعة، ينظر البغدادي، الفرق بين الفرق، ص٨٢؛ الشهرستاني، الملل والنحل، ج١، ص١٣٤-١٣٥؛ المقريزي، الخطط، ج٤، ص١٨٧.

(٣) الحرير، أدريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص٨٤؛ الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الاسلام، ص٧٢.

(٤) الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ت ق٩هـ)، سير الوسياني، تح: عمر بن لقمان، وزارة التراث، (سقط، ٢٠٠٩م)، ط١، ج١، ص٢٢٤؛ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ)، الملل والنحل، تح: محمد سيد كربلائي، دار المعرفة (بيروت، ١٤٠٤هـ)، ج١، ص١٣٧؛ الحرير، أدريس، العلاقات الاقتصادية، ص٨٤.

(٥) الوسياني، السير، ج١، ص٢٤٢؛ الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ)، طبقات المشائخ، تح: أبراهيم طلاي، مطبعة البعث، (الجزائر، د.س)، ج٢، ص٣٢٧.

ولكنهُ رفض ذلك وغادر الواحة الى غانة للتجارة واستقر بمدينة غيارو[١] حيث قضى حياته هناك الى أن توفي[٢].

فأن العلاقات بين الدولة الرستمية وجنوب الصحراء كانت علاقات تجارية وثقافية ذات طابع سياسي قائمة على المصالح المشتركة بين الجانبين ويبدو أنها أستمرت حتى بعد سقوط الدولة الرستمية على يد الفاطميين[٣] سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) حيث فر العديد من الرستمين وأنصارهم من سكان تيهرت الى عدة مدن مثل وارجلان وغانة وغيرها من بلاد السودان وأسسوا لهم أحياء كاملة واحياناً مدن وقرى نشروا فيها ثقافتهم[٤]. ومما يؤكد استمرار علاقتهم أن الثائر أبو يزيد مخلد بن كيداد[٥]. الذي قام بثورة ضد الدولة الفاطمية (٣٣٢هـ/٩٤٤م)

---

(١) مدينة في بلاد السودان بينها وبين غانة ثمانية عشر يوماً وأفضل الذهب في بلاد السودان هو ما موجود في غياروا وبينها وبين النيل أثنا عشر ميلاً وفيها من المسلمين كثيراً، ينظر البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٤.

(٢) الوسياني، السير، ج١، ص٢٢٣؛ الحرير، ادريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص٨٥.

(٣) وهم الذين أقاموا الدولة الفاطمية العلوية في بلاد المغرب سنة (٢٩٧هـ/٩٠٩م)، ثم أنتقلت الى مصر سنة (٣٦١هـ/٩٧١م) واستطاعت أن تمد نفوذها الى بلاد الشام وتنازع الخلافة العباسية الى أن سقطت على يد صلاح الدين الايوبي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) وكان أول خلفائها هو عبدالله المهدي بن محمد الذي يرجع نسبهُ الى أسماعيل بن الأمام جعفر الصادق ((ع))، ينظر المقريزي، أتعاض الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين شيال، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ط٢، ج١، ص٣٥.

(٤) ادريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص٨٧؛ فراس سليم حياوي، الدولة الرستمية، ص٩٥.

(٥) أبو يزيد مخلد بن كيداد الزناتي اليفرني الكناري ولد بالسودان حيث كان أبوه تاجراً وتعلم القران بتوزر ولما ظهر الفاطميين استطاع تهديد حركتهم بالزوال وقد قتل سنة ٣٣٦هـ، ينظر أبن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت٦٣٠هـ)، الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام، دار الكتب، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج٧، ص١٣٦-١٥١.

بعد هزيمة ثورته فر العديد من أنصاره الى السودان هروباً من اضطهاد الفاطميين حيث عاشوا هناك[١].

٣-الأدارسة[٢]:- (١٧٣-٣٧٥هـ/٧٨٨-٩٨٥م):-

أن سلطة الأدارسة امتدت الى غرب أفريقيا غير أن الأماكن التي خضعت لسيادتهم في تلك البلاد ما تزال غير معروفة بوضوح بسبب عمومية الإشارات المتوفرة لدينا عن ذلك[٣].

ومن الإشارات الفريدة عن وجود الادارسة في السودان الغربي ما أورده أبن خلدون فقد ذكرَ: "... وكان بمدينة غانة من بلاد السودان بالمغرب مما يلي البحر المحيط ملك بني صالح .... ونسب صالح هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن موسى الجون بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ((ع))"[٤]. فأنهُ قدم من مكة الى السودان وبعد الترحيب به اقام ملكاً هناك[٥].

---

(١) أبن حماد، أبو عبدالله محمد بن علي (ت٦٢٨هـ)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة (القاهرة، د.س)، ص٧٥-٧٦؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٣، ص١٧١-١٨٨؛ ادريس صالح الحرير، المرجع نفسه، ص٨٧.

(٢) يعود أصل الادارسة الى مؤسس امارتهم ادريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي بن أبي طالب ((ع)) الذي كان احد المشاركين بحركة الحسين بن علي في مكة ضد العباسيين عام ١٦٩هـ/٧٨٦م وبعد اندحار هذهِ الحركة في معركة فخ اختفى عن انظار العباسيين الى ان وصل الى المغرب الأقصى بمساعدة مولاه راشد فنزل مدينة وليلي من اعمال طنجة واستطاع ان يفرض سيطرتهُ على المنطقة ويحكم المغرب، ينظر: الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٤، ص٦٠٠؛ ابن أبي زرع، الانيس المطرب، ص١٥.

(٣) الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٣.

(٤) العبر، ج٤، ص١٢٧.

(٥) الشيخلي صباح، المرجع السابق، ص٧٣.

وتعد هذهِ الإشارة عن أول وجود سياسي فعلي للعرب المسلمين في غــرب افريقيا وبمرور الوقت لابد أن يكون ذلك الوجود عاملاً مهماً لنشر الإسلام في تلك البلاد[١].

٤-الأغالبة:-

أن أمارة الأغالبة[٢] (١٨٤-٢٩٦هـــ/٨٠٠-٩٠٨م) لم تربطها مــع بــلاد السودان الغربي غير العلاقات التجارية غير أن هذهِ العلاقات كانت عاملاً مهمــاً في وصول الإسلام والمؤثرات العربية الإسلامية في أيامهم الى بــلاد الســودان الغربي[٣].

٥-الدولة الفاطمية:-

أن الدولة الفاطمية (٢٩٦- ٥٦٧هـــ) كذلك هي الأخرى لم تربطها مع بلاد السودان الغربي غير العلاقات التجارية والتي كما ذكرنا كانت عاملاً مهمــاً فــي نشر الإسلام في بلاد السودان الغربي[٤].

(١) الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٣.

(٢) وهي أمارة قام بتأسيسها أبراهيم بن الأغلب بن سالم بن عقال التميمي عندما عهد أليــه بولاية أفريقية وذلك سنة (١٨٤هـــ/٨٠٠م) وذلك بموافقة الخليفة العباسي هارون الرشيد بسبب قيام الدويلات المستقلة في بلاد المغرب التي كانت تهدد الخلافة وقد اتخذوا مدينــة القيروان مقر للأمارة وكانت نهايتها على يد الدولة الفاطمية سنة (٢٩٦هـــ/٩٠٨م)، ينظر ابن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٩٢؛ الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغــرب، ص١٢٧؛ محمد زينهم محمد عزب، تاريخ مملكة الاغالبــة لأبــن وردان، ط١، مكتبــة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٨م)، ص٣٠؛ سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٢٧.

(٣) لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، (دمشق، ١٩٧٩م)، ص٨٢؛ الشيخلي، صــباح، عوامــل انتشار الإسلام، ص٧٣.

(٤) لومبارد، موريس، المرجع السابق، ص٨٢؛ الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٣.

٦-المرابطون[١]: (٤٤٨-٥٤١هـ/١٠٥٦-١١٤٦م)

كانت الدفعة القوية التي أدت الى أتساع أنتشار الإسلام والحضارة الإسلامية بين سكان السودان الغربي تعود الى جهود الدولة المرابطية فقد نجح المرابطون في القرن (٥هـ/١١م) من إخضاع الصحراء الغربية والمغرب الأقصى وجزءاً من المغرب الأوسط والأدنى الى سلطتهم فضلاً عن قضائهم على مملكة غانة السودانية الوثنية في السودان الغربي[٢].

أذ كان للمرابطين دور كبير في أنهاء الحكم الوثني وفرض سيطرتهم السياسية على غرب أفريقيا ففي عام (٤٤٦هـ/١٠٥٤م) زحف المرابطون بقيادة عبدالله بن ياسين[٣] الى شمال مملكة غانة ودخلوا مدينة أودغست[٤]. وأخضعوها

---

(١) هم قبائل صحراوية رحالة ينتمون الى قبيلة لمتونة الصنهاجية وكان زعيمهم يحيى بن إبراهيم الجدالي الذي تعاون مع الفقيه عبدالله بن ياسين الجزولي الذي أسس رباطاً ضم صحبه البالغ عددهم الف رجل فسموا بالمرابطين واستطاعوا تأسيس دولة في المغرب الأقصى سنة (٤٤٨هـ) وتوسعت دولتهم في بلاد المغرب ووصلت الى الأندلس وكانت نهايتهم على يد الموحدين سنة (ت٥٤١هـ)، ينظر أبن عذارى، البيان المغرب، ج١، ص٢٥٢؛ أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل (ت٧٣٢هـ)، المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (د.م، د.س)، ط١، ج٢، ص١٧٤-١٧٥؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤٢-٢٤٣.

(٢) دندش، عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، دار الغرب، (بيروت، ١٩٨٨م)، ط١، ص١٠١؛ محمود، حسن أحمد، قيام دولة المرابطين، دار الفكر، (القاهرة، د.س)، ص١٠١؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٣.

(٣) عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن علي الجزولي وهو داعية من المالكية دعا للإسلام في المغرب الأقصى ووضع الأسس الأولى لدولة المرابطين وتوفي سنة (٤٥١هـ)، ينظر ابن سماك العالمي، الحلل الموشية، ص٧٨.

(٤) أودغست: وهي مدينة كبيرة تقع في شمال غرب أفريقيا تسكنها القبائل البربرية وهي مدينة لطيفة أشبه بلاد الله بمكة لأنها بين جبلين ذات شعاب ومن أودغست الى غانة بضعة عشر يوماً، ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٩٢؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٨.

لسلطتهم وأنهوا هيمنة مملكة غانة السودانية عليها[١]. فكان هذا بداية الخضوع السياسي للمرابطين[٢].

على أن الجهد العسكري والسياسي الكبير للمرابطين في غرب أفريقيا يرتبط بالحاكم والقائد المرابطي أبو بكر اللمتوني[٣] الذي قاد الجيش المرابطي الى غانة عام (٤٦٩هـ/١٠٦٧م) وتمكن من أنهاء الوثنية وجعل غانة تابعة سياسياً لدولة المرابطين في شمال المغرب الأقصى[٤]. وقد ذكر الناصري ذلك قائلاً: "وزحف اليهم فاتح المغرب الأمير أبو بكر بن عمر اللمتوني وفتح من بلادهم مسيرة ثلاث أشهر وحمل الكثير منهم ممن لم يكن قد أسلم قبل ذلك على الإسلام فدانوا به ثم أضمحل ملك غانة بالكلية"[٥].

وذكر القلقشندي ذلك أيضاً: "فلما أسلم الملثمون فتسلطوا عليهم (أي غانة بالغزو حتى دان كثير منهم بالإسلام..."[٦].

وقد أستمر المرابطون لمدة ثلاثة وعشرين عاماً بقيادة أبي بكر اللمتوني في جهاد عظيم من أجل نشر الإسلام بين القبائل الوثنية في غرب أفريقيا حتى

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٢.

(٢) الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٣.

(٣) أبو بكر بن عمر اللمتوني وهو من أعظم قادة المرابطين واصبح أميرهم بعد عبدالله بن ياسين وساهم في توحيد بلاد المغرب ونشر الإسلام في الصحراء وجاهد القبائل الوثنية حتى استشهاده سنة (٤٨٠هـ)، ينظر الذهبي، شمس الدين ابو عبدلله بن أحمد (ت:٨٤٧هـ)، سير اعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٦م)، ج١٣، ص٥٠٣.

(٤) الزهري، كتاب الجغرافية، ص١٢٦؛ أبن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ)، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام)، تح: أحمد مختار العبادي، دار الكتب (الدار البيضاء، ١٩٦٤م)، ص٢٣٢؛ أبن السماك العاملي، الحلل الموشية، ص٦١؛ نوري، دريد عبد القادر، انتشار الاسلام في السودان الغربي، ص٩٧-٩٩؛ الشيخلي صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٤.

(٥) الأستقصا، ج٥، ص١٠٠.

(٦) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨١.

استشهاد هذا القائد بسهم مسموم وهو يقاتل أحدى القبائل الوثنية هنـــاك[١]. وبهـــذا يمكن القول أن جهود المرابطين في غرب أفريقيا لم تؤد الى ربط السودان الغربي سياسياً وأقتصادياً وحضارياً بالدولة العربية الإسلامية فحسب وإنما أدت الى اتساع نطاق انتشار الإسلام أيضاً[٢].

رابعاً: النشاط التجاري:-

تعد التجارة القناة الاولى التي انساب الإسلام من خلالها الى مناطق غـــرب أفريقيا حتى جعل بعض الباحثين العلاقة بين الإسلام والتجارة علاقة عضـــوية إذ كلما نشطت حركة التجارة في غرب أفريقيا نشط معها أنتشار الإسلام[٣].

وكما قلنا أن الصحراء لم تشكل حاجزاً دون الاتصال الحضاري المثمر بين الاقليمين[٤]. أذ يقول البكري: "أن الماء متوفر في الصحراء ويوجد على مســـيرة يومين أو ثلاثة من وادي درعة الى وادي تارجاً"[٥]. ويتضح من حديث البكـــري وفرة المياه في الصحراء الكبرى وأن السفر عبر الصحراء لم يكــن امــراً شـــاقاً وصعباً وذلك لوفرة المياه السطحية فيها[٦]. والواقع أن طرق القوافـــل التجاريـــة الصحراوية التي كانت تربط بلاد المغرب بغرب أفريقيا قديمة وقـــد اســـتخدمتها

---

(١) ابن سماك عاملي، الحلل الموشية، ص٧٧؛ أبن ابي زرع، الأنيس المطـــرب، ص١٣٥-١٣٦؛ وينظر، الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٣.

(٢) الشيخلي، المرجع نفسه، ص٧٣.

(٣) بازينة، عبدالله سالم، أنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، منشـــورات جامعـــة ٧ أكتوبر (مصراته، ٢٠١٠م)، ط١، ص١١٣؛ الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٣-٧٤؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، وسائل أنتشار الإسلام، ص٤٧.

(٤) الأمين عوض الله، تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي، ص٧٠.

(٥) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٧.

(٦) خالد بلعربي، تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحـــات للبحوث والدراسات، عدد١٥، ٢٠١١م، ص٣٩.

قبائل بلاد المغرب وقبائل الصحراء قبل الإسلام في نقل السلع والمنتجات من الشمال الى الجنوب وبالعكس[١].

فما أن انتهت الجيوش العربية الإسلامية من جهادها في بلاد المغرب حتى بدأ التجار العرب المسلمون يفكرون بتنظيم تجارة القوافل الصحراوية للحصول على الذهب وكانت أول خطوة في سبيل ذلك هو خلق طرق أمنة معروفة للقوافل التجارية عبر الصحراء الغربية[٢]. فقد حاول بعض الولاة المسلمين تحقيق هذا الأمر، ففي القرن (٢هـ/٨م) أمر الوالي الأموي عبدالرحمن بن الحبحاب (١٣٠-١٣٨هـ/٧٤٧-٧٥٥م) بحفر عدد من الآبار في الطريق التجاري الصحراوي بين بلاد المغرب الأقصى والسودان الغربي عبر الصحراء الغربية[٣].

وأن أهمية طرق القوافل التجارية تكمن في أنها كانت المعابر التي عبرها الإسلام وحضارته فالعرب المسلمون استخدموا طرق القوافل التجارية ليس لنقل البضائع والسلع التجارية من بلاد السودان واليها فحسب بل كانت معابر لعقيدتهم وثقافتهم أيضاً[٤].

---

(١) العراقي، السر سيد احمد، تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا واثرها الحضاري، بحث في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٣م)، ص١٤٧.

(٢) الشيخلي، صباح أبراهيم، ملاحظات حول انتشار الثقافة العربية الإسلامية في أفريقية جنوب الصحراء، مجلة أفاق الثقافة والتراث، مركز جمة الماجد، عدد٣٨، ٢٠٠٢م، ص٢٢؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الإسلام، ص٤٧.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٧؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٩٢.

(٤) الشيخلي، صباح، ملاحظات حول أنتشار الإسلام، ص٤٧؛ الحسني، عبد الرزاق أحمد، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي (من ق٣-٨هـ)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي (بغداد، ٢٠١١م)، ص٢٧؛ خالد بلعربي، تجارة القوافل، ص٣٨.

والمعروف أن الطرق التي تربط شمال أفريقيا مع بلاد السودان الغربي هي ثلاث طرق رئيسة[١] تتفرع منها طرق ثانوية وهي:-

١-الطريق الغربي: يربط الطريق الصحراوي الغربي التجاري ببلاد المغرب الأقصى في الشمال وبلاد السودان الغربي في الجنوب عبر الصحراء الغربية[٢]. ويتفرع هذا الطريق الى فرعين هما:-

أ. الفرع الأول: يبدأ من سجلماسة في الشمال وينتهي بمدينة أودغست في الجنوب ثم يسر الى مدينة غانة السودانية[٣].

ب. الفرع الثاني: وقد ذكره البكري: "ويبداء من وادي درعة في الصحراء الى وادي تارجا ثم تمشي في الصحراء فتجد الماء على يومين والثلاثة حتى تصل الى رأس المجابة الى بئر يسمى تزامت ... وفي الشرق منها بئر تسمى بئر الجمالين ... ومنهما الى جبل يسمى ادراران ومن هذا الجبل مجابة ماؤها على ثمانية أيام وهي المجابة الكبرى ثم الى قرية تسمى مدوكن الصنهاجية ومنها الى مدينة غانة أربعة أيام..."[٤].

٢-الطريق الأوسط: يربط المغرب الأوسط بالسودان الغربي عبر الصحراء الوسطى[٥]. وهو يتفرع أيضاً الى فرعين:-

---

(١) ينظر: ملحق رقم (٧) خارطة الطرق التجارية في الصحراء الكبرى والسودان الغربي.

(٢) الشيخلي، صباح، النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوية الغربي حتى نهاية (ق٥هـ)، بحث في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٤م)، ص٢٩.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٩٩؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٦-٨٤٧؛ الشيخلي، صباح، النشاطات التجارية، ص٣٣.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٧.

(٥) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٤؛ عبد الرزاق أحمد، العلاقات التجارية، ص٢٨.

أ. الفرع الأول:- يبدأ من تلمسان[١] الى مدينة تاهرت ومن ثم الى وارجلان ومنها الى مدينة كوكو[٢] في السودان الغربي[٣]. وقد سجل البكري ذلك: "...تلمسان ومنها الى قلعة ابن جاهل وهي قلعة منيعة كثيرة الثمار والأنهار ثم الى جبل تاودني والى مدينة تيزيل وهي أول الصحراء ومنها يسافر الى مدينة سجلماسة والى وارجلان..."[٤].

ب. الفرع الثاني:- يبدأ من مدينة القيروان شمالاً ثم في الصحراء الى وارجلان ثم الى بلاد الجريد[٥] ثم الى مدينة غانة في بلاد السودان[٦].

٣-الطريق الشرقي: هو الطريق الذي يربط مناطق المغرب الأدنى بالسودان الغربي والأوسط[٧]، وأيضاً يتفرع الى فرعين هما:-

أ. الفرع الأول:- يبدأ من أجدابية[٨]، في الشمال الى السودان الأوسط[٩].

---

(١) تلمسان: وهي مدينة مسورة في سفح جبل وهي قاعدة المغرب الاوسط لها أسواق ومساجد ومسجد جامع وهي دار مملكة زناتة ومقصد لتجار الأفاق، ينظر البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٧٤٦.

(٢) وهي مدينة في بلاد السودان ومَلكهم يظاهر رعيتهُ بالإسلام والسفر اليها من كل بلد متصل، ينظر العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي (ت٣٨٠هـ)، الكتاب العزيزي (المسالك والممالك)، تح: تيسير خلف، دار التكوين، (د.م، ٢٠٠٦م)، ص٥٥.

(٣) الشيخلي، صباح، القوافل التجارية، ص٣٤.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٧٤٦.

(٥) وهي عبارة عن مدن كثيرة وعمائر متصلة وتقع في آخر بلاد أفريقية على طرف الصحراء وسميت ببلاد الجريد لكثرة النخيل بها، ينظر مجهول، الاستبصار، ص١٥٠.

(٦) مجهول، الأستبصار، ص٢٢٤.

(٧) الشيخلي، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٤؛ عبد الرزاق أحمد، العلاقات التجارية، ص٢٨.

(٨) وهي مدينة عليها حصن وفيها مسجد جامع وأسواق قائمة وهي على أربعة مراحل من برقة، ينظر اليعقوبي، البلدان، ص١٨١؛ أبن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٦٧.

(٩) ابن حوقل، المصدر السابق، ج١، ص٦٧ و ص٩٢؛ سالم، عمر صالح، دور الحكام، ص٣٩.

ب. الفرع الثاني:- ويبدأ من طرابلس[١] ويمر بجبل نفوسة ثم يتجه الى غدامس وبعدها الى تادمكة ثم الى غانة في السودان الغربي[٢].

أما عن أهم السلع التجارية التي كانوا يتاجرون بها فقد جلب العرب المسلمين الى أفريقيا الغربية سلع وبضائع متنوعة ومختلفة فكان الملح والذهب والرقيق أهم السلع التجارية التي يتاجرون بها[٣].

وقد ذكر الإدريسي صادرات بلاد المغرب للسودان الغربي في قوله: "أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير من النحاس الأحمر والملون والأكسية وثبات الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأهداف والحجار وضروب من الأفاويه والعطر والآت الحديد المصنوع"[٤].

ألا أن الملح يعدُ من أهم السلع بالنسبة للسودانيين ولا تقل أهميتهُ عن أهمية الذهب بالنسبة للمغاربة وذلك لأن الملح معدوم في السودان ولهذا فلم يبالوا في مبادلته بالذهب وزناً بوزن[٥].

---

(١) وهي من مدن افريقية وهي كبيرة أزلية على ساحل البحر يضرب بسورها وهو من حجر جليل ولها أسواق حافلة وأهلها تجار يسافرون براً وبحراً ومن طرابلس الى جبل نفوسة ثلاثة أيام، ينظر الحميري، الروض المعطار، ص٣٨٩.

(٢) ابن حوقل، المصدر السابق، ج١، ص٦٣؛ مجهول، الأستبصار، ص١١١.

(٣) عبد الرزاق أحمد، العلاقات التجارية، ص٦٤-٧٣؛ إمحمد، فاطمة علي، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء (٦٠٠-١١٦٤هـ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درامان (السودان، ٢٠١٦م)، ص١٥٤-١٦١٦؛ بلهواري، فاطمة، العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال (ق٤هـ)، دورية كان التاريخية، عدد١٠، ٢٠١٠م، ص٣٣؛ عبد، عباس كريم، الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، بابل، عدد٤، ٢٠١٠م، ص٥٣.

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣٢.

(٥) عبد، عباس كريم، الصلات التجارية، ص٥٣.

وذكر الادريسي أستخدام الملح عند السودان بقوله: "وفي النيل أنواع من السمك وضروب من الحيتان الكبار والصغار ومنهُ طعام اكثر السودان يتصيدونهُ يملحونه ويدخرونهُ..."[١].

وذكر أبو حامد أن الحمل الواحد من الملح كان يساوي حملين من الذهب[٢]. ويشير البكري أن ملك غانا حافظ على ثروة بلاده من الملح فقد فرض ضريبة قدرها دينار من الذهب على كل حمل يدخل بلاده وديناران على كل حمل مماثل يغادرها[٣]. ويقول الرحالة المغربي ابن بطوطة الذي قام بزيارة الى بلاد السودان أن حمل واحد من الملح كان يعادل عشر مثقال من الذهب ويصل في بعض الأحيان الى أربعين مثقالاً ويذكر كذلك أن سكان المنطقة يستعملون الملح كعملة للتبادل بدلاً من الذهب والفضة[٤]. ويقول الحسن الوزان أنهُ رأى أن ثمن حمل الملح يساوي ثمانين مثقالاً من الذهب[٥].

وكان الملح يأتي الى أودغست من مدينة أوليل[٦] ببلاد المغرب ماراً بها الى بلاد السودان الغربي ولذلك كانت حاجة ملوك السودان ماسة الى قيام علاقة طيبة وسلمية مع أودغست من أجل الحصول على الملح[٧].

---

(١) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٠.

(٢) عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (ت٦٥٠هـ)، تحفة الالباب ونخبة الأعجاب، تح: أسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الأفاق (المغرب، ١٩٩٣م)، ص٣٩.

(٣) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٤.

(٤) رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٥٢٣.

(٥) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦.

(٦) وهي منطقة في بلاد المغرب تقع على ساحل البحر وهي معدن الملح بينها وبين شهر ومنها يحمل الملح الى جميع بلاد السودان، ينظر ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص٩٢؛ البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٧؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٧.

(٧) ابن حوقل، صورة الأرض، ج١، ص١٠١؛ نوري، دريد عبد القادر، انتشار الإسلام، ص١١؛ عميرة، محمد بناني، معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، عدد٩، ص١١٥.

ولقد أستعمل العرب المسلمون أسلوب التجارة الصامتة[١] التي تعد المرحلة الأولى لاقتناء الذهب من مصادره وهي مرحلة كان يقوم بهـا التجـار العـرب المسلمون حيث يصلون الى بلاد السودان الغربي وعن طريق عملية مقايضة الملح بالذهب نراهم يعودون الى بلاد المغرب بكميات كبيرة مـن الـذهب[٢]. وكانـت المنطقة المشهورة بكثرة الذهب هي ونقارة وقد وصفها الإدريسي بقوله: "...وبلاد

(١) وهو أسلوب أستعملهُ التجار للحصول على الذهب وقد وصفها ياقوت الحمـوي قـائلاً: "تسافر التجار من سجلماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة وجهازهم الملـح وعقد خشب الصنوبر وخرز الزجاج الأزرق أسورة النحاس الأحمر وحلي وخواتم نحاس لا غير يحملون منها الجمال ... حتى يصلوا الى غانة بعد مشاق عظيم فينزلـون بهـا ويتطيبون ثم يستصحبون الادلاء .... فإذا وصلوا الى الموضع ضـربوا طبـولاً معهـم عظيمة تسمع في الأفق الذي يصامت هذا الصنف من السودان ويقال أنهم فـي مكـامن وإسراب تحت الأرض ... فإذا علم التجار أنهم قد سمعوا الطبل أخرجوا ما صحبهم من البضائع المذكورة فوضع كل تاجر ما يخصه من ذلك كل صنف على جهة ويذهبون عن الموضع مرحلة فيأتي السودان ومعهم التبر فيضعون الى جانب كل صنف منها مقدار من التبر وينصرفون ثم يأتي التجار بعدهم فيأخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبـر ويتركون البضائع وينصرفوا بعد أن يضربوا طبولهم..."، ينظر ياقوت الحموي، معجـم البلدان، ج٢، ص١٢.

(٢) لومبارد، موريس، الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، (دمشق، ١٩٧٩م)، ص٨٢؛ بوفيل، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: هادي أبو لقمة، جامعة قاريونس، (بنغـازي، ١٩٨٨م)، ص١٥٠-١٥١؛ جميلة بن موسى، تجارة الذهب بين المغرب والسودان الغربي، رسالة ماجسـتير غير منشورة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٠م، ص٦١.

ونقارة هذهِ هي بلاد التبر[١] المشهورة بالطيب والكثرة وهي جزيرة طولهـــا ٣٠٠ ميل وعرضها ١٥٠ ميل والنيل يحيط بها من كل جهة"[٢].

وكانت من أهم المراكز التجارية مدينة أودغست حيث اكتسبت أهميتها ليس من كونها محطة لاستراحة القوافل فحسب بل أنها سوق ونقطة لقاء بـــين تجـــار القوافل الصحراوية حيث يبادلون بضـــائعهم الشـــمالية بالبضـــائع القادمـــة مـــن أودغست[٣]. وقد سجل أبن حوقل عن النشاط التجاري للتجار في هذهِ المدينـــة أذ قال: "...سكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفـــة والبغـــداديين الـــذين كـــانوا يقطعون ذلك الطريق فهم واولادهم وتجارتهم دائرة ومفرداتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة الى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة..."[٤].

وكانت مدينة غانة من المراكز التجارية المهمة في السودان الغربـــي وتـــأتي أهميتها من كونها تقع الى الشمال منها مناجم الملح وكذلك لأنها متصلة ببلاد التبـــر ومنها يدخلون التجار الى مفازات الى بلاد التبر[٥]. وبمرور الوقـــت أزداد وجـــود التجار العرب المسلمين في مدينة غانة ومعه ازداد حجم التجارة وهذا كان سبباً فـــي تأسيس حي خاص لهم في هذهِ المدينة[٦]. وقد وصف البكري ذلك قائلاً: "مدينة غانة

---

(١) هو المعدن الخام ويطلق على الذهب والفضة كما هو قبل ان يستعمل ومنهم من يطلقـــهُ على جميع المعادن لكنهُ بالذهب أعرف منهُ بالفضة وغيرها، ينظر الحكيم، ابي الحســـن علي بن يوسف، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسين مؤنس، الدراســـات الإسلامية، (مدريد، ١٩٥٨م)، ص٢٠.

(٢) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٤.

(٣) الحميري، الروض المعطار، ص٦٢١؛ الشيخلي، صباح أبراهيم والالوسي، محي الدين، تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا، مطبعة التعليم العالي، (بغـــداد، ١٩٨١م)، ص٦٨؛ إسماعيل، احمد محمد، تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجـــارة بـــين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م، ص٢١.

(٤) صورة الأرض، ج١، ص٦١.

(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣-٢٤؛ القزويني، اثار البلاد، ص٥٧.

(٦) الشيخلي، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٥.

مدينتان سهليتان أحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيهـا اثنـا عشر مسجداً ولهم أئمة ومؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم ومدينة الملك على بعد ستة أميال من هذهِ المدينة تسمى الغابة وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليـه من المسلمين"[١].

ومدينة توات ايضاً من المراكز التجارية في الصحراء[٢]، وقد ذكرهـا أبـن خلدون وأشاد بعمرانها وقال فيها: "فمنها على ثلاث مراحل قبلة سجلماسة وتسـمى وطن توات وفيه قصور متعددة تناهز المئتين أخذة من الغرب الى الشرق وهو بلـد متجر بالعمران وهو ركاب التجار المترددين الى بلد مـالي مـن السـودان لهـذا العهد."[٣].

أذ يعد إقليم توات من أهم الأقاليم الصحراوية وذلك بحكم موقعه الاستراتيجي كونها مركزاً ومحطة لعبور القوافل التجارية وكذلك أحدى المحطات الرئيسية لحجيج بلاد السودان الغربي، أذ أثرت تأثيراً كبيراً في نقل الحضارة العربية الإسلامية الـى بلاد السودان الغربي[٤].

فقد كان التجار المسلمون في تنقلاتهم بين المراكز التجارية يحتكون بالزنوج ويؤثرون فيهم بسلوكهم الشخصي وأمانتهم ونظافتهم وكثيراً ما أنتهى هذا الاحتكـاك بدخول كثيرين من هؤلاء الزنوج في الإسلام فقد كان بعض من هؤلاء التجار مـن يجمع بين التجارة والعلم[٥]. فإذا ما أستقر بهم المقام أنشأوا حلقات لتعليم القـران أو للعبادة الى جانب نشاطهم التجاري ولكن هؤلاء عادة ما يكونوا قلـة ولـم يكونـوا

---

(١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١-٨٧٢.

(٢) الأمين عوض الله، تجارة القوافل، ص٨٠؛ عباس عبدالله، التأثيرات الحضـارية لإقلـيم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الحقيقة، عدد٣٤، (الجزائـر، ٢٠١٥م)، ص٩٦.

(٣) العبر، ج٧، ص٧٦-٧٧.

(٤) الأمين عوض الله، تجارة القوافل، ص٨٠؛ مبارك جعفري، علماء منطقة توات وتأثيرهم في السودان الغربي، دورية كان التاريخية، عدد١٦، ٢٠١٢م، ص٩٠-٩١.

(٥) الجمل، شوقي عطا الله، أبراهيم، عبدالله عبدالرزاق، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشـكلاتهم، دار الثقافة، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ص٨٧؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية، ص٤٨.

متفرغين لهذا الأمر لانشغالهم بتجارتهم فنجدهم يقومون باستقدام الفقهاء والعلماء معهم لهذه المناطق ولاسيما عندما يكثر عدد المسلمين بها ليتولى هؤلاء العلماء تعليم الناس أمور دينهم وعمد بعض التجار لتشييد المدارس والمساجد وكانوا يختارون الأذكياء من السكان الأصليين لأرسالهم الى مصر وشمال أفريقيا ليتلقوا العلم ويعودوا قادة للفكر الإسلامي في بلادهم(١).

وبهذا نرى أن الدعوة الإسلامية واكبت التجارة حيثما وصلت وقد عبرَ ترمنجهام عن الصلة بين الإسلام والتجارة بقوله: "أن الإسلام والتجارة يرتبطان الى حد كبير"(٢).

وكان تجار الكارم(٣) ضمن الجماعات التي قامت بهذهِ المهمة رغم أنهم لم يكونوا محترفي الدعوة ولكنهم اجتذبوا الناس الى الإسلام بالمثل الطيب والقدوة الحسنة إذ كان لتجار الكارم دور كبير في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ولو بشكل غير مباشر حيث خرجت ضمن ركبهم قوافل وجماعات الصوفية(٤) المارة عبر

---

(١) شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الاسلامي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٨١م)، ص٢٠٦؛ الحبيب، موسى جمعة، طرق أنتشار الإسلام في غرب أفريقيا، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، جامعة بنغازي، عدد١٠، ٢٠١٦م، ص٤.

(٢) مجاهد، حورية توفيق، تاريخ انتشار الإسلام في افريقيا (الابعاد والوسائل)، مجلة قراءات تاريخية، عدد٦، ٢٠١٠م، ص٢٢.

(٣) هم فئة من كبار التجار أشتغلوا باحتكار تجارة الهند وجنوبي شرق أسيا وشرق أفريقيا في التوابل وغيرها من السلع الثمينة، للمزيد ينظر، الشاوي، عبير كريم، تجار الكارم اثرهم الاقتصادي والحضاري (من ق٤هـ-٩هـ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، ٢٠٠٥م)، ص١.

(٤) الصوفية: هو منهج أو طريق يسلكهُ العبد للوصول الى الله وأصلهُ العكوف على العبادة والانقطاع الى الله والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد عن المال والجاه والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة وسمي المقبلون عليها باسم الصوفية والمتصوفة، ينظر، القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان (ت٤٦٥هـ)، الرسالة القشيرية، دار التربية، (د.م، د.ت)، ص٢١٥-٢١٧؛ أبن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار البيان، (د.م، د.س)، ص٣٢٩؛ حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله (ت١٠٦٨هـ)، كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة الاوفست، (بغداد، د.ت)، ج١، ص٤١٤.

مناطقهم وأخذت تدعو الناس للإسلام على أمتداد طرق القوافل بحيث شكلوا مع جماعات الصوفية حافزاً لأسلام سكان أفريقيا[١]. فقد ذكر ابن بطوطة أنهُ: "رأى في مدينة تنبكت قبر سراج الدين بن الكويك الكارمي أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية الذي قدم الى تنبكتو زمن السلطان منسى موسى"[٢].

ونتيجة لوجود التجار في المنطقة لفترات طويلة فهناك منهم من أقامه طويلة وكذلك تزوج من نساء المنطقة فقد ذكر الوزان: "... أن الملك زوج اثنتين من بناته من أخوين تاجرين لغناهما"[٣]. وذكر الونشريسي أن أحد التجار العرب سافر الى تادمكة[٤] ثم مضى الى أودغست وغانة وتأهل هناك وولد لهُ واقام أحد عشر سنة من يوم خروجه من البلد[٥].

ويقول توماس أرنولد: "... فالتاجر سواء كان من العرب أو الماندنجو يجمع بين نشر الدعوة وبيع السلعة..."[٦]. ولهذا كان التاجر المسلم يعد احد وسائل نشر الإسلام في تلك البلاد وبشكل مباشر[٧].

---

(١) العنبكي، أنوار جاسم، الكارم وأثرهم في نشر الإسلام في أفريقيا عصر المماليك، مجلة كلية الآداب الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٥م، ص٥؛ عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الأسلام، ص٤٩.

(٢) رحلة أبن بطوطة، ج٢، ص٥٣٨.

(٣) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦.

(٤) وهي مدينة كبيرة بين جبال وشعاب في الصحراء وأهلها بربر مسلمون تبعد عن غانة مسيرة خمسين يوماً ومعنى أسمها (تاد هيئة أي أنها على هيئة مكة) فقد شبهت بمكة، ينظر البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨٠.

(٥) أحمد بن يحيى بن محمد (ت٩١٤هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المملكة المغربية، ١٩٨١م)، ج٩، ص١١٦.

(٦) الدعوة الى الإسلام، ص٣٩١.

(٧) سالم، عمر صالح، درر الحكام السودان، ص٤٧.

خامساً: الهجرات البشرية

من العوامل المهمة التي أسهمت في نشر الإسلام في السودان الغربي هي الهجرات البشرية التي وفدت الى هذهِ المنطقة من خارجها وكانت لها أسباب متعددة تجارية وسياسية وطبيعية، كما أن هذهِ الهجرات سواء كانت فردية أم جماعية اتسمت بانها سلمية فلم يكن القائمين عليها منشغلين بأمر الدعوة الإسلامية وفرضها بالقوة او بالجهاد الإسلامي بل كان مجرد مجيئهم وبقائهم في تلك المناطق هو الكفيل بالتجمع حولهم وزيادة دخول الأفارقة في الإسلام أذ تعد الهجرات العربية والبربرية من اهم وسائل نشر الإسلام في غرب افريقيا[١].

سادساً:- دور الحكام السودانيين المسلمين في نشر الإسلام:-

أضطلع ملوك وحكام دول السودان الغربي بدور كبير في عملية نشر الإسلام في السودان الغربي حيث وجدت الطبقة الحاكمة أن الإسلام يخدم مصالحها لهذا ساندتهُ وساعدت على أنتشاره، فالنظام السياسي القائم في السودان الغربي في عصرها الوثني كان عبارة عن دويلات صغيرة (أشبه بدويلات المدن) ولم يكن هذا النظام يسمح لها بالتطور الى دول تتعدى نطاق الإقليم أو القبيلة الا نادرا لعدم وجود عامل موحد سواء كان روحياً أو مصلحة مشتركة سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية وبذلك وجد الحكام السودان في الإسلام عاملاً موحداً روحياً وأفاد الحكام من ذلك فائدة كبيرة لأن ولاء الأفراد قد تجاوز نطاق القبيلة واصبح الحاكم المسلم رمز السلطة الروحية الجديدة[٢].

أن ملوك السودان كانوا على أتصال واحتكاك دائم بالمسلمين منذ وقت مبكر وهو ما أدى الى حدوث تعايش كبير بين هؤلاء الملوك والجالية المسلمة وقد أثر ذلك تأثيراً كبيراً على هؤلاء الملوك الوثنين حتى أصبحوا معجبين بالمسلمين

---

(١) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٦؛ الحبيب، موسى جمعة، طرق انتشار الإسلام، ص٤؛ عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الإسلام، ص٤٤.

(٢) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٧؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الإسلام، ص٥١.

ويقدرونهم ويقتدون بهم ويعتمدون عليهم في أدارة شـؤون مملكـتهم[١]. إذ ذكـر البكري بأن ملك غانة كان يتخذ ترجمانهُ وبيت ماله مـن المسـلمين وأن أكثـر وزرائهُ كانوا من المسلمين[٢].

وبذلك بذل حكام الممالك السودانية جهوداً كبيرة في نشر الإسلام وحضارته وقادوا جيوشهم ضد القبائل والممالك الوثنية في تلك المناطق[٣]. ونذكر منهم حاكم مالي (سندياتا) الملقب (بماري جاطة)[٤] (٦٢٨-٦٥٣هـ/١٢٣٠-١٢٥٥م) الذي شن هجمات شديدة على قبائل الصوصو الوثنية فمـزق ملكهـم وقتـل حـاكمهم وأستولى على بلادهم عام (٦٣٣هـ/١٢٥٣م)[٥].

وكان السلطان منسا موسى(٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) الذي بلغـت دولة مالي في عهده أوج ازدهارها، فقد عمل اعمالاً كثيرة لها عظيم الأثر علـى منطقة السودان الغربي إذ أفتتح أقاليم عديدة ونشر الإسلام بين سكانها[٦]. وذكـر العمري أنهُ فتح بسيفه ٢٤ مدينة في السودان[٧]. وأشـتهر أيضـاً بكثـرة بنـاءه المساجد إذ أنهُ كان يبني مسجداً في كل مكان تأخذه الجمعة فيه[٨].

---

(١) شعباني، نور الدين، دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام فـي أفريقيـا جنوب الصحراء، دورية كان التاريخية، عدد١٤، ٢٠١١م، ص٤٩.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٢.

(٣) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٧؛ سالم، عمـر صـالح، دور الحكـام السودانيين في نشر الإسلام، ص٨٧.

(٤) سنديانا:- هو حاكم مالي ويلقب بماري جاطة ومعناه عندهم الأمير الـذي يكـون نسـل السلطان وجاطة الأسد ويكون معناه الأمير الأسد، ينظر، ابـن خلـدون، العبـر، ج٦، ص٢٦٦.

(٥) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٢؛ إبراهيم طرخان، مـالي، ص٢١؛ الشـيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٧؛ عمر صالح، المرجع السابق، ص٩٠.

(٦) العبيدي، عبد العزيز، وسائل انتشار الإسلام، ص٥٢؛ الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٧.

(٧) مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٠.

(٨) عبد العزيز، المرجع نفسه، ص٥٢.

ومن ملوك مالي أيضاً الذين أسهموا بدور في نشر الإسلام منسا سليمان(٧٤١-٧٦٢هـ/١٣٤٠-١٣٦٠م) وفيه قال القلقشندي: "بنى المساجد والجوامع والمنارات وأقام الجمع والجماعات والآذان وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الأمام مالك وتفقه في الدين"[١].

وكذلك جاهد ملوك السنغاي[٢] في سبيل نشر الإسلام وحضارته في مناطق غرب أفريقيا ومن الملوك الذين قاموا بدور مهم في نشر الإسلام عن طريق الفتوحات العسكرية الملك سن علي (٨٦٩هـ-٨٩٨هـ/١٤٦٤-١٤٩٢م)[٣]. الذي هاجم مملكة موش الوثنية فشن عليها الكثير من الغزوات حتى حقق النصر عليهم وذلك سنة (٨٨٤هـ-٨٩٢هـ/١٤٧٩م-١٤٨٦م)[٤].

وفي عهد الاسكيا محمد الطوري(٨٩٨-٩٢٥هـ/١٤٩٢-١٥١٩م) استكملت المملكة استعدادها العسكري والحربي بهدف نشر الإسلام في المناطق الوثنية ووجه الاسكيا محمد كل جهوده في الجهاد والدعوة الى الإسلام في المناطق الجنوبية[٥]. حيث ذكر السعدي: "وعندما غزا غزوة نعسر، وهو سلطان موش، ومشى معه السيد المبارك مور صالح أمره أن يجعلها جهاداً في سبيل الله فلم يخالفه في ذلك ... فقد قاتلهم وقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبا ذراريهم"[٦].

وهكذا فأن جهود الحكام السودانيين وجهادهم كان لهُ أثر عظيم في نشر الاسلام في السودان الغربي[٧].

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٥.

(٢) ينظر: صفحة ٧٤ عن مملكة السنغاي وملوكها.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٦٤؛ كعت، تاريخ الفتاش، ص٤٣.

(٤) كعت، تاريخ الفتاش، ص٤٥؛ سالم، عمر صالح، المرجع السابق، ص٩٣.

(٥) تاريخ السودان، ص٧٤؛ سالم، عمر صالح، مرجع سابق، ص٩٣.

(٦) تاريخ السودان، ص٧٤.

(٧) عن جهاد الحكام السودان، ينظر سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين في نشر الإسلام، ص٨٨-١٠١.

سابعاً:- رحلات الحج:-

حظي لقب "حاج" أو "حاجة" ذكراً كان أو أنثى في السودان الغربي بقيمة كبيرة فكان يلقب به من يزور الأراضي المقدسة في مكة المكرمة لأداء فريضة الحج فأعطى صاحبه وجاهة وأعتز به بين أهله وذويه كما أن هذا اللقب كان يرفع من مكانة أي فرد في المجتمع فتعلوا مكانته(١).

وقد أهتم أهل السودان الغربي بإكرام الحجاج أعظم تكريم واحسنوا استقبالهم فكان يستقبلهم الملوك وشيوخ القبائل و السلاطين بالبهجة والفرح والترحاب بهم فكان السلطان أسكيا داوود(٢) يقيم احتفالاً دينياً كبيراً كل سنة لاستقبال الحجاج بعد عودتهم من الاراضي المقدسة وكان يقبل رؤوسهم وجباههم ويحسن ضيافتهم(٣).

فقد حرص حكام الممالك السودانية على الخروج في مواكب خاصة لأداء فريضة الحج وكانت تلك الرحلات احد العوامل التي أسهمت في نشر الإسلام وتعميق مبادئه فالحج عامل مهم في أقامه العلاقات الثقافية والدبلوماسية والتجارية مع العالم العربي الإسلامي(٤).

فرحلة حج ملك مالي منسا علي التي زار فيها مصر سنة ٦٥٨ه/ ١٢٥٩م أيام السلطان الظاهر بيبرس (٦٥٨-٦٧٦هـ/١٢٦٠-١٢٧٧م)(٥) أثمرت عن

---

(١) كعت، تاريخ الفتاش، ص١١١؛ الشمراني، أمل بنت صالح، رحلات الحج واثارها على بلاد السودان الغربي في عصر دولتي مالي وسنغاي، اطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الامام محمد بن سعود، السعودية، ٢٠١٢م، ص٤٨.

(٢) هو أحد سلاطين إمبراطوريه سنغاي تولى الحكم عام (٩٤٩-٩٨٢هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م)، ينظر كعت، المصدر السابق، ص٨١-٩٤.

(٣) كعت، المصدر السابق، ص١١١.

(٤) الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الإسلام، ص٧٨.

(٥) الملك الظاهر ركن الدين بيبرس العلائي البندقداري الصالحي النجمي لقب بأبي الفتوح وهو سلطان مصر والشام وخامس سلاطين الدولة المملوكية ومؤسسها الحقيقي ولد عام ٦٢٠هـ وتوفي سنة ٦٧٦هـ، ينظر ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت ٦٩٢هـ)، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبدالعزيز الخويطر، ط١، (الرياض، ١٩٧٦م)، ص٤٦.

حصيلة مهمة وهي أقامه طريق الحج الذي يخترق القارة من غربها الـــى شـــرقها حتى يصل الى سواحل البحر الأحمر ولهذا الطريق قيمته الكبيرة في تعميق العقيدة الإسلامية والثقافة الاسلامية بين سكان غرب أفريقيا ثم تقوية الروابط بين غـــرب افريقيا ومصر[١].

وكانت رحلة حج السلطان منسى موسى(٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) حاكم مالي الذي خرج سنة ٧٢٤هـ/١٣٢٤م بموكب ضخم الى الحج فقد انتشرت اخبار حجته وما وقع لها في رحلته عند الذهاب والاياب وخلال أقامته في القاهرة حتى ذاع صيتها في ارجاء العالم الاسلامي واوربا وقد حققت هذه الرحلة امـــوراً كثيرة يأتي في مقدمتها اقامة علاقات دبلوماسية وتجاريـــة وثقافيـــة مـــع العـــالم الإسلامي[٢]. وكذلك أتت رحلة الاسكيا محمد(٨٩٨-٩٢٥هـــــ/١٤٩٢-١٥١٩م) حاكم السنغاي في عام (٩٠٢هـ/١٤٩٦م) على نتائج مماثلة إذ اسفرت عن أقامـــه علاقات سياسية وحضارية مع الدول الإسلامية[٣].

ولقد تحمس الافارقة للدخول في الإسلام وأداء فريضـــة الحـــج فالهـــدف الاسمى والأقوى الذي كان يسعون الى تحقيقه مـــن أثـــر الحـــج كـــان يطمئـــنهم ويشجعهم ويحمسهم لذا فهو أساس يشعر به كل حاج للاتجاه نحو بيت الله الحـــرام حيث العبادة والثواب والأمن والأمان[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٩٣؛ ابن خلدون، العبر، ج٥، ص٥١٥؛ الشيخلي صباح، المرجع السابق، ص٧٨.

(٢) العمري، مسالك الأبصار، ص٦٧-٧٥؛ القلقشندي، صـــبح الأعشـــى، ج٥، ص٢٨٣؛ الشيخلي، صباح، عوامل انتشار الاسلام، ص٧٨.

(٣) كعت، الفتاش، ص١٦؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٧٢.

(٤) العطاء، عوض عبدالهادي، الرحلة الحجازية وأثرها العملي على افريقيا، مجلة دراسات افريقية، جامعة افريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٠م، عدد ٢٣، ص١٩١.

ثامناً:- الطرق الصوفية:-

كانت الحركات الصوفية من جملة الوسائل التي ربطت بين العرب والأفارقة خلال فترة طويلة من الزمن وهي أطول عمراً من بعض الحركات التي قدمت من المشرق العربي الى أفريقيا كما أنها اقترنت بالإسلام ونشره في بعض جهات أفريقيا(١).

والطرق الصوفية كانت هي أحد أبرز عوامل انتشار الإسلام في القارة الافريقية بحق، كونها ظهرت في شبه الجزيرة العربية ومصر والشمال الافريقي فأنسحب تأثيرها الى الجنوب الافريقي(٢).

إذ أدت الطرق الصوفية دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي فقد نشط دعاة هذهِ الطرق في الدعوة الى الإسلام ساعدهم في ذلك خصائص الإسلام الذاتية من سهولة ويسر(٣).

فقد وجدت الصوفية في أفريقيا الأرض الخصبة لها إذ وجد الناس في الانضمام لشيخ الطريقة ما يشبع الغريزة الإنسانية في البحث عن الطمأنينة والأمان وينجذب الأفريقي بشدة للطرق الصوفية والاشتراك في حلقات الذكر لأنها تملأ الفراغ الروحي عنده ورحيل جزأً من فراغهم وخصوصاً في المساء حيث الانشاد الديني والحركات الإيقاعية في الذكر الذي يستهوي الافريقيين الذين تعودوا على التعبير بالرقص في أوجه حياتهم كافة بما فيها الدينية(٤).

---

(١) فهد، بدري محمد، الصلات بين العرب وأفريقيا الثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، دار المناهج، (عمان، ٢٠١٦م)، ص٩٧.

(٢) الدوري، ظاهر جاسم، أفريقيا في العصور الإسلامية، دار الجنان، (عمان، ٢٠١٥م)، ط١، ص٤٢.

(٣) الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ أفريقيا، ص١١٠؛ الحبيب، موسى جمعة، طرق انتشار الإسلام، ص٩.

(٤) الدوري، ظاهر جاسم، أفريقيا في العصور الإسلامية، ص٤٢؛ حورية توفيق، تاريخ أنتشار الإسلام، ص٢٣.

فقد أضفت الحركات الصوفية الأمن والطمأنينة لأتباعها مما قاد الى تحول الصحراء الى مناطق حيوية بعثت فيها الحياة من جديد حيث قامت ببناء مراكز لها كالزوايا والتكايا والخلاوي ذات سمات وخصائص إسلامية والتي تتمثل بنشاطاتها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية إذ وفرت لأتباعها وغيرهم ما يحتاجون إليه من مأكل وملبس فضلا عن عملها الرئيسي في تحفيظ القران الكريم وتعلم القراءة والكتابة والوعظ والإرشاد بأمور الدين والدنيا وهي الأمور التي لم يكن يألفها الافريقي من قبل(١).

وتعد الطريقة القادرية(٢) من أشهر الطرق الصوفية التي دخلت الى السودان الغربي فقد ذاعت شهرتها وانتشرت في شمال أفريقيا ومنها دخلت الى بلاد السودان الغربي على أيدي مهاجرين من توات وذلك في القرن (التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي)(٣).

وقد كانت الطريقة القادرية من أوسع الطرق وأعمقها في السودان الغربي لاسيما بعد وصول الإسلام الى الشعوب الزنجية حيث أصبح دين الأغلبية بعد أن أعتنقه الملوك الوثنيون وصارت للصوفيين في بلاد السودان الغربي مراكز لنشاط الدعاة على نطاق واسع في اقصى الجنوب والغرب(٤) وكان أتباع هذهِ الطريقة

---

(١) الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ أفريقيا، ص١٠٩؛ الدوري، ظاهر، افريقيا في العصور الاسلامية، ص٤٢.

(٢) القادرية:- هي أحدى الطرق الصوفية والتي تنتسب الى مؤسسها عبدالقادر بن ابي صالح بن عبدالله الجيلي الحسني الذي ولد بجيل (٤٧٠هـ-٥٦١هـ) وينتشر أتباع هذه الطريقة في العراق وبلاد الشام ومصر وافريقيا وقد كان لرجالها دوراً كبيراً في نشر الاسلام في القارة الافريقية، ينظر، عمار هلال، الطرق الصوفية ونشر الاسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية للفنون، (الجزائر، ١٩٨١م)، ص١٠٩.

(٣) توماس، أرنولد، الدعوة الى الإسلام، ص٣٦٥؛ زكي، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون في غرب أفريقيا، ص١١٠.

(٤) توماس، المرجع السابق، ص٣٦٦؛ حسن، حسن أبراهيم، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص٤٣.

يبعثون من الذين أسلموا الى مدارس القيروان وطرابلس أو الى فاس والأزهر في القاهرة[١].

وأن أهم إنجازات الطرق الصوفية هو أن التحول للإسلام أنتقل على أيديها من حالات فردية الى حالات جماعية وهو ما مثل خطوة في تدعيم الإسلام في نفوس الأفريقيين[٢]. إذ كان نشاط هذهِ الجماعة الصوفية مستمرة في دعوة القبائل الوثنية وكانت هذهِ الدعوة ذات طابع سلمي للغاية يعتمد كل الاعتماد على الإرشاد وأنتشار التعليم[٣].

---

(١) توماس، الدعوة الى الاسلام، ص٣٦٦؛ زكي، عبد الرحمن، الإسلام والمسلمون، ص١١٠-١١١.

(٢) توماس، المرجع السابق، ص٣٦٦؛ زكي، عبد الرحمن، المرجع السابق، ص١١٠؛ حورية توفيق، تاريخ أنتشار الإسلام، ص٢٣.

(٣) توماس، المرجع السابق، ص٣٦٦.

المبحث الثاني

أهم الممالك في بلاد السودان الغربي

شهدت منطقة السودان الغربي قيام عدة امبراطوريات وممالـــك ادت دوراً حاسماً على مسرح الحياة السياسية والاقتصادية في القارة الأفريقية وكان لــبعض هذهِ الإمبراطوريات أصول وثنية غير أنها بلغت الـــذروة والقـــوة فـــي عهـــدها الإسلامي وقامت علاقات قوية ومتنوعة بين هذهِ الإمبراطوريـــات وبـــين الـــدول العربية الإسلامية بعد أن أستقر فيها عدد كبير من العرب والمســـلمين واختلطـــت بسكانها[(١)]. ومن تلك الإمبراطوريات التي ظهرت في تلك المنطقة هي:-

أولاً: مملكة غانه (...-٤٦٩هــ/ ٣٠٠م – ١٠٧٦م):-

تعد مملكة غانه[(٢)]. أول حكومة سياسية في السودان الغربي وقد بلغت ذروة قوتها وعظمتها في (القرن الثالث هجري/ التاسع ميلادي)[(٣)] أما تحديد زمن بدايـــة قيامها فلا نعرف عنهُ شيئاً وذلك سبب عدم وجود أشاره الى هذا الأمر في بطـــون الكتب والمؤلفات وعدم توصل الدراسات الاثرية الى نتائج دقيقـــة[(٤)]. إذ تأسســـت حوالي ٣٠٠م ثم نمت واتسعت رقعتها وامتدت من نهر النيجر إلى ساحل المحـــيط الأطلسي[(٥)].

---

(١) طرخان، أبراهيم، إمبراطورية غانا، ص٧-٨؛ الشيخلي، صباح، تاريخ الاسلام، ص٧٩، السنجري، بان حسين، إمبراطورية غانا، مجلة جامعة الأنبار، عدد٢، ٢٠١٢م، ص٢٦٩.

(٢) وهي مدينة في بلاد السودان الغربي بينها وبين سجلماسة مسيرة شهرين وهي عبارة عن مدينتان على نهر النيجر وهي اكثر بلاد السودان قطراً واكثرها خلقاً وأوســـعها متجـــراً وأليها يقصد المياسير من جميع البلاد المحيطة من سائر بلاد المغرب، ينظر الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٤؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٥.

(٣) الشيخلي، صباح، أنتشار الإسلام، ص٧٩؛ بان حسين، غانا، ص٢٦٩.

(٤) سيدو، كورماكان، التصوف الإسلامي في مالي نشأته وتطوره، رسالة ماجســـتير غيـــر منشورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٢م، ص٥؛ الشيخلي، صباح، تاريخ الإسلام، ص٧٩.

(٥) زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإسلامية السودانية بأفريقية الغربية، المؤسسة العربية (القاهرة، ١٩٦١م)، ص٧١.

وإن كلمة غانا ليست لها أصول عربية أنما هي على مـــا يبـدو ســـوننكية سودانية معناها (القيادة العسكرية)[١]. وذكرها البكري بقوله: "وغانة سمة لملوكهم وأسم البلد أوكار..."[٢]. أما ياقوت الحموي فقال: ".... وغانة كلمـــة أعجميـــة لا أعرف لها مشاركاً من العربية..."[٣].

ومن هنا فقد اطلقت هذهِ الكلمة على المدينة التي كانت بها هذهِ القيادة ثـــم أشيع مدلولها فاطلقت على العاصمة. واتسع مدلولها فصارت علماً على المملكـــة كلها[٤].

واغلب القبائل التي سكنت في مملكة غانا هي من قبائل السوننك وهي فرع من مجموعة القبائل المتكلمة بلغة (الماند)[٥].

وقد تم تقسيم مرحلة الحكم في غانا إلى مرحلتين هما حكم البيضان وحكـــم السوننك[٦]. فقد أورد عدد من المؤرخين أن أول حكومة حكمت غانا من البـــيض كانت من مهاجرين من الشـــمال الأفريقـــي ترجـــع إلـــى حـــوالي القـــرن الأول الميلادي[٧].

---

(١) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص٢٨.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص ٨٧١.

(٣) معجم البلدان، ج٤، ص١٨٤.

(٤) بولم، دنيس، الحضارات الأفريقية، ترجمة: علي شاهين، دار مكتبة الحيـــاة، (بيـــروت، ١٩٧٤م)، ص٤٨؛ الهادي المبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص٢٢.

(٥) أوليفر، رولاند وفيج، جون، موجز تاريخ أفريقيا، تر: دولـــت احمـــد صـــادق، الـــدار المصرية (القاهرة، ١٩٦٩م)، ص٦٨.

(٦) الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي، ص٢٣.

(٧) الدالي، الهادي المبروك، المرجع السابق، ص٢٧؛ السنجري، بان حسين، امبراطوريـــة غانا، ص٢٧١؛ الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شـــرق افريقيـــا وجنـــوب الصحراء، ص٢٣٥.

ولا نعرف معلومات اكثر عن أسرة البيض الحاكمة في غانة وفي القرن الرابع الميلادي، ظهر من هؤلاء البيض زعيم قوي اسمهُ (كارا) عمل على تأسيس دولة نواتها منطقة (كارا) التي تقع بالقرب من مدينة تمبكتو الحالية[١].

ويذكر عبدالرحمن السعدي أن حكام غانة الأوائل كانوا بيضان في الأصل وبلغ عدد ملوكهم نحو أربعة وأربعون ملكاً وأول حكامها هو: "قميع هو الذي بدار السلطنة ودار امارتهُ غانة" وقد حكم من هؤلاء قبل البعثة النبوية اثنان وعشرون ملكاً وبعد البعثة أثنين وعشرين ملكاً[٢].

كما ذكر محمود كعت أسم أحد هؤلاء الحكام الذين عاصرو الرسول محمد (ص) واسمه كنسعي إذ قال: "وحدثني بعض السلف أن أخرهم كنسعي وهو الملك في زمن رسول لله "ص"[٣].

ومع نهاية القرن (٢هـ/٨م) تمكنت أسرة من السوننك من طرد أسرة البيض فكانت اقوى من اسلافهم البيض[٤] وسجل محمود كعت نهاية الحكومة الأولى قائلاً: "ثم افنى الله ملكهم وسلط أراذلهم على كبرائهم من قومهم واستئصالهم وقتلوا جميع اولاد ملوكهم حتى يبقروا بطون نسائهم ويخرجوا الجنين ويقتلونهم"[٥].

وظلت أسرة السوننك التي أصبحت مسلمة تحكم غانة حتى مطلع (ق٧هـ/١٣م) ما عدا الفترة التي سيطر فيها المرابطون على غانة من (٤٦٩هـ/١٠٧٦م-٤٨٠هـ/١٠٨٧م)[٦].

---

(١) حسن، أحمد محمود، الاسلام والثقافة العربية، ص٢٠٤؛ طرخان، مملكة غانا، ص٢١-٢٢.

(٢) تاريخ السودان، ص٩.

(٣) تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق أنساب العبيد من الأحرار، نشر هوداس، باريس، ١٩٦٤م، ص٤١.

(٤) Fage j D: An Introduction to the History of west Africa, (Cambridge, 1962), p20.

(٥) تاريخ الفتاش، ص٤٢.

(٦) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين في نشر الاسلام في أفريقيا الغربية، ص٦٣.

وفي اثناء حكم السوننك لغانة أتسعت مساحة دولة غانة و بلغت ذروة قوتها وسيطرت على الكثير من الممالك المجاورة ففي القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي) ذكر اليعقوبي بأن تحت طاعة ملك غانة عدة ملوك"[١]. وسجل المسعودي كذلك حدود مملكة غانة فقال عنها: "مملكة غانة وملكها عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب وتحت ملوك غانة عدة ملوك وممالك"[٢].

إذ كانت امبراطورية غانا تشمل خمسة أقاليم وكل إقليم من هذهِ الأقاليم الخمسة تعد مملكة قائمة بذاتها[٣]. وهي: مملكة غانا و مملكة مالي. [٤] ومملكة صوصو[٥]. ومملكة كوكو[٦]. ومملكة التكرور[٧].

---

(١) تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د.س)، ج١، ص١٩٤.

(٢) أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، ص٨٨.

(٣) كوروماكان سيدو، التصوف الإسلامي في مالي، ص٨.

(٤) وهي مملكة تقع جنوب الصحراء متصلة بالبحر المحيط، ينظر أبن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الامصار، ج٤، ص١٠٧، وسنتناول هذه المملكة بالتفصيل فيما بعد.

(٥) تعد مملكة الصوصو من الممالك التي كانت تجاور غانة من جهة الشرق وهي من الممالك القديمة في السودان الغربي اشتهرت باسم الشعب الذي يسكنها وهو الصوصو الذي ينتمي الى شعوب الماندينغ، للمزيد ينظر، شعباني، نور الدين، محاضرات في تاريخ السودان الغربي، ص٩٢؛ ج.ت بناني، مالي والتوسع الثاني للماندانغ، تاريخ أفريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٨٨م)، ص١٣٦-١٣٧.

(٦) كوكو مدينة مشهورة في بلاد السودان الغربي تقع على ضفة النهر وان ملك مدينة كوكو ملك قائم بذاته خاضع لنفسه لهُ حشم كثير ودخله كبيرة وقواد وأجناد وزي كامل وهم يركبون الخيل والجمال ولهم بأس وقهر لمن جاورهم من الامم المحيطة بأرضهم، وكان ملكهم مسلم لا يملكون غير المسلمين ويزعمون انهم سموا كوكو لان الذي يفهم من طبلهم ذاك، ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨٢؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٨.

(٧) مدينة في بلاد السودان عظيمة مشهورة وأهلها مسلمون وكفار والملك فيها للمسلمين وأهلها عراة رجالهم ونسائهم ألا أشراف المسلمين فأنهم يلبسون قميص طولها عشرون ذراعاً، وذكر البكري بأنهم يعبدون الاصنام حتى وليهم وأرجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الأسلام وجملهم عليها وحقق بصائرهم فيها وتوفي وارجابي بن رابيس سنة (٤٣٢هـ) فأهل التكرور اليوم مسلمون، ينظر البكري، المسالك، ج٢، ص٨٦٨؛ القزويني، اثار البلاد وأخبار العباد، ص٢٦؛ بناني، مالي والتوسع الثاني، ص١٣١.

وقد سيطرت مملكة غانا على الكثير من المناطق والاقاليم المجاورة لها وشملت مساحتها من النيجر حتى المحيط الاطلسي[1].

وفي القرن (٤هـ/١٠ ميلادي) كانت مملكة غانا من الممالك الغنية والقوية هذا ما أخبرنا به أبن حوقل قائلاً: "وغانة أيسر من على وجه الأرض من ملوكها بما لديهم من الأموال المدخرة من التبر"[2].

وعمل حكام غانة من السوننك على توسيع حدودهم و سيطروا على مدينة اودغست سنة (٣٨٠هـ/٩٩٠م) وانتزعوها من الحاكم اللمتوني وعينوا لها حاكما من السوننك، ومنذ ذلك الوقت أصبحت مدينة اودغست خاضعة لمملكة غانة حتى سيطرة المرابطين عليها في منتصف (ق٥هـ/ق١١م)[3].

وكان نظام الحكم يقوم على أساس المركزية الا في بعض المقاطعات حيث ظل الحكم فيها وراثياً في أسر معينة حتى إذا أحست هذهِ المقاطعات الوراثية الخاضعة للحكم المركزي في كومبي صالح[4] بضعف الحكومة المركزية قامت بمحاولة الانفصال عنها رغبة في الاستقلال[5].

-انتشار الإسلام في مملكة غانة:

وجد الإسلام في هذهِ الامبراطورية منذ عهد مبكر، ولكن المسلمين كانوا اقلية فلم يصبح الإسلام طابع الدولة إلا بعد فتح المرابطين لها[6].

---

(١) طرخان، أبراهيم، إمبراطوريه غانة، ص٣٠.

(٢) صورة الارض، ص١٠١؛ سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٦٣.

(٣) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٢٦٢-٨٦٣؛ عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٦٣.

(٤) كومبي صالح: وهي مدينة قام بتأسيسها الأدارسة وجعلوا منها عاصمة سياسة في منطقة خصبة غرب نهر النيجر، محمد المغربي، بداية الحكم المغربي، ص٢٣٧؛ الدهماني، سالم الدهماني، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب أفريقيا وأثرها في نشر الاسلام واللغة العربي، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد٢٢، (مصر، ٢٠٠٩م)، ص٧٥٢.

(٥) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٢؛ السنجري، بان حسين، إمبراطوريه غانا، ص٢٧٠.

(٦) السنجري، بان حسين، امبراطورية غانا، ص٢٧٢.

حيث ذكر القلقشندي أن أهل غانة قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي لــبلاد المغرب[١]. وجاء الإسلام بعد ذلك عن طريق التجار وهجرات العرب والبربر الى هذهِ المناطق حتى أصبح الإسلام موجوداً في كل قرية ومدينة كما ذكرنا سابقاً.

وفي مطلع القرن (٤هــ/١٠م) نجد أن ملك التكرور وارحابي بن رابــيس (ت٤٣٢هــ/١٠٤م) كان مسلماً وطبق احكام الشريعة الإسلامية بنجاح في مملكتهِ وقد سجل البكري ذلك قائلاً: "...ما بين الغرب والقبلة على النيل مدينة التكـــرور أهلها سودان وكانوا على ماكان عليه سائر السودان عليه من المجوسية حتى وليهم وارحابي بن رابيس فأسلم واقام عندهم شرائع الإسلام..."[٢]. وقام وارحابي بــن رابيس بجهاد ما يليه من أهل السودان وأرسل الدعاة لنشر الإسلام ونجح في نشره بين أهل سلي الذين ذكرهم البكري بأنهم "مسلمون أسلموا على يد وارحـــابي بــن رابيس"[٣].

ومن حكام مدينة اودغست الذين كانوا أكثر حماساً لنشر الإســلام الملــك تيبوتان[٤]. فقد عمل هذا الملك على نشر الاسلام بــين قبائــل الزنــوج الــوثنين المجاورين لهُ جنوباً[٥].

---

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٠.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٨؛ سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين في نشــر الإسلام، ص٦٤.

(٣) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٨؛ دندش، عصمت عبد اللطيف، الثقافة الاســلامية فــي غرب افريقيا على عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، عــدد٢٥٨، (الربــاط، ١٩٨٦م)، ص٧٤.

(٤) ان هذا الملك يسمى يتلوتان بن تلاكاكين اللمتوني عند ابن أبي زرع، الأنيس المطــرب، ص١٢٠؛ وورد عند البكري أنهُ يروتان بن وسينوبن نزار و أنهُ ملك الصـــحراء كلهــا ودان لهُ أزيد من عشرين ملكاً من ملوك السودان كلهم يؤدون لــهُ الجرايــة، المســالك والممالك، ج٢، ص٨٥٠.

(٥) سالم، عمر صلح، دور الحكام السودانيين، ص٦٥؛ السنجري، بان حسين، امبراطوريــة غانا، ص٢٧٤.

وقد سجل البكري وصفاً لمدينة غانا موضحاً فيها حال المسلمين وانتشار المساجد أذ قال: "ومدينة غانه مدينتان سهليتان أحداهما المدينة التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها أثنا عشر مسجداً احداهما يجمعون فيه لها الأئمة ومدينة الملك على سنة أميال وتسمى بالغابة... وفي مدينة الملك مسجد يصلي فيه من يفد عليه من المسلمين[١].

وذكر البكري أيضاً ملوكهم قائلاً: "وأسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين وأربعمائة تنكامين... وكان أسم ملكهم قبله بسي... وكان محمود السيرة محباً للعدل مؤثراً للمسلمين"[٢].

وفي عام (٤٦٩هـ/١٠٦٧م) تمكن المرابطون بقيادة أبي بكر اللمتوني من انهاء الحكم الوثني في غانة وجعلها تابعة سياسياً لدولة المرابطين في الشمال (المغرب الاقصى). وهكذا اعلن الاسلام ديناً رسمياً في المملكة[٣].

وكانت نهاية مملكة غانا سياسياً من السودان الغربي في مطلع القرن (السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي) ويمكن إرجاع عوامل انهيارها الى عامل طبيعي وهو الجفاف الذي حل بالبلاد مما حمل الناس على الهجرة وكذلك جهاد المرابطين واستيلائهم على غانه وما تبعه من اضطرابات أدت الى أضعاف سلطنة السوننك على الامارات التابعة لها ثم غزو قبائل الصوصو الوثنين في عام (٦٠٠هـ/١٢٠٣م) لغانة وتخلصهم من سلطتها[٤]. وأخيراً استطاعت دولة مالي بقيادة ملكها ماري جاطة دخول العاصمة غانة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وخرب ما تبقى من عاصمة غانة وأنهاء وجود الصوصو في المنطقة وكونوا فيما بعد مملكة مالي[٥].

---

(١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧١.

(٣) أبن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص١٣٥؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٣.

(٤) الشيخلي، صباح، تاريخ الإسلام، ص٨٣-٨٤؛ الدالي، الهادي المبروك، التاريخ السياسي، ص٤٢.

(٥) زكي، عبدالرحمن، الإسلام والمسلمون، ص٣٠؛ الشيخلي، صباح، تاريخ الاسلام، ص٨٤.

ثانياً: مملكة مالي: (٦٢٨هـ-٧٩٣هـ/١٢٣٠م-١٣٩٠م):-

تعد دولة مالي أقوى وأغنى الدول الافريقية التي ظهرت في السودان الغربي ويميزها عن غيرها ذلك الدور الكبير الذي نهضت به من اجل توحيد القبائل السودانية داخل وحدات سياسية وكذلك الدور البارز لها في نشر الاسلام والدعوة له في المناطق الوثنية[(١)].

تناول عدد من المؤرخين مملكة مالي وكانوا يطلقون عليها (ملل، ملي، مل، مليت) [(٢)]. فذكر اليعقوبي هذهِ المملكة: "وأما السودان الذين غربوا فسلكوا نحو المغرب، فأنهم قطعوا البلاد... فصارت لهم عدة ممالك.. منها مملكة يقال لها ملل"[(٣)]. وقد أشار البكري بأنها: "بلد أسمهُ ملل"[(٤)]. وأما السعدي فيسميها ملي: "أما ملي فإقليم كبير واسع جداً..." [(٥)]. ولم يرد أسم مالي الا في نصوص القرن الثامن الهجرية عند أبن فضل الله العمري وعند ابن بطوطة والقلقشندي[(٦)].

إذ أن التاريخ المبكر لهذهِ الدولة لا يزال غامضاً وقيل أن ظهورها يرجع الى الحقبة التي تكونت خلالها دولة غانا وذلك قبل البعثة بزمن طويل[(٧)]. إذ أنها

---

(١) طرخان، أبراهيم علي، دولة مالي الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٧٣م) ص٢٥؛ الشيخلي، صباح، أنتشار الاسلام، ص٨٧.

(٢) الدالي، الهادي المبروك، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ط١، دار الملتقى (بيروت، ٢٠٠١م)، ص٢٣ – ٢٤؛ في جي دي، تاريخ غرب افريقيا، ص٥٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي، ج١، ص١٩٣.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٥.

(٥) تاريخ السودان، ص٩.

(٦) المنجد، صلاح الدين، مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، دار الكتاب (بيروت، ١٩٨٢م)، ط٢، ص٨-٧.

(٧) الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٨٧.

تعرف عند المؤرخين أيضاً بأسم بلاد التكرور[١]. وذكر العمري: "وصاحب هذهِ المملكة هو المعروف عند أهل مصر بملك التكرور..."[٢].

فكلمة مالي تحريف كلمة الماندنجو ومعناها المتكلمين بلغة الماندلي[٣].

إذ تأسست مالي على الضفة المجاور لنهر السنغال من قبل الماندنجو[٤].
وتولى الحكم في مملكة مالي ثماني أسر هي كورما وديارا ومركو وكامارا وباكايوكو والترووين والكوناتيين واخيراً أسرة كيتا ولاتمدنا المصادر بمعلومات عن هذه الأسر ما عدا أسرة كيتا التي تعد من اهم الأسر في تاريخ مملكة مالي والتي كان لها الفضل في تأسيس دولة مترامية الاطراف[٥]. وينتمي إلى هذه الأسرة الملك موسى الأكوي الذي حكم مالي (من٥٩٧هـ-٦١٩هـ/١٢٠٠-١٢٢٣م) وهو المشهور في الكتب العربية بأسم برمندانة[٦]. فهو أول من أسلم منهم ثم حج بعد إسلامه[٧]. وقد انجب عدداً من الأولاد من بينهم (ناري فامغان) وقد خلف هذا أباه في الحكم (٦١٩-٦٢٨هـ/١٢٢٣-١٢٣٠م) وانجب ناري فامغان اثني عشر ولداً أصغرهم سندياتا والذي يعد المؤسس الحقيقي لمملكة مالي[٨].

وإن ملك الصوصو الوثني الذي يدعى سومانجورو قد شن حرب على دولة الماندنجو وقتل الكثير من الناس وقضى على جميع أولاد ناري فامغان الأحد عشر[٩]. أما الابن الثاني عشر (سندياتا) فقد هرب الى جنوب البلاد وعاش هناك

---

(١) شبيب، بشار عبد الجبار، دولة مالي، الإسلامية، مجلة جامعة ديالى، (ديالى، ٢٠١٣م) عدد ٥٩، ص٤.

(٢) مسالك الابصار في مسالك الامصار، ج٤، ص١٠٧.

(٣) محمود، حسن احمد، الاسلام والثقافة العربية، ص٢٤٦.

(٤) طرخان، ابراهيم، مالي، ص٢٥.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٢.

(٦) المقريزي، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشبال، مكتبة الثقافة الدينية (بوسعيد، ٢٠٠٠م)، ط١، ص١٤٠؛ الشيخلي، صباح، انتشار الاسلام، ص٨٨.

(٧) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٢.

(٨) القلقشندي، المصدر نفسه، ج٥، ص٢٨٣.عمر صالح، دور الحكام السودان، ص٧١.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٦، عمر صالح، دور الحكام السودان، ص٧١.

وبعد أن شب جمع حوله الكثير من القبائل وعمل على تشكيل خلايا عسكرية ودعـــا سندياتا الى حرب الصوصو باعتبارهم محتلين، وادى الاسلام الى خلق شعور موحد لدى قبائل الماندنجو المسلمين للجهاد ضد قبائل الصوصو الوثنية(١).

وأدرك الصوصو خطورة سنديانا وأزدياد عدد قواته العسكرية فقـــاد ســـوما نجورو ملك الصوصو الوثني جيشاً للقضاء على سنديانا والتقى الطرفان في منطقـــة كيرينا وذلك في سنة (٦٣٣هـــ/١٢٣٥م)(٢).

وأنتصر سنديانا عليهم فتمزقت امبراطورية الصوصو بعد قتل إمبراطـــورهم على سنديانا واستولى الاخير على بلادهم(٣). ثم أتجه الـــى غانـــة وأنتزعهـــا مـــن الصوصو وذلك في سنة (٢٣٨هـــ/١٢٤٠م) واعادها الى الإسلام(٤). وهذا ما اكـــدهُ أبن خلدون حيث قال: "وكان ملكهم الاعظم تغلب على صوصو وفتح بلادهم و أنتزع الملك من أيديهم أسمه (ماري جاطة)"(٥). أذ لقب سنديانا بـــ(ماري جاطـــة) ومعنـــاه الأمير الأسد(٦).

وبعد ذلك وسع سنديانا (ماري جاطة) حدود دولته الى مسافات بعيـــدة فـــي الصحراء والى مناطق الأدغال في الجنوب وأنشأ عاصمة جديدة وهي نيـــاني علـــى النيجر والتي اشتهرت بأسم مالي او ملي أو مل(٧). وبهذا أصبحت مملكة مالي تمتـــد من المحيط الاطلسي غرباً الى نهر النيجر شرقاً ومن غابات الســـافانا جنوبـــاً الـــى الصحراء الكبرى شمالاً(٨).

---

(1) murphy. E.J: History African civilization Thomas, (New York 1971) p114; عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٧١.

(2) Trimngham: History of Islam in west Africa....oxford university, (London: 1962), p.58-59.

(٣) الشيخلي، صباح، أنتشار الاسلام، ص٨٩.

(٤) فيرون، ريمون، الصحراء الكبرى، تر: جمال ناصوري، (القاهرة، ١٩٦٣م)، ص٧٦.

(٥) العبر، ج٦، ص٢٦٦.

(٦) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٦؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٢.

(٧) طرخان، ابراهيم، مالي، ص ٤٢-٤٣؛ الشيخلي، صباح؛ انتشار الاسلام، ص٨٩؛ الهـــادي الدالي، مملكة مالي، ص٢٥.

(٨) الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٢٦١.

وقد وضح القلقشندي حدودها قائلاً: "وحدها في الغرب المحيط وفي الشرق بلاد برنو وفي الشمال جبال البربر وفي الجنوب الهمج..."[١].

أما الحسن الوزان فأنه يوضح بأن مالي تمتد على أحد فروع النيجر في مساحة نحو ثلاثمائة ميل وهي متاخمة لمملكة غانا في الشمال وتتاخمها جبال وعرة وصحراء من الجنوب أما من الغرب فتحدها غابات كثيفة حتى المحيط ومن الشرق يحدها اقليم كانو[٢].

حيث أشتملت هذهِ المملكة على خمسة أقاليم جعلتها من أعظم ممالك السودان الغربي وهي: إقليم مالي وإقليم الصوصو وإقليم غانة وإقليم كوكو وإقليم التكرور وأن كل إقليم من هذهِ الاقاليم الخمسة كان مملكة مستقلة ثم اجمع الكل في مملكة مالي أذ كانت ترتبط بالسلطة المركزية في مالي[٣]. وقد ذكر هذا العمري: "... غالب عند أهل مصر أسم سلطان التكرور فأنه لو سمع هذا أنف منه لان التكرور انما هو إقليم من أقاليم مملكتهُ والاحب اليه ان يقال: صاحب مالي لأنه الاقليم الاكبر وهو به أشهر"[٤].

توفي سندياتا (ماري جاطة) سنة (٦٥٣هـ/١٢٥٥م) وخلفهُ في الحكم من بعده أولادهُ[٥]. كان عهدهم عهد اضطرابات سياسية لكن مملكة مالي عادت الى

(١) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٧١.

(٢) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨١؛ الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٢٦٢- ٢٦٣.

(٤) مسالك الأبصار، ج٤، ص١٠٧-١٠٨.

(٥) ومنهم منسا ولي وكان من أعظم ملوكهم وقام بالحج ومن بعده أخوه (والي) ثم بعده أخوه (خليفة) وكان احمق وبعده سبط من أسباط ماري جاطة أسمهُ (أبو بكر) ثم تغلب على الملك مولى من مواليهم أسمهُ (ساكورة) ويقال (سكيرة) الذي اتسع نطاق مملكتهُ وقام بالحج وقتل وملك بعده (فو) ابن ماري جاطة ثم ملك من بعده (محمد فق) ثم انتقل الى ولد أخيه (أبو بكر) فولي منهم (منسا موسى)... للمزيد ينظر القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٢؛ ينظر: ملحق رقم (١) قائمة سلاطين مملكة مالي.

أمجادها وشهرتها الواسعة في عهد السلطان منسا[١] موسى الذي حكم سنة (٧١٢هـ-٧٣٨هـ/١٣١٢م-١٣٣٧م) ويعد هذا السلطان من ابرز ملوك مالي من أسرة كيتا[٢]. وترجع شهرتهُ الى دوره البارز في نشر الإسلام في أفريقيا الغربية[٣]. و وصفهُ أبن خلدون قائلاً: "كان رجلاً صالحاً وملكاً عظمياً... وعظمت المملكة في ايامه..."[٤]. وذكره العمري أيضاً: "فتح بسيفه وجنده أربعة وعشرون مدينة... وبنى المساجد وأقام فيها صلاة الجمعة..."[٥]. وادى فريضة الحج في موكب ضخم[٦]. وتعد قافلة الحج التي صحبت منسى موسى مظهراً من أروع مظاهر الثراء التي كانت تتمتع به مالي بلاد الذهب يوماً"[٧].

وتوفي منسى موسى سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) بعد ان حكم خمسة وعشرين سنة وخلفه في الحكم ولد (منسا مغا)[٨]. وحكم من (٧٣٨هـ-٧٤٢هـ/١٣٣٧م-١٣٤١م) لكنهُ كان ضعيفاً لم يستطيع المحافظة على انتصارات والده ففي عهده هاجمت قبائل الموشي الوثنية مدينة تمبكتو[٩]. وبعدما توفي تولى الحكم بعده عمه (منسا سليمان) من سنة (٧٤٢هـ-٧٦٢هـ/١٣٤١م-١٣٦٠م) وعلى الرغم من قوته العسكرية الا انهُ لم يستطع استرجاع غاو من حكام السنغاي[١٠]. وأهتم هذا

---

(١) ومعنى منسى بلغتهم السلطان، ينظر القلقشندي صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٢.

(2) Goully, A,L: Islam dons Africa occidental fracaise,(Paris, 1952) p55; عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٧٢.

(٣) زكي، عبدالرحمن، تاريخ الدول الاسلامية، ص١٠٤.

(٤) العبر، ج٦، ص٢٦٧.

(٥) مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٨.

(٦) كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٢؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٧.

(٧) زيادة، نقولا، أفريقيات (دراسة في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي)، ط١، رياض الريس للكتب والنشر، (لندن، ١٩٩١م)، ص٣١٣ وما بعدها.

(٨) ومعنى مغا عندهم محمد، أي السلطان محمد؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٥.

(٩) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٨.

(١٠) طرخان، مالي، ص٩٤.

السلطان بالأوضاع الداخلية كبناء المساجد والاهتمام بالعلماء والفقهـاء[١]. وامـا حكام السنغاي فواصلوا هجماتهم على مالي مما ادى الى سقوط مالي فـي ايـدي ملوك السنغاي[٢]. وهكذا أصبحت مالي إقليما تابعاً لمملكة السنغاي.

- **أنتشار الإسلام في مالي:-**

لقد عرفت مالي الإسلام منذ وقت مبكر بفعل وصول التجار والمهـاجرين العرب والمسلمين اليها كما ادت الحركة المرابطية الى تقوية العقيدة الإسلامية فيها من دون شك[٣].

ويذكر لنا البكري قصة إسلام أول ملوك مالي على يد أحد العلماء المسلمين الموجودين في بلاده إذ قال: "ملك ملل يعرف بالمسلماني وإنما سـمي بـذلك لأن بلادهِ أجدبت عام بعد عام وكان عنده ضيف من المسلمين يقرأ له القـران ويعلـم السنة فشكا أليه الملك هذه همهم من ذلك فقال له: أيها الملك لو أمنت بالله تعـالى وأقررت بوحدانيته وبمحمد "ص" وأقررت برسالته وأعتقدت شرائع الإسلام كلهـا لرجوت لك الفرج مما انت فيه... فلم يزل حتى أسلم وأخلص نيته وأقـراه مـن كتاب الله ما تيسر... فأمره فتطهر وبرز الى ربعة من الأرض فقام المسلم يصـلي والملك عن يمينه فصليا من الليل ما شاء الله فلما انفجر الصباح ألا والله قد عمهـم بالسقي فامر الملك بكسر الدكاكير واخراج السحرة من بلاده وصح إسلامهُ وأهـل مملكتهُ مشركون فسموا ملكهم من ذلك اليوم بالمسلماني"[٤].

ألا أن البكري لم يوضح اسم هذا الملـك ولا تـاريخ إسـلامه[٥]. ولكـن الدرجيني يذكر أن الفقيه الذي تم على يده إسلام ملك مالي يسمى (علي بن يخلف)

---

(١) العمري، مسالك الأبصار، ج٤و ص١٠٧.

(٢) كعت، تاريخ الفتاش، ص٤٣؛ سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٧٤.

(٣) الشيخلي، صباح، تاريخ الاسلام، ص٩٤.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٥-٨٧٦.

(٥) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودان، ص٦٩.

الذي ذهب الى مالي سنة (٥٧٥هـ/١١٧٩م) وهو جد الدرحيني وقد سجل الدرجيني كل ذلك[١].

ومن الدلائل التي تؤكد اعتناق ملوك مالي للإسلام قبل وصول المرابطين ما سجله ابن خلدون قائلاً: "...ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين.."[٢]. وكذلك ما ذكرهُ القلقشندي "... وكان ملوك مالي قد دخلوا في الاسلام من زمن قديم"[٣].

وأتضح ان الاسلام أصبح ديناً رسمياً لمملكة مالي منذ نهاية (ق٥هـ/ق١١م)[٤]. وأصبحت قبائل الماندنجو أكثر تمسكاً بالإسلام وكان المذهب المالكي هو المذهب السائد لمملكة مالي[٥].

ثالثاً:- مملكة سنغاي(٨٦٩-١٠٠٠هـ/١٤٦٤-١٥٩١م):-

تأسست مملكة سنغاي في إقليم دندني على ضفاف نهر النيجر[٦]. وتعد اخر ممالك السودان الغربي التي ازدهرت في المناطق الواقعة ما بين حوض نهر السنغال والنيجر[٧]. وأن كلمة سنغاي نسبة الى قبيلة سنغاي التي تسكن حوض نهر النيجر[٨]. ووردت كلمة سنغاي في المصادر والمراجع بعدة الفاظ فذكرها كل

(١) انظر ابو العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ)، طبقات المشائخ بالمغرب، تح: أبراهيم طلاي، ج٢، ص٥١٧-٥١٨.

(٢) العبر، ج٦، ص.

(٣) صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨١.

(٤) سالم، عمر صالح، دور الحكام السودانيين، ص٧٠.

(٥) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١٤٢؛ الشيخلي، صباح، انتشار الإسلام، ص٩٥.

(٦) طرخان، أبراهيم علي، امبراطورية صنغي الاسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، السعودية، ١٩٨١م، عدد٨، ٧-٨؛ عمر صالح، دور الحكام السودان، ص٧٥.

(٧) الفيتوري، عطية مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص١، ٣.

(٨) الفاجالو، محمد، الحياة العلمية في دولة صنغاي، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة أم القرى، (مكة، ١٩٩٣م)، ص١٨.

من السعدي وكعت بلفظ (سغي)[١]. وبعد الاطلاع على مجموعة من المراجع تبين أنها قد وردت بعدة أسماء منها: صنغاي وسونفهاي والصنغي وسنغاي.

فإن سنغاي هي قبيلة كانت تسكن النيجر حول حدود الغابات الاستوائية ثم توسعت الى الشمال وأسست حوالي القرن (الأول الهجري/ السابع ميلادي) دولة لها، وذكر الوزان أنهم أناس في غاية السواد والخسة[٢].

وقد ظهرت مملكة السنغاي على مسرح الاحداث في السودان الغربي في (القرن الأول هجري/ السابع ميلادي) وذلك حين تولت الحكم أسرة الأزواء والذي تحول أسمها في القرن (الثامن هجري/رابع عشرميلادي) الى أسرة سن أوشن[٣].

وقد اختلف المؤرخون حول نسب الأسرة الحاكمة فمنهم من قال أنهم من اليمن ومنهم من أرجعهم الى شمال أفريقيا، فقد ذكر المؤرخ السوداني عبدالرحمن السعدي بأن أصل الصنغي من اليمن: "... وأول من تملك من الملوك زا الأيمن وقيل إنهُ خرج من اليمن هو وأخوه سائرين في أرض الله تعالى حتى أنتهى بهما القدر الى بلد كوكيا.."[٤].

وأشار الحسن الوزان الى الاصل الليبي للأسرة فذكر عند حديثهُ عن أهل مالي ان الذي حكمهم عند إسلامهم هو أكبر امراء ليبيا ودام الحكم في عقبه الى عهد أسكيا[٥].

وقد روى المؤرخ السوداني محمود كعت بأن نسب أسرة الأزواء يعود أساساً الى أصول عربية اذ سجل ذلك قائلاً: "أن أصل ملوك السنغي ثلاثة أخوة

---

(١) تاريخ السودان، ص٢؛ تاريخ الفتاش، ص٢٤- ٢٥.

(٢) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٢.

(٣) كعت، الفتاش، ص٤٣.

(٤) تاريخ السودان، ص٤.

(٥) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٤.

من أسباط جابر بن عبدالله الأنصاري[١] من المدينة ووصل الثلاثة الى بلاد سنغي فكان أهلها يعبدون الحوت فقتله أكبرهم وبايعوه ملكا عليهم"[٢].

وعلى الرغم من اننا لا نستطيع ان نهتدي الى حقيقة النسب للأسرة الحاكمة في سنغاي لكننا نستطيع أن نقول أن ظهور هذا النسب يعد أشاره مهمة لتحديد الوقت الذي وصل فيه العرب وعقيدتهم الإسلامية الى تلك المناطق[٣].

ولقد حكم من أسرة الأزواء المعروفين احدى وثلاثون ملكاً[٤]. أول من تملك فيها هو زا الأيمن ومن بعده أخرون كان عددهم أربعة عشر ملكاً ماتوا جميعاً في جاهلية والذي اسلم منهم زاكسي وذلك في سنة اربعمائة للهجرة ومن بعده أخرون كان عددهم سبعة عشر وجميعهم مسلمين[٥].

---

(١) جابر بن عبدلله بن عمرو بن حزام الأنصاري السلمي (ت٧٨هـ/٦٩٧م) وهو صحابي جليل من الأنصار وهو من الذين أسلموا في مكة؛ ابن هشام، محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ) السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا واخرون، مطبعة مصر (القاهرة، ١٩٥٠م) ج٣، ص١٠٧.

(٢) تاريخ الفتاش، ص٢٩-٣٠.

(٣) الشيخلي صباح، انتشار الإسلام، ص١٠٠.

(٤) من الملوك الوثنين١- زا الايمن ٢-زازكي ٣- زانكي ٤-زاكو ٦-زاعلي ٧-زابي زوي كيم ٨-زابي ٩-زاكري ١٠- زيم كروي ١١-زايم ١٢-دنك كبيع ١٣-زاكوكري ١٤-زاكنكن ومن الملوك المسلمين ١-زاكسي(مسلم دام) ٢-زاكسي داربي ٣-زاهن كزونك دم ٤-زابي زوي كيم ٥- زانتاسني ٦- زابي كين كنب ٧-زاكين شينب ٨-زانب ٩-زايم داد ١٠- زافدرو ١١-زاعلي كر ١٢-زابير فلك ١٣-زاياسي ١٤-زادور ١٥-زازنك باو ١٦- زايس بار ١٧- زابدا، ينظر: السعدي، تاريخ السودان، ص٣.

(٥) السعدي، المصدر نفسه، ص٣؛ عبدالرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية، ص١٣٥.

وكانت كوكياً[1] أقدم العواصم المعروفة لمملكة السنغاي ولكن من سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) أصبحت مدينة جاو[2] عاصمة السنغاي[3].

وفي أخر عهد أسرة الأزواء خضعت السنغاي لمملكة مالي ولضمان ولاء السنغاي لحكام مالي وخوفاً من أستغلال السنغاي آخذ ملوك مالي ولدي ملك السنغاي (أزياسي) وهما (علي كولن وسليمان نار)[4].

وهربت الرهائن بعد وفاة (منسا علي)[5]. وبدأت سنغاي تشق عنها الطاعة على سلاطين مالي بعد وفاة (منسا موسى) (٧٣٨هـ-١٣٣٧م) حتى تحررت نهائياً من سيطرة مالي وبدأت في بناء قوتها العسكرية[6]. وتمكن علي كولن من أعادة أسرة الأزواء الى حكم سنغاي واتخذت لقباً جديداً هو سن أوشي[7]. وفي أقل من ثلاثين عاماً استطاع سن علي (٨٦٩-٨٩٨هـ/١٤٦٤-١٤٩٢م) من تحويل سنغاي من دولة صغيرة الى إمبراطوريه كبيرة وكان هو أول إمبراطوراً لها[8].

---

(١) كوكيا: مدينة تقع على جانب نهر النيجر الشرقي بالقرب من مصيبة وتقع على بعد ١٢٠ كم، ينظر السعدي، تاريخ السودان، ص٤؛ شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، (القاهرة، ١٩٧٢م)، ج٦، ص١٢٢.

(٢) مدينة تقع جنوب شرق تمبكتو على بعد ٦٤كم وتقع على نهر النيجر أسست سنة (٧١هـ/٩٦٠م) وازدادت أهميتها الاقتصادية بعد استغلال النحاس في تكدا حيث ينقل النحاس عن طريقها الى مالي، ينظر: العمري، مسالك الابصار، ج٣، ص٣٤؛ وناس، زمان عبيد، تاريخ مدينة كاو، دار الايام، (عمان، ٢٠١٥م)، ص٢٣.

(٣) زمان عبيد، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة جاو، ص١٠١.

(٤) السعدي، تاريخ السوادن، ص٥-٦؛ أمين، محمد محمد، علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك، مجلة دراسات افريقية (القاهرة، ١٩٧٥م) عدد٤، ص٢٧٦.

(٥) السعدي، م. المصدر السابق، ص٦؛ محمد امين، المصدر السابق، ص٢٧٦.

(٦) محمد أمين، علاقات دولتي مالي وسنغاي، ص١٧٧.

(٧) السعدي، تاريخ السودان، ص٦.

(٨) محمد امين، علاقات دولتي مالي وسنغاي، ص٢٧٧.

وفي عام (٨٩٨هـ/١٤٩٢م) توفي سني على في ظروف غامضة وخلفهُ على العرش أحد كبار قادتهُ وهو محمد ابو بكر الطوري[١]. وقيل السلنكي وبذلك بدأ، عهد جديد لأسرة جديدة قدر لها أن تقود هذهِ الدولة ولقب سلاطينها بلقب (أسكيا أو أسقيا)[٢]. وحكم الأساكي بلاد السودان الغربي نحو قرن من (٨٩٩هـ-٩٩٩هـ/١٤٩٣-١٥٩٠م) وازدهرت السنغاي في عهدهم[٣].

ويعد الاسكيا محمد بن أبو بكر من ابرز ملوك السنغاي ووصفهُ محمود كعت قائلاً: "له من المناقب وحسن السياسة والرفق بالرعية والتلطف بالمساكين مالا يحصى.... وحب العلماء الصالحين والطلبة وكثرة الصدقات وأداء الفروض..."[٤]. وقد حكم الأسكيا الحاج محمد فترة طويلة لم يحكمها أحد من ملوك السودان الغربي قبلهُ جاوزت ثلاثين سنة، ضم خلالها دولة مالي الى مملكة وحارب البربر في الشمال وقبائل الموشي في الجنوب وأنتصر عليهم جميعاً وقد توفي عام (٩٤٩هـ/١٤٥٢م)[٥].

أما عن نهاية الاسكيا محمد فقد ثار ضده ثلاثة من أولاده بزعامة أكبرهم موسى فعزلوا أباهم ونصبوا موسى بدله وبقي الاسكيا محمد يقاسي الالم واليأس

---

(١) يرجع المؤرخون نسب محمد بن أبو بكر الى اليمن والى جابر بن عبدالله الأنصاري أذ يقول كعت "أمير المؤمنين وسلطان المسلمين أبي عبدالله اسكى محمد بن أبي بكر ويلقب أبوه بالرلوم بن علي بن عبدالله بن الحسن بن عبدالله بن أدريس بن يعقوب بن أسحاق بن يوسف بن الحسن بن عبد العزيز بن شقيان بن صالح بن لؤي بن محمد اليمني بن أبي بكر بن علي بن موسى بن حسين بن ألياس بن جابر بن عبدالله الأنصاري" تاريخ الفتاش، ص٥٩.

(٢) يذكر السعدي أنهُ لما بلغ انتصار محمد الطواري وتوليه العرش الى بنات سن علي فقلن ((أسكيا)) وهي كلمة تعني في كلامهم "لا يكون أياه" فلما سمع الطوري ذلك أمر ألا يلقب إلا به، فقالوا أسكيا محمد، ينظر تاريخ السودان، ص٤٠.

(٣) زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الأسيقيين، ص٤٠.

(٤) تاريخ الفتاش، ص٥٩.

(٥) نوري، دريد عبدالقادر، تاريخ الإسلام في افريقيا جنوب الصحراء، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٨٥م، ص١٥٧.

الى أن توفي[١]. وخلفه في الحكم (١٢ ملكاً)[٢] غير انهُ لم يصل أحد منهم الى مستوى الأسكيا محمد بأستثناء واحد منهم وهو ولده داود الذي حكم من سنة (٩٥٦هـ-٩٩١هـ/١٥٤٩م-١٥٨٣م)[٣]. وبعد وفاة أسكيا داود اضطربت أوضاع السنغاي من بعده فدخل أولاده في صراع على الحكم[٤]. مما أدى الى سقوط إمبراطوريه السنغاي بسبب الضعف الذي أصابها نتيجة المشاكل الداخلية وكثرة الحروب الداخلية التي شنها الاساكي على البلاد المجاورة مما انهكت قواهم العسكرية شجع أعدائهم ضدهم[٥].

وفي ظل هذهِ الأوضاع المتدهورة وصلت طلائع الحملة السعدية التي أرسلها أحمد المنصور السعدي عام (٩٩٩هـ/١٠٩١م) فانهارت على اثر ذلك مملكة سنغاي ونزح ما تبقى من امراء الأسكيين الى مدينة دندي في أقصى جنوب شرق مملكة السنغاي[٦]. وبهذا أسدل الستار على مملكة. سنغاي القوية امام السعديين[٧].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٨٠ – ٨١؛ الشيخلي، صباح، أنتشار الاسلام، ص١٠٣.

(٢) ينظر: ملحق رقم (٢) قائمة سلاطين مملكة سنغاي ومدة حكمهم.

(٣) كعت، تاريخ الفتاش، ص٩٣.

(٤) كعت، الفتاش، ص١٢٥.

(٥) نوري، دريد عبدالقادر، تاريخ الإسلام، ص١٥٧.

(٦) عبدالله عيسى، أثر الإسلام على المجتمع الافريقي مملكة سنغاي نموذجاً، مجلة جامعة عدد٣٦، (القدس، ٢٠١٥م)، ص٢٨٣.

(٧) تنتسب هذه الدولة الى السعديين الذين هم سلالة من الاشراف ينتسبون الى محمد ذو النفس الزكية هاجروا من الحجاز في القرن (التاسع هجري/ رابع عشر ميلادي) نحو بلاد المغرب وسكنوا في وادي درعة وبدأوا بنشر دعوتهم عن طريق الفرق الصوفية في جنوب المغرب وحاربوا حكام المغرب من الوطاسيين واستولوا على مراكش واغادير وفاس وتلمسان حتى تمكنوا من توطيد دعائم ملكهم في البلاد وكانت فترة حكمهم (٩٦١-١٠٦٩هـ/١٥٥٤-١٦٥٩م)، ينظر: الناصري، الاستقصاء، ج٥، ص٣ وما بعدها.

- **انتشار الإسلام في مملكة السنغاي:-**

تتشابه مملكة السنغاي مع مملكة غانة ومالي في استجابتها للإسلام والمؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الوافدة من الشمال الأفريقي والتي أنتشرت انتشاراً واسعاً في تلك الجهات[١].

فإن أهم حدث في تاريخ مملكة السنغاي في عهد أسرة الازواء هو أعتناق حكامها الإسلام وفي الواقع أن انتشار الاسلام في السنغاي جاء نتيجة لنشاط التجار العرب المسلمين وأن انتقال العاصمة من كوكيا الى غاو الواقعة عند الطرف الجنوبي لطرق القوافل الكبرى كان عاملاً مساعداً في انتشار الإسلام[٢].

أذ كان أول ملك أسلم في السنغاي من أسرة الأزواء يسمى (زاكاسي) عام (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) والذي أسلم على يد تجار من المغرب في العاصمة غاو واصطلح على تسميتهُ في لغة السنغاي (مسلم دام) ويعني هذا أي الذي أسلم بمحض ارادتهُ وليس عن طريق الإرغام[٣].

وان العاصمة جاو تعد من اهم المدن السودانية التجارية في الطرف الجنوبي من الصحراء الكبرى فكان للمد الإسلامي المستمر من الشمال الأفريقي بفعل العامل الفكري والاقتصادي المتمثل برجال الدين والتجار أثر هام في تكوين الطبيعة السكانية للمدينة وجعلها مدينة تتميز باختلاف عناصرها السكانية ووحدة العادات والتقاليد الاجتماعية بعدما امتزجت فيها الحضارة العربية الإسلامية بالحضارة السودانية المحلية[٤].

---

(١) عطيه مخزوم، دراسات في تاريخ شرق أفريقيا، ص٣٠١.

(٢) رونالد ويدنر، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، ص٣٧.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٣؛ توماس، الدعوة الى الإسلام، ص٣٥٥؛ دريد عبدالقادر نوري، أنتشار الاسلام في افريقيا، ص١٥.

(٤) عبيد، زمان، الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة جاو، ص١٠١- ١٠٢.

وكانت مدينة جني[١] من أهم المدن السودانية على انتشار الإسلام في معظم أنحاء السودان الغربي ويعود تاريخ إسلام مدينة جني الى نهاية القـــرن (الســـادس هجري/ الثاني عشر ميلادي) فقد ذكر السعدي ان ملكها (كنبرو) أعتنق الإســـلام بحدود التاريخ الماضي على أيدي بعض الدعاة النشطين ثم تبعه كل شـــعبه. وقـــد اكد السعدي ذلك بقوله: "فأن المسلمين كانوا في هذهِ المدينة وأن الملك (كنبرو) لما عزم الدخول في الإسلام جمع علماء مملكته من المسلمين جميعاً وكان عددهم يبلغ (٤٢٠٠مسلم) ثم طلب منهم أن يدعوا الله تعالي له بالنصر على الأعـــداء ونتيجـــة لصدق إسلامه فقد هدم دار السلطنة وبني محلهُ مسجداً كبيراً للمسلمين"[٢].

ان مملكتي مالي وسنغاي لم تصلا الى ما وصلا إليه من عظمة وقـــوة الا بعد أن أضحى الإسلام عصب قوتها الروحية والمادية وصارت اللغة العربية لغة الكتابة الرسمية[٣].

---

(١) جني: أنشئت سنة ٤٣٥هـ/١٠٣٣م وتقع على مسافة ٦٠ كم الى الجنوب الغربـــي مـــن تمبكتو وكانت هذهِ المدينة مركزاً للتجار البربر الملثمين والعلماء العرب والدعاة الـــذين تميزوا بلباسهم الأبيض، الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦.

(٢) تاريخ السودان، ص٢١، نوري، دريد عبدالقادر، ص١٥- ١٦.

(٣) عبدالله عيسى، أثر الإسلام على المجتمع الأفريقي، ص٢٨٤.

الفصل الثاني

هجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي(ق٥-١٠هـ)

المبحث الأول: دوافع هجرة القبائل العربية والبربرية
المبحث الثاني: القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد السودان الغربي
المبحث الثالث: القبائل البربرية المهاجرة إلى بلاد السودان الغربي
المبحث الرابع: الهجرات الفردية

المبحث الاول

دوافع الهجرة

أولاً: مفهوم الهجرة لغةً وأصطلاحاً:-

١-**الهجرة في اللغة:** الهجر ضد الوصال ولها معاني عدة أهمها الترك والقطع والأعراض[١]. وتقول هجرت الشيء إذا تركتهُ وأغفلتهُ[٢].

٢-**الهجرة في الاصطلاح:** وتعني الخروج من أرض الى أخرى وانتقال الافراد من مكان لآخر سعياً وراء الرزق[٣].

ثانياً: دوافع هجرة القبائل العربية والبربرية الى بلاد السودان الغربي:-

هناك الكثير من الدوافع كان لها أثراً كبيراً في تزايد اعداد المهاجرين الى بلاد السودان الغربي وشجعتهم على الاقامة فيه وكانت أهم هذهِ الدوافع هي:-

١-**الدوافع الطبيعية:**

ساعد خلو حدود السودان الغربي من الموانع الجغرافية والعوائق الطبيعية التي تحد من اتصاله بالأقاليم المجاورة، الموجات البشرية أن تجد لها مسالك دائمة ومتعددة عبر التاريخ ومن ثم تكوين تجمعات بشرية وسط القبائل المحلية وهي هجرات لم تتم في مدة واحدة أو بنسب متماثلة فقد شهدت بعض الفترات التاريخية موجات أشد وهجرات أكثر[٤].

إذ أتسمت المنطقة الواصلة بين بلاد المغرب الإسلامي وبلاد السودان الغربي بعدة مزايا سواء من الناحية الجغرافية أو الطبيعية أهمها عدم وجود عوائق طبيعية، والمتمثلة في الجبال والمرتفعات وغيرها، الأمر الذي ساهم بشكل كبير

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص٢٥٠-٢٥٢.

(٢) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ)، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ٢٠٠٥م)، ص٦٣٧.

(٣) ضيف، شوقي، المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولية، (مصر، ٢٠٠٤م)، ص٩٧٣.

(٤) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي من خلال المصادر العربية، أطروحة دكتوراه غير منشور، جامعة الامام محمد بن سعود، (السعودية، ١٤٢٥هـ)، ص٢٤٢.

وعملي في التنقل والتواصل بين شعوب تلك البلدان دون صعوبات تـذكر فضـلاً عن التبادل الاقتصادي ووفرة مياه الانهار والأمطـار وكـذلك خصـوبة التربـة وجودتها، ففي السودان الغربي نهران هما نهر السنغال الذي يبلغ طولـهُ حـوالي ١٧٠٠كم ونهر النيجر الذي يبلغ طوله ٤٢٠٠كم وهمـا يصـبان فـي المحـيط الاطلسي وقد أعتمدت شعوب تلك المنطقة عليهما فـي عمليـة النقـل والصـيد والزراعة وتربية الماشية الأمر الذي أدى الـى الازدهـار والتقـدم الأقتصـادي والحرفي[١].

ومما لاشك فيه أن الصحراء شكلت جسراً تم من خلاله التواصل بين بـلاد السودان والعالم الخارجي في العصور الإسلامي فمن خلالها وعبرها كانت تمـر السلع ومعها الثقافات والأفكار، ولأهمية هذا الدور فأنهُ يستحيل فهم تاريخ السودان دون ربطه بالصحراء ولهذا فأن كثير من الدراسات التاريخية تنتهي الى اسـتنتاج مفاده أن الصحراء لم تشكل قط عائقاً في تواصل بلاد السـودان الغربـي بـبلاد المغرب ومصر[٢]. إذ يسرت تحرك القبائل العربية والبربرية صوب بلاد السودان الغربي[٣].

ومن الدوافع الطبيعية التي أسهمت في هجرة الكثير من القبائل هي حالات الجفاف والقحط التي مست الجزيرة العربية لعصور متتالية، فبحثاً عن متطلبـات العيش أنتقلت قبائل عربية الى الأرض الأفريقية وأستقرت بها، فحمل هؤلاء معهم

---

(١) ديبوا، فيلكس، تمبكت العجيبة، تح: عبدالله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٣م)، ص٤٩.

(٢) الياس، أحمد حسين، طرق القوافل عبر الصحراء والمسالك الافريقية جنوب الصـحراء الكبرى في المصادر العربية، مجلة دراسات أفريقيـة، عـدد٦، (السـودان، ٢٠٠٨م)، ص٧٧.

(٣) حورية مجاهد، تاريخ انتشار الاسلام، ص١٦.

عاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم الوثنية، ولاسيما المهن اليدوية التي مارسوها والصناعات النحاسية وتحديداً صناعة الأسلحة كالقسي والرماح والسيوف[1].

فضلاً عن ذلك فإن وفرة آبار المياه في الطرق التجارية التي تربط الشمال الافريقي بالسودان الغربي عبر الصحراء الكبرى كان عاملاً مهماً في تسهيل عملية تنقل السكان والقوافل التجارية، وهذا يعد معلماً من معالم الطريق التي تعتمد عليها القوافل والمهاجرون المتجهون نحو بلاد السودان الغربي، فقد عمد الوالي عبد الرحمن بن حبيب الفهري منذ عام (١٢٨هـ/٧٤٥م) الى حفر الآبار ومنها بئر الجمالين عبر مفاوز الصحراء الكبرى على طول الطريق الصحراوي الغربي الرابط بين تامدلت وأودغست[2]. وأهم الآبار التي اشار اليها البكري في هذا الصدد هي: بئر (أمان تيسن) و(تنودادن) وبئر (توتين أن أي ابار الأمير) وبئر (أمان سيدان أي ماء النعام) وهذهِ الآبار على طول الطريق الرابطة بين درعة وسجلماسة فضلاً عن بئر (الجمالين) وأبار (ماء تندفس) التي يحفرها المسافرون وبئر (ويطنونان) وغيرها[3].

٢-الدوافع الدينية:

تشير كثير من الابحاث على أن التركيبة السكانية للسودان الغربي منذ أقدم العصور قد تأثرت بموجات مهاجرة إليه من مناطق متعددة بعضها من داخل القارة الأفريقية وبعضها الآخر من خارجها، وقد كان الدافع الديني لهذهِ الهجرات غائباً فيها[4]. لكن مع الأستقرار الاسلامي في الشمال الافريقي برز العامل الديني كأحد أهم حوافز الهجرة الى بلاد السودان الغربي سواء من خلال بعض الحملات الجهادية المبكرة التي قصدت تبليغ الدعوة الاسلامية والمحافظة على حدود الدولة

(١) محمد، ظاهر جاسم، أفريقيا في العصور الإسلامية، ط١، دار الجنان، (عمان، ٢٠١٢م)، ص٢٨.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤٦-٨٤٧.

(٤) فرانسوا دي ميديروس، شعوب السودان: تنقل السودان، مقال ضمن كتاب (تاريخ أفريقيا العام)، ج٣، ص١٥٠-١٥٤.

العربية الاسلامية أو نتيجة للتضيق على القبائل المغربية الصــحراوية بــالحملات الجهادية في المغرب الأقصى وأطراف الصحراء[١]. مما ساهم في تنافس القبائــل الصحراوية بعضها مع بعض وأنتقال كثير من أفرادها الى العمق السوداني نتيجة للتضيق عليها وأستقرارهم فيه وتكوين تجمعات بشرية مقيمة فــي بعــض مــدن السودان الغربي[٢]. وقد استمر ذلك النشاط الجهادي خلال فترة عهــد المــرابطين (٤٤٨-٥٤١هـ/ ١٠٥٦-١١٤٦م) مؤثراً في تنامي معدلات الهجرة الى السودان الغربي[٣]. واتخذت هجرتها نحو الجنوب طــابع الجهــاد المقــدس[٤]. وقــد أدت الحملات الجهادية التي قام بها المرابطون داخل مملكة غانة والسودان الغربي الى تشجيع كثير من القبائل البربرية للإقامة فيها كما أن العلاقــات الســلمية حظيــت بأنتقالات مستمرة للقبائل البربرية من المغرب مروراً بالصحراء ومن ثم الأقامــة والأستقرار في بلاد السودان الغربي[٥]. وقد أنشأ هؤلاء المهاجرون مدناً خاصــة لهم تجاور الممالك السودانية وتضاهيها وجاء ذلك بدافع نشــر الإســلام وحمــل الدعوة الإسلامية ومن ثم تبليغها للعباد فأضفى ذلك بعداً جذرياً علــى الهجــرات عندما لم تعد مسألة تلبي مصلحة ذاتية فقط[٦].

ومنذ قيام مملكة مالي الإسلامية أوائل القرن (السابع الهجري/ ثالث عشــر ميلادي) تتابعت اعداد كبيرة من المهاجرين اليها للإقامة فيها لأغراض ورغائــب مختلفة وكان العامل الديني واضحاً في نشاط كثير من هؤلاء المهــاجرين أثنــاء أقامتهم في مدن وقرى وأرياف السودان الغربي وسواء كانــت هــذهِ الهجــرات

(١) محمود، حسن احمد، قيام دولة المرابطين، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٥٧م)، ص٤٣.

(٢) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٧؛ محمود، حســن أحمــد، المرجــع الســابق، ص٤٣.

(٣) عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٤٣.

(٤) حسن أحمد، المرجع السابق، ص٤٣.

(٥) عبد العزيز بن سعد، انتشار الإسلام في السودان الغربي، ص١٤٠.

(٦) المرجع نفسه، ص١٤٠-١٤١.

جماعية أو فردية فأن الأنشطة الدينية التي مارسها المهاجرون تظهر حماسهم الدعوي والتعليمي وسط المحليين[١]. ونتيجة لتزايد أعداد المهاجرين بدت الحاجة في السودان الغربي الى تأسيس مدن لأقامتهم فيها، بعضها تم أستحداثها كمدن مستقلة بينما بعضها الأخر الحق بالمدن السودانية[٢]. وتظهر الشهرة العلمية والدينية لهذهِ المراكز مقدار الرغبة والجهد اللذين بذلهما المهاجرون في أحياء الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي والتي كانت دافعاً قوياً للمهاجرين أثناء هجرتهم اليه[٣].

٣-الدوافع السياسية:

من الحقائق الثابتة تاريخيا أن للحالة السياسية قدرة على التأثير بشكل مباشر في حركة الهجرات سلباً أو أيجاباً، فالحياة السياسية المستقرة والاوضاع الداخلية الآمنة كانت من أهم مغريات الجماعات المهاجرة ولقد أثنت المصادر على حالة السودان الغربي السياسية والأمنية[٤]. ومن أهم الدوافع السياسية التي شجعت على زيادة معدلات الهجرة الى بلاد السودان الغربي هي:-

أ. كانت الحياة السياسية مستقرة في بلاد السودان الغربي منذ قيام مملكة مالي فيه، حتى وصف ملوكها بأنهم: "أعظم ملوك السودان وأوسعهم بلاداً وأكثرهم عسكراً وأشدهم بأساً وأعظمهم مالاً وأحسنهم حالاً وأقهرهم للأعداء وأقدرهم على أضافة النعماء"[٥]. فقد أدت حالة الاستقرار السياسي الطويل الى خلق مناخ ملائم للعيش والإقامة فيه.

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٥؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٤٣.

(٢) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٨؛ السعدي، تاريخ السودان، ص١٠؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٤٣.

(٣) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٤٣.

(٤) المرجع نفسه، ص٢٤٤.

(٥) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٨.

ب. أشتهرت بلاد السودان الغربي بالأمن، فقد تجول أبن بطوطة فيها خلال رحلته ولم يصحب خلالها الا ثلاثة افراد وذكر بأنه: "لا حاجة الى السفر في رفقة لأمن تلك الطرق"[١]. كما عد أبن بطوطة من محاسنهم قلة الظلم وأتساع دائرة الأمن في بلادهم فلم يكن المسافر أو المقيم يخاف من لص أو مغتصب[٢].

ج. ساهم ترحيب ملوك السودان بالمهاجرين في أستمرار قدومهم الى بلاد السودان الغربي، فمنذ أن نشأت مملكة مالي أظهر ملوكها تقديرهم للمهاجرين فأثناء حكم ساكورة (٦٨٤-٧٢١هـ)[٣] شهد السودان الغربي حركة هجرات جماعية وفردية اليه بفضل ما قدمهُ ساكورة لهم من التسهيلات والإغراءات[٤]. أما منسى موسى (٧١٢- ٧٣٨هـ) فشهدت لهُ المصادر العربية أنهُ كان "يحب البيضان ويحسن اليهم"[٥]. وواصل ملوك السودان سياسة التودد للمهاجرين وتقريبهم في المناصب الإدارية والدينية وتقديم الهدايا والاعطيات لهم مما زاد في معدلات الهجرة العربية والبربرية الى السودان الغربي[٦].

د. وكذلك كان من أسباب هجرة القبائل الى بلاد السودان الغربي هو سوء الأوضاع السياسية في مدن واقاليم الدولة العربية الاسلامية حيث انتشرت الصراعات والفتن والثورات الداخلية زمن الخلافة الإسلامية وما رافق هذهِ الصراعات من مطاردة الخصوم السياسيين والانتقام منهم ومن أتباعهم حتى

---

(١) الرحلة ، ج٢، ص٢٥٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٥.

(٣) هو مولى لملوك مالي تغلب على ملكهم واصبح سلطاناً عليهم بعد السلطان ابي بكر سبط ماري جاطة، وقد حج الى مكة وقتل أثناء عودته من الحج وكانت دولته ضخمة أتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم وأفتتح بلاد كوكو وضمها الى ملكهم، ينظر، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ كعت، تاريخ الفتاش، ص٨.

(٤) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٧.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٥.

(٦) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٤٥.

التصفية الجسدية فلم يبقى أمام المطارد الا الفرار الى أي مكان طلباً للحياة والأمن والأستقرار(١).

ه. وقد اقترنت هجرة القبائل من المغرب والصحراء بكثير من الأحداث السياسية التي حدثت في المغرب بسبب كثرة الفتن والثورات وتسلط بعض الحكام والولاة فضلاً عن ظهور نزاعات قبلية(٢). كانت سبباً في جعل الكثير من سكان المغرب يفضلون الرحيل منه والإقامة في الصحراء أو الاتجاه الى بلاد السودان الغربي والذي عرف عن بعض ملوكه العدل والأنصاف فضلاً عن تقدير المسلمين(٣).

و. كان لقيام دولة المرابطين أهمية كبرى للقبائل البربرية وجذبها الى المناطق المتاخمة لبلاد السودان الغربي حيث فرضت سلطانها على المناطق الصحراوية مما شجع الكثير من القبائل البربرية ولاسيما الصنهاجية على الهجرة والاستيطان فيها ومن ثم تهيأت الفرصة لهذهِ القبائل ولغيرها بالتوغل في أقاليم السودان الغربي(٤).

٤-دوافع اجتماعية:

أشتهرت شعوب السودان الغربي بالود واللطف فقد كانوا "في غاية سعة الصدر والطمأنينة... يأخذون كل قول يقال لهم بالقبول والصدق"(٥). كما أشتهروا بالإحسان للغرباء والترويح عنهم(٦). فكانت هذهِ الخصال الاجتماعية الحسنة

---

(١) الحبيب، موسى جمعة، طرق انتشار الإسلام في غرب افريقيا، ص٤-٥.

(٢) سعد زغلول، تاريخ المغرب العربي، ج٢، ص٤٨٣-٤٨٤؛ عبد الرزاق، محمود أسماعيل، الخوارج في بلاد المغرب، ط٢، دار الثقافة، (المغرب، ١٩٨٥)، ص٣١-٣٨.

(٣) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧١؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٢؛ عبد العزيز بن سعد، انتشار الإسلام، ص١٤٣.

(٤) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٣؛ عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص١٤٣.

(٥) العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٤-١٢٥.

(٦) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٨٧، ج٢، ص١٦٢.

علامة على حسن نواياهم فهم لا يشعرون بالكره أو الغيرة من وافد عليهم أو مقيم بينهم ولا يظهرون له بغضاً أو إساءة بل كانوا يسارعون الى مد يد العون للمقيمين في بلادهم، وتهيئة المكان المناسب لأقامتهم فيكتـــرون لهـــم الـــدور المناســـبة أو يستضيفونهم أحياناً في منازلهم ويقدمون لهم مختلـــف أنـــواع الأطعمـــة المحليـــة المفضلة لديهم حتى ولو لم يكن بينهم معرفة سابقة(١). وقد ساهم أنفتـــاح الأهـــالي على المهاجرين وكرمهم لهم في سرعة أختلاطهم بهم وأنـــدماجهم فـــي المجتمـــع المحلي وظهور الأنسجام بينهم(٢).

٥-الدوافع التجارية والاقتصادية:

إن العلاقات التجارية بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي تمتد جـــذورها الى حقبة سبقت الوجود الإسلامي، فقد أوجدت القوافل التجارية المبكرة المتـــرددة بين السودان الغربي والشمال الافريقي المناخ والظروف المناسبين لأستقرار بعض افرادها فيها(٣). أذ كان للدوافع التجارية والاقتصادية تأثير مباشر في نزوح الكثير الى بلاد السودان الغربي.

وكان لتجارة القوافل أثر مهم في اثراء وتضاعف معدلات الهجـــرة الـــى السودان الغربي، فقد تعددت مسالك الطرق التجارية وزادت أعـــداد المهـــاجرين المترددين عليه حيث قُدرت احدى القوافل التجارية في القرن (الثـــامن الهجـــري/ رابع عشر ميلادي) المتجهة الى بلاد السودان الغربي باثنتي عشر ألـــف راحلـــة وذلك عبر طريق واحد(٤). وهذا الرقم يدل على النشاط الكبير الذي أصبحت عليه التجارة مع بلاد السودان الغربي في هذهِ الفترة.

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٧-٥٢٩؛ الهويمل، عبد العزيز بـــن ســـعد، الســـودان الغربي، ص٣٤٥.

(٢) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المصدر نفسه، ص٣٤٥.

(٣) المصدر نفسه، ص٢٤٦.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٧، ص٧٠.

إذ أن التجار وجدوا في بلاد السودان الغربي سوقاً ملائماً لبيع بضـــاعتهم وفي الوقت ذاته حصلوا على بضاعة جديدة غير متوفرة في بلادهم وبهذا أصبحت التجارة وكسب العيش من متطلبات الهجرة(١).

ولقد تعددت سلع السودان الغربي التجارية التي جذبت المهاجرين، حيــث يأتي التبر السوداني في مقدمتها(٢). فقد ادرك العديد من المسلمين بوفرة الذهب في بلاد السودان الغربي وما ينعم به أهله من ثروة وأموال حتى أصبح لأهلها رفاهية وسعة حال(٣). أذ لم يكن الذهب الذي تفيض به بلاد السودان الغربي يلقى التقــدير والأهتمام من الأهالي أما جهلاً منهم بقيمته وأهميته الاقتصـــادية أو عجــزاً عــن تصفيته وسبكه وتسويقه، فقد كانوا يفضلون عليه معادن أخرى رديئة مثل النحاس والصفر فيصنعون منها حلياً لنسائهم(٤). فشجع ذلك كثيراً من المهــاجرين علـــى الاقامة الدائمة في السودان الغربي.

كما ساهم توفر أنواع مختلفة من السلع فيه الى أستقطاب المهاجرين مثــل الرقيق وغيره(٥). وقد شجعت المنتجات الزراعية المتعددة فيه كثير من المهاجرين على البقاء والاستقرار فيه(٦).

وقد عدت مدينة تمبكتو اكبر وأوسع أسواق غــرب افريقيــا فـــي القــرن (السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي) يفد إليها التجار من كل الامصار ومن كل القبائل من مصر وفزان وسوسة وتوات وتافيلالت وفاس واستقروا فيهـــا كطبقـــة

---

(١) موسى جمة، طرق أنتشار الإسلام، ص٤.

(٢) الشريشي، احمد بن عبد المؤمن (ت ٦١٩هــ)، شرح مقامات الحريري، تح: محمد أبــو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٩٢م)، ج١، ص٣٣٤.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٥٣٧؛ المقري، نفع الطبيب، ج٥، ص٢٠٦.

(٤) المنجم، أسحاق بن الحسين (ت ق٤هــ)، أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تح: فهي سعيد، عالم الكتب (بيروت، ١٩٨٨م)، ط١، ص١٠٣-١٠٤؛ الدمشــقي، نخبة الدهر، ص٢٦٨.

(٥) ابن بطوطة، تحفو النظار، ج٢، ص.

(٦) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧٦-٢٧٧.

ثرية ساهمت في تأسيس الحضارة العربية الإسلامية فيها لاسيما بعد الخراب الذي أصاب مدينة ولاته في (القرن السابع الهجر/ الثالث عشر ميلادي) وما نتج عنهُ من هجرة علماؤها وتجارها(١).

وكان المسلمين في المغرب والصحراء الكبرى قد وضعوا في مواجهة خيارين بين قبول الشح والتقتير والنقصان في الموارد وما يقترن بذلك من أنخفاض في مستوى المعيشة، وبين قبول الهجرة سعياً وراء حياة أفضل في أرض جديدة وجني ثمار البحث عن أسباب الرزق من خلال العمل بالوساطة التجارية، فسلكوا الخيار الثاني ومن ثم أزدهرت حركة القوافل التجارية حيث أن الشهرة التي اكتسبها السودان الغربي لكونهُ منتجاً للذهب ومصدراً له ولبعض السلع الأخرى فضلاً عن المعلومات التفصيلية التي وصلت عن طريق التجار عن الثروات ووسائل الحياة كل ذلك أدى الى هجرة مجموعات من المغرب والصحراء نحو السودان الغربي وكان الذهب أهم السلع التي جذبت المهاجرين في مناطق إنتاجه ومناطق تبادله والتي ذكرت المصادر أن فيها أعداداً كبيرة من المسلمين(٢).

ومن الأسباب الاقتصادية التي ساهمت في دفع القبائل للهجرة نحو السودان الغربي ما يحدث في المغرب والصحراء الكبرى من أنتشار المجاعات فأثر ذلك في نزوح كثير من القبائل الى بلاد السودان الغربي(٣). فضلاً عن ذلك فأن المعروف عن مراعي السودان الغربي أنها اكثر خصوبة من مراعي الصحراء الكبرى فكان ذلك حافزاً للقبائل البدوية التي تجوب الصحراء في التنقل من أوطانها في هجرات موسمية سعياً وراء المراعي خصوصاً وأن سكان الصحراء كانوا يعتمدون في معاشهم على الابل بشرب ألبانها وأكل لحومها وكان عيشهم في وضع يوصف عادة بالشقاء(٤).

---

(١) فيلكس ديبوا، تنبكت العجيبة، ص١٨٦-١٨٧.

(٢) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٥؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٢٢؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، انتشار الإسلام، ص١٤١.

(٣) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، المرجع السابق، ص١٤١.

(٤) أبن حوقل، صورة الأرض، ص٨٤؛ مجهول، الاستبصار، ص٢١٣.

وقد أدى ذلك الى أستقرار القبائل في مناطق السـودان الغربـي الأكثـر خصوبة حتى أن اكثر هذهِ القبائل العربية والبربرية الساكنة فـي الصـحراء قـد أستمرت في التردد على ثنية نهر النيجر للسقي منهُ حتى الوقت الحاضر(١). فكـل ذلك كان بشكل دوافع ملحة الى الهجرة من أرض مقفرة الى أرض اكثـر سـخاءً وعطاءً(٢).

ومهما يكن من أمر فأن كل دافع من هذهِ الدوافع كان له أثـرهُ فـي دعـم الهجرة وتشجيعها الى بلاد السودان الغربي وحققت لهُ مكاسب عديدة كـان مـن ثمارها أرتباط السودان الغربي بالعالم الإسلامي المحيط بـه سياسـياً واجتماعيـاً وأقتصادياً وثقافياً.

---

(١) سعد زغلول، تاريخ المغرب، ج١، ص١٠٤.

(٢) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، المرجع السابق، ص١٤٢.

المبحث الثاني

القبائل العربية المهاجرة إلى بلاد السودان الغربي (ق٥-١٠هـ)

أولاً: الجذور التاريخية للهجرات العربية والبربرية إلى السودان الغربي:-

إن العرب فاقوا غيرهم من الشعوب من حيث مقدرتهم على الانسياب في الداخل أي الصحراء، فالرومان مثلا لم يتمكنوا من التوغل الى ابعد السهول العليا واقاموا خطا من الثغور يحمي حدود منطقة نفوذهم من هجمات القبائل الداخلية، في حين توغل العرب وهم البدو في الداخل وأخضعوا قبائل البربر والزنج لسلطانهم، وهذه القبائل العربية كلما مضت في تقدمها جنوبا كلما أحتكت بهذه القبائل البربرية وأرغمت الكثير منها على الهجرة واستمر الزحف العربي قائماً حتى دخلت القبائل العربية الى مشارف نهر النيجر والسنغال[١].

وهذا ما نص عليه البكري بقوله: "... وببلاد غانة قوم يسمون بالهينهين من ذرية الجيش الذي كانوا بنو أمية قد أنفذوه في صدر الإسلام وهم على دين أهل غانا الا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الالوان حسان الوجوه"[٢].

واستناداً الى ما ذكر فإن جالية عربية دخلت بلاد السودان الغربي منذ الفتح الاسلامي للمغرب وأن هذه الجالية هي من بقايا الجنود الذين دخلوا مملكة غانة

---

(١) قاسم، جمال زكريا، العلاقات العربية الأفريقية، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، عدد٥٤٧، القاهرة، ١٩٧٧م، ص٣٦؛ فضل الله يوسف، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، بحث مقدم لندوة العرب وأفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٧؛ عبد، عباس كريم، الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية، جامعة بابل، عدد٤، ٢٠١٠م، ص٤٧؛ فرح سعد، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، اطروحة دكتوراه، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٦م، ص٢٥.

(٢) المسالك، ج٢، ص٨٧٧.

ولم يستطيعوا الرجوع فاستقروا بها[١]. وحاولوا الحفاظ على هـويتهم الشخصـية منها الاسلام واللغة العربية وحافظوا على جنسهم فلم يتزوجوا مـن السـودان أي أنهم كانوا من البيض لعدم مصاهرتهم اهل البلاد كما اشار الى ذلك البكـري[٢]. وكان نسبهم لبني أمية لأنهم استقروا بالمنطقة في عهد بني أمية.

ثانياً: القبائل العربية المهاجرة الى بلاد السودان الغربي:-

١-الأشراف:-

وهم الذين ينتسبون الى أهل بيت النبي (صلى الله عليه واله وسلم) وهؤلاء أغلبهم وأن لم يكن كلهم كانوا من الوافدين على البلاد وقد نالوا أحتراماً منقطع النظير من قبل الاهالي في بلاد السودان الغربي[٣].

وتشير المصادر الى أن الاشراف قدموا مـن الشـرق وينتسـبون الـى نفس الاسرة الإدريسية التـي حكمـت المغـرب عـام (١٧٢هـ/٧٨٨م) وأن هؤلاء الاشراف كانوا قد سعوا الـى جانـب أمـر الـدعوة والإصـلاح الـى تأسيس مملكة بالسودان الغربـي وكونـوا أحيـاء خاصـة بهـم حيـث تشـير النصوص التاريخية الى أن موسى بن عبد الله بـن الحسـن المثنـى قـد ثـار على الخليفـة المـأمون (١٩٨-٢١٨هـ) وتعـرض هـو وابنـاء عمومتـه أدارسة المغرب واليمامة الى الظلـم والاضـطهاد فـي بـلاد الحجـاز وكـان منهم صالح بن عبد الله بن موسى العوف بن الحسـن بـن الحسـن بـن علـي بن ابي طالب (عليه السلام) الذي قدم من مكـة الـى بـلاد السـودان الغربـي وبعد الترحيب به أقام ملكاً هناك وبقي احفـاده يحكمـون تلـك المنـاطق ونـال الأدارسة تأييد سكان غانا لهم حيث نقل الغانيون عاصـمتهم مـن ضـفة نهـر

---

(١) بوفيل، الممالك الاسلامية في غرب أفريقيا وأثرها في تجارة الـذهب عبـر الصـحراء الكبرى، ترجمة: زاهر رياض، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٨م، ص١٧٩.

(٢) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٧.

(٣) كنان، محمد حمد، مظاهر الثقافة الاسلامية في تنبكت وغـاو وجنـي، مجلـة قـراءات افريقية، عدد٣، ٢٠٠٨م، ص١؛ محمد الفاجالو، الحياة العلمية في دولة سـنغاي، رسـالة ماجستير، جامعة أم القرى، مكة، ١٩٩٣م، ص٥١.

النيجر الى مدينة كومبي صالح التي قام بتأسيسها الادارسة وجعلوا منها عاصمة سياسية في منطقة خصبة غرب نهر النيجر(١).

وذكر بعض المؤرخين أن صالح بن عبدالله بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موسى الجون أنهُ خرج ايام المأمون بخراسان وحمل اليه وحبسه وابنهُ محمد من بعده ولحق بنوه بالمغرب فكان لهم ملك متوارث الى الان بغانة من بلاد السودان(٢). وأشار الى ذلك الإدريسي: "أن غانة مدينتان على ضفتي البحر الحلو وهي اكبر بلاد السودان قطرا وأكثرها خلقا و..... واهلها مسلمون وملكها فيما يوصف من ذرية صالح بن عبد الله الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام) وهو يخطب لنفسه لكنهُ تحت طاعة أمير المؤمنين العباسي وله قصر على ضفة النيل قد أوثق بنيانه وأحكم اتقانهُ وزينت مساكنه بضروب من النقوشات والأدهان وشمسيات الزجاج وكان بنيان القصر في عام عشرة وخمس مائة من سني الهجرة وتتصل مملكتهُ وأرضه بأرض ونقارة وهي بلاد التبر المذكورة الموصوفة به كثرة وطيباً والذي يعلمهُ أهل المغرب الأقصى علما يقينا لا اختلاف فيه أن له في قصره لبنة من ذهب وزنها ثلاثون رطلاً من ذهب تبرة واحدة خلقها الله خلقة تامة من غير أن تسبك في نار ولاتطرق بآلة وقد نفذ فيها

---

(١) أبن خلدون، العبر، ج٤، ص١٢٧؛ للمزيد ينظر: صباح الشيخلي، ملاحظات حول انتشار الاسلام، ص١٢؛ الغربي، محمد، الجذور الادريسية لإمبراطورية غانة والاصول السينغالية للدولة المرابطية، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٦٩، المغرب، ١٩٨٨م، ص٢٣٧؛ الدهماني، الدهماني سالم، الجاليات العربية الاسلامية المبكرة في غرب افريقيا واثرها في نشر الاسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، مصر، عدد٢، مج٢، ٢٠٠٩، ص٧٥١-٧٥٢.

(٢) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك (ت٧٦٤هـ)، الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، دار أحياء، بيروت، ٢٠٠٠م، ج١٦، ص١٥١؛ المروزي، اسماعيل بن الحسين بن محمد الازورقاني (ت بعد٦١٤هـ)، الفخري في انساب الطالبين، تح: مهدي الرجائي، ط١، مطبعة سيد الشهداء، قم، ١٤٠٩هـ، ص٩٤؛ السويدي، محمد أمين بن علي البغدادي (ت١٢٤٦هـ)، سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار أحياء العلوم، بيروت، ص٧٩.

ثقبا وهي مربطة لفرس الملك وهي من الاشياء المغرية التي ليست عند غيره ولا صحت لاحداً الا له وهو يفخر بها على سائر ملوك السودان وهو اعدل النـــاس فيما يحكى عنه ومن سيرته في قربه من الناس وعدله فيهم......"[١].

وذكرت الكثير من المصادر على وجود جالية عربية من الاشراف ومـــنهم أبن سعيد: "وسلطان بلاد غانة من ذرية الحسن بن علي (رضي الله عنهما) ولـــه تبرة كبيرة فيها ثقب يربط فيه فرسه ويفخر بذلك على سائر ملوك السودان وهـــو كثير الجهاد للكفار وبذلك عرف بيته..."[٢].

وذكر ابو الفداء: "أن سلطان بلاد غانة يدعي أنهُ من نسل الحسن بن علـــي عليهما السلام.."[٣].

وذكر العمري: "أن ملك التكرور هذا يدعي النسب الى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي بن أبي طالب "ع"..."[٤].

وأيضاً ما ذكره ابن خلدون عنهم بقوله: "مكان في غانة فيما يقـــال ملـــك ودولة لقوم من العلويين يعرفون ببني صالح وقيل أنهُ صالح بن عبدالله بن الحسن بن الحسن..."[٥].

وورد ذكر الاشراف عند القلقشندي أيضاً بقوله: "قيل أن صاحب التكرور هذا يدعي نسباً الى عبدالله بن صالح بن الحسن بن علي بن ابي طالـــب كـــرم الله وجوههم، قلت: هو صالح بن عبدالله بن موسى بن عبد الله أبي الكرام بن موســـى الجون بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن أمير المؤمنين علي بـــن ابي طالب رضي الله عنهُ.."[٦].

---

(١) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٢٥.

(٢) الجغرافيا، ص٨.

(٣) تقويم البلدان، ص١٥٧.

(٤) التعريف بالمصطلح الشريف، ص٤٥.

(٥) العبر، ج١، ص٧٠ و ج٥، ص١٢٧.

(٦) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٦.

كما ذكرهم المقريزي: "وبمدينة غانة محل سلطان بلاد غانة ويدعى انهُ من نسل الحسن بن علي عليهما السلام..."[١].

وكذلك ذكر المستشرق زامباور في معجمه عن أن لبني صالح ملك في غانة وهم من أبناء صالح بن عبدالله بن موسى الجون بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن المجتبى بن علي بن ابي طالب "ع"[٢].

وقد قام بإضافة أسم صالح الى عاصمة غانة القديمة (كنبي) وأصبحت تعرف بأسم ((كونبي صالح)) ويقول عبد المنعم الحميري أنهُ كان لملوك آل صالح ابهة عظمية[٣].

ومن ادلة انتشار النفوذ العربي أنهُ قل أن تجد بيتاً حاكما في غرب افريقيا الا وينتسب بعض حكامه الى أصل عربي بعضهم يدعى نسباً علوياً أو أمويا أو عباسيا أو فاطمياً وبعضهم يدعى نسباً يمنياً إذ أن القبائل السودانية تفتخر بنسبها العربي[٤].

وقد ارتبطت بلاد السودان الغربي بالحجاز بروابط قوية وذلك نظراً لمكانة مكة المكرمة والمدينة المنورة في قلوب أهل تلك البلاد وكان لأهل الحجاز ولاسيما الاشراف منهم مكانة خاصة ولذا نجد الكثير من السلاطين والملوك يدعون الانتساب اليهم[٥]. فالبعض منهم أدعى النسب الى قريش وبني هاشم

---

(١) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الاسلام، تح: عبد النعيم ضيفي، المكتبة الازهرية، القاهرة، ٢٠٠٦م، ص١٠٠.

(٢) معجم الانساب والأسر الحاكمة في التاريخ الاسلامي، تر: محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد، (بيروت، ١٩٨٠م)، ص١٣٨.

(٣) الروض المعطار، ص٤٢٥-٤٢٦؛ وانظر ايضا محنض، الحسن، تاريخ موريتانيا القديم، والوسيط، ط١، دار الفكر، (موريتانيا، ٢٠١٠م)، ص٨٩-٩٠.

(٤) طرخان، غانا، ص١٩؛ بازينة، انتشار الاسلام، ص١٠٢؛ فرح سعد، الحياة الاجتماعية، ص٢٥-٢٦.

(٥) المشراني، أمل بنت صالح، رحلات الحج واثرها على بلاد السودان الغربي في عصر دولتي مالي وصنغاي، اطروحة دكتوراه، جامعة الامام محمد بن سعود، (السعودية، ٢٠١٢م)، ص١٤٥.

فسلطان مالي ادعى أن نسبه يعود الى عبدالله بن صالح بن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)[١].

كما أن الأسكيا محمد قد طلب من شريف الحجاز بعد أنتهائه من حجة أن يأخذ معه بعض أشراف مكة ليصحبهم معه الى مملكة سنغاي[٢].

٢-بني هلال وبني سليم:-

نسبهم وموطنهم الأول:-

بني هلال:- وهي أحد بطون عامر بن صعصعة وهي قبيلة من هوازن ترجع بنسبها الى قيس عيلان بن مضر[٣].

بني سليم:- وتنتسب الى سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٤].

---

(١) كعت، تاريخ الفتاش، ص١٩؛ طرخان، مالي، ص٣٥.

(٢) كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٧.

(٣) ابن حبيب، ابو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ)، مختلف القبائل ومؤتلفها، نشر مرديتلن فسنتلد، (غوتا، ١٨٥٠م)، ص١٨؛ المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ)، نسب عدنان وقحطان، تح: عبد العزيز الميمني، (الهند، ١٩٣٦م)، ص١٣-١٤؛ ابن عبد البر، ابو عمر يوسف بن عبدالله (ت٤٦٣هـ)، القصد والأمم في التعريف في أصول العرب والعجم ومن أول من تكلم العربية من الامم، (القاهرة، ١٣٥٠هـ)، ص٨٧؛ أبن الأثير، عز الدين الجزري (ت٦٣٠هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت)، ج٣، ص٣٩٦؛ كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، (دمشق، ١٩٩٤م)، ج٣، ص١٢٢.

(٤) ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ)، جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، مطبعة النهضة (بيروت، ١٩٨٦م)، ص٢٣٥؛ ابن حزم، ابو محمد علي (ت٤٥٦هـ)، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية (بيروت، ١٩٨٣م)، ص٤٨٠؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبدالله (ت٦٢٦هـ)، المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، الدار العربية، (بيروت، ١٩٨٧م)، ص٦٥.

وكانت مواطنهم الأولى قبل هجرتهم في وسط وغربي شبه الجزيرة العربية[١]. وكانت هجرتهم الأولى الى مصر في زمن الخلافة الأموية والعباسية[٢]. وفي القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي هاجرت هذهِ القبائل من مصر الى المغرب وانتشرت فيه ووصلت الى السوس الأقصى وعرفت هذهِ الهجرة بأسم (بني هلال) أو (تغربة بني هلال) على الرغم من أنها كانت تضم العديد من القبائل العربية الأخرى[٣]. وذكر المؤرخون أن العامل المباشر الذي أدى الى أجتياز القبائل العربية نهر النيل غربا الى أفريقية هو سخط الدولة الفاطمية على المعز بن باديس[٤] حيث قطع الدعوة على الفاطميين وتحول بها الى العباسيين وكانت الدولة تشجع على المضي في هجرتها غرباً لسببين أولهما التخلص من هؤلاء الأعراب الذين يعيثون فساداً في شرق النيل وتضرب بهم دولة الصنهاجي وثانيهما الأزمة الاقتصادية التي مرت بها مصر أثناء تلك الفترة ولا

---

(١) العزي، محمود محسن، بنو هلال في المغرب العربي وأثارهم السياسية والأجتماعية، رسالة غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، بغداد، ٢٠٠٥م، ص١٤؛ الربيعي، أزهار محسن، قبيلة بني سيلم، رسالة غير منشورة، جامعة بغداد، كلية الآداب، بغداد، ٢٠٠٢م، ص٦.

(٢) ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأخبارها، ص١٩٢؛ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف، (حيدر أباد، ١٣٥٧هـ)، ج٣، ص٢٣؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص١٤١؛ المقريزي، الخطط، (القاهرة، ١٩٥٩م)، ج٢، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) ابن الاثير، الكامل، ج٩، ص٥٦٦؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٣٦.

(٤) المعز بن باديس بن منصور بن بلكين بن زيري الصنهاجي ولد سنة ٣٩٨هـ وهو من أهم أمراء بني زيري الذي حكموا أفريقية والقيروان ولقب بشرف الدولة وكان الحاكم بالله الفاطمي قد لقبه بهذا اللقب بعد أن أرسل اليه الخلع والتشريفات سنة ٤٠٧هـ الا أنهُ قطع الخطبة للمستنصر بالله الفاطمي سنة (٤٤٠هـ) وأقامها للقائم بالله العباسي مما أثار غضب الفاطميين وكانت وفاتهُ في القيروان سنة ٤٥٤هـ، ينظر أبن خلكان، وفيات الأعيان، ج٥، ص٢٣٣-٢٣٤؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١٤٠؛ الزركلي، الأعلام، ج٧، ص٢٦٩.

سيما أزمة ومجاعة سنة (٤٤٤هـ)[١] التي ذكرها المقريزي واستمرت لعدة سنوات[٢].

وأستمرت حركة بني هلال وسليم حتى وصلوا الى المغرب الاقصى وتوغلوا جنوباً الى الصحراء الكبرى حتى وصلوا الى ارياف بلاد التكرور وصحراء النيجر ومالي في بلاد السودان الغربي[٣].

وكانت هجرة بني هلال وسليم التي حدثت في القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي ذات أثر كبيراً على نشر الاسلام جنوباً حيث أتجهت نحو الصحراء والسودان الغربي كما أن هذه الهجرات اضطرت السكان المحليين من البربر الى الهجرة جنوبا تحت ضغط هذه الجماعات العربية[٤]. ولاشك في أن التعايش السلمي بين هؤلاء العرب المسلمين والسكان الاصليين في بلاد السودان الغربي ترك أثراً طيباً في قلوب الذين اسلموا على ايديهم لقرابة نسبهم بنسب بني الإسلام[٥].

---

(١) حدثت هذه الازمة في زمن الخليفة الفاطمي المستنصر بالله (٤٢٧هـ-٤٧٨هـ) أتصف عهده بالرضا في بدايته ولكن ذلك لم يستمر طويلاً وأعقبه غلاء وأنتشار وباء وكان هذا الوباء فريداً لطول مدنه حتى أطلق عليه الشدة العظمى وكان سبب هذه الأزمة هو قصر النيل في هذه السنة وليس بالمخازن السلطانية شيء من الغلات وارتفاع الأسعار فأشتدت المسبغة على الناس، ينظر المقريزي، تقي الدين أحمد (ت٨٤٥هـ)، أغاثة الأمة في كشف الغمة، تح: ياسر سيد صالحين، (القاهرة، ١٩٥٧م)، ص١٤-١٦؛ عاشور، سعيد عبد الفتاح، مصر في العصور الوسطى، ص٢٠٤.

(٢) أغاثة الأمة، ص١٤-١٦؛ أبن عذارى، البيان، ج١، ص٣٠٠؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٤٤؛ محمود حسن، بنو هلال، ص٤٧-٥٠.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٢٠؛ مارتي، بول، البرابيش (بنو حسان)، تر: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، (دمشق، ١٩٨٥م)، ص٣؛ عمران، كبا، الشعر العربي في الغرب الافريقي، ص١٦؛ يوسومنكيلا، دور الشعر العربي في الحفاظ على إسلامية الهوية الافريقية، مجلة قراءات افريقية، عدد١٦، ٢٠١٣م، ص٩٠-٩١.

(٤) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الاسلام، ص٤٥-٤٦.

(٥) يوسومنكيلا، المرجع السابق، ص٩٠-٩١.

فعند أقامتهم بالمغرب الاقصى وجدت هذهِ القبائل هذه البوادي تشبه بيئــة موطنهم الأصلي إذ كان تواجدهم على حافة الصـــحراء الكبــرى الــى المحــيط الاطلسي غرباً ووجدوا في هذهِ المناطق المجال الرعوي المناسب لعملهــم وهــو مجال يمتد جنوباً حتى مصب السنغال ومما ساعدهم على التنقل في هذهِ المسافات الكبيرة هو وجود الطرق التجارية عبر الصحراء فسهل علــيهم الأمــر وعنــدما وجدوا الطرق الداخلة على السودان الغربي أمامهم مطروقة بالقوافل التجاريـــة لا تنقطع فتذكروا حرفتهم القديمة في نقل التجارة فعمدوا الى السيطرة على الطــرق التي تمر بها القوافل التجارية الداخلة على السودان الغربي[١]. فقد تمكنت القبائــل العربية من بني هلال وسليم المستوطنة بالمغرب الأقصى أن تتوغل الى المناطق الداخلية لبلاد السودان الغربي والاستقرار هناك وكان من العوامل التي ســاعدتها على هذا التواجد هو السيطرة على القوافل والطرق التجارية[٢].

٣-قبيلة جشم:-

وهم بنو جشم بن معاوية بن بكر بن منصور بن عكرمة بن حفصــة بــن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان[٣].

وقد دخلوا بلاد المغرب مع هجرة بني هلال ونزلوا في إقليم تامسنا ما بين سلا ومراكش اوسط بلاد المغرب الاقصى[٤].

---

(١) ظيف، مصطفى ابو، أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خــلال عصــري الموحــدين وبني مرين، ط١، (د.م، ١٩٨٢م)، ص٢٦٣؛ سلطان، عبلة محمد، العناصر المغربية في بلاد السودان الغربي دورها السياسي والحضاري، ط١، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٤٠.

(٢) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٤٥.

(٣) أبن حزم، جمهرة انساب العرب، ٢٧٠؛ أبن الاثير، اللباب فــي تهــذيب الانســاب، ج١، ص٢٨٠؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ج١، ص١١٥؛ القلقشندي، نهاية الارب، ص٢١٤.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٣٧.

وقد نزحوا جنوباً نحو بلاد السودان الغربي واستقروا به وساهموا بنشر الاسلام واللغة العربية هناك[١].

٤-المحاميد:-

وهم بنو محمود بن طوب بن بقية بن وشاح بطن من ذباب من بهته من بني سليم[٢]. وكانت مواطنهم ما بين قابس[٣] ونفوسة[٤]. وهاجروا جنوباً نحو الصحراء وبلاد السودان الغربي وقاموا بنشر الاسلام والحضارة الأسلامية هناك[٥].

٥-بني المعقل:-

هناك أختلاف في نسب بني المعقل فقيل أنهم من بطون بني هلال وزعموا أنهم ينتسبون الى أهل البيت وأنهم من ذرية جعفر بن أبي طالب فيذكر أبن خلدون أن هذا غير صحيح وأنهم من عرب اليمن[٦]. ويذكر الناصري أن بني المعقل على ما يزعمون هم من معقل بن موسى الهراج بن محمد بن جعفر الأمير بن

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٥٥-٢٥٧؛ الفشتالي، عبد العزيز بن محمد (ت١٠٣١هـ)، مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء، تح: عبدالله كنون، المطبعة المهدية، (تطوان، ١٩٦٤م)، ج١، ص١٩٤-١٩٧؛ نجم عبد الأمير، الشيخ محمد الامين، ص١٠٧.

(٢) أبن خلدون، العبر، ج١، ص١١١؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٥٨؛ كحالة، عمر، معجم القبائل، ج٣، ص١٠٤٦.

(٣) وهي مدينة كبيرة قديمة عليها سور من صخر عامرة كثيرة الاشجار والثمار والعيون الجارية وأهلها أخلاط من العرب والأفارقة بينها وبين طرابلس ثمانية أيام وتبعد عن البحر ثلاثة أميال. ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٨٥؛ البكري، المسالك، ج٢، ص٦٦٦؛ مجهول، الأستبصار، ص١١٢.

(٤) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص١١١؛ القلقشندي، نهاية الأرب، ص١٠٨.

(٥) الفشتالي، مناهل الصفا، ص١٠٣؛ نجم عبد الأمير، محمد الأمين، ص١٠٧.

(٦) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٨.

أبراهيم الأعرابي بن محمد الجواد بن علي الزينبي بن عبدالله بن جعفر الطيار بن أبي طالب[١].

أذ أن أنتساب بني المعقل الى جعفر الطيار لم يذكر لا في كتب الانساب ولا في كتب التواريخ فقط ما ذكره الناصري السلاوي وحتى أن مؤلف كتاب الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية لم يذكر أن نسبهم من قحطان أو جعفر على الرغم من أنهُ من بني المعقل[٢].

ومن المعلوم أن بني المعقل بطنين يسمى كل واحد منهم بالمعقل فأحدهم من قضاعة وهو معقل بن كعب بن عليم[٣]. والبطن الأخر من بني الحارث ومعقل هو ربيعة بن كعب بن ربيعة بن الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن مذحج بن أدد بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٤]. ويقول أبن خلدون فيهم: "هؤلاء المعقل جميعاً ينتسبون الى ربيعة وربيعة أسم معقل هذا"[٥]. فدخل هؤلاء مع بني هلال الى أفريقية واستوطنوا في مناطق مختلفة[٦]. وذكر انهم عبروا في سنة (٤٠٠هـ/٩٩٩م) وكان عددهم خمسين ألف محارب هم ومن معهم من بني هلال وسليم فأنتشروا في أفريقيا ومنهم تناسلت العرب[٧].

---

(١) الأستقصا، ج٢، ص١٧٩؛ الناصري، ابو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٥هـ)، طلعة المشتري في النسب الجعفري، المؤسسة الناصرية، (سلا، د.س)، ج١، ص١٠٨-١٠٩.

(٢) الولاتي، محمد بن صالح بن عبد الوهاب (ت١٢٧١هـ)، الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تح: حماة الله ولد السالم، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠١٥م)، ص١٨-١٩.

(٣) ابن الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، (د.م، ١٩٨٨م)، ج٢، ص٥٨٢؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٨.

(٤) الكلبي، المصدر السابق، ج١، ص٢٧٨؛ ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج٢٣، ص٢٣٥؛ أبن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٧٩؛ كحالة، معجم قبائل العرب، ج٣، ص١١٢٣.

(٥) العبر، ج٢، ص٣٠٧.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص٧٩.

(٧) مارمول، أفريقيا، ج١، ص٩٩.

أما عن بطونهم فكان لمعقل أثنان من الأولاد هما صغير ومحمد فمن صغير كانوا ذوي عبدالله والثعالبة ومن محمد بنو منصور وحسان والشابنات[١]. وقد خضع بنو المعقل لسلطان الدولتين الموحدية[٢] فالمرينية[٣] فقد ظهر نفوذ قبائل بني المعقل وكان السلطان يعقوب بن عبدالحق المريني (٦٦٨-٦٨٥هـ) هو الذي دفعهم الى الصحراء خوفاً من شوكتهم وليحولوا بينهُ وبين هجمات قبائل صنهاجة الصحراوية فمكثوا مدة طويلة ما بين وادي نون والساقية الحمراء ثم وادي الذهب وذلك في القرن السابع هجري/ الثالث عشر ميلادي[٤]. ففي القرن (السادس هجري/ ثاني عشر ميلادي) وما بعده هاجر قسم من بني المعقل الى السودان الغربي حتى وصلوا

---

(١) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٨٠؛ السلاوي، الأستقصا، ج٢، ص١٨٠؛ مارمول، المصدر السابق، ج١، ص١٠٦-١٠٧.

(٢) هم طائفة دينية إصلاحية قامت دولتهم بعد انهيار دولة المرابطين ويستمدون تسميتهم من توحيد الله سبحانه وتعالى والعودة الى جوهر العقيدة الإسلامية ومؤسس دولتهم الفقيه أبو عبد الله محمد بن تومرت واستطاعوا السيطرة على كل بلاد المغرب وحتى بلاد الأندلس، ينظر: الزركشي، أبو عبدالله محمد بن أبراهيم (ت٨٨٢هـ)، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، (تونس، ١٩٦٦م)، ص٣؛ الخزاعي، كريم عاتي، محاضرات في تاريخ المغرب، ص٥٨-٦١.

(٣) بنو مرين هم فرع من قبيلة زناتة أنتهزوا الضعف في صفوف الموحدين في أقليم المغرب الأقصى وأستمر القتال بينهم حتى سنة ٦٦٨هـ حيث تمكن بني مرين من دخول مراكش عاصمة الموحدين ويعد أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق الملقب بالمنصور المؤسس الحقيقي لهذهِ الدولة، ينظر: ابن أبي زرع، أبو الحسن علي بن محمد (ت٧٢٦هـ)، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، (الرباط، ١٩٧٢م)، ص١٣؛ الخزاعي، كريم، المرجع السابق، ص٦٣.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٩١-٩٢-٣٦٧-٣٦٩؛ ولد السالم، حماه الله، تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠١٠م)، ص١٦٣-١٦٤؛ المحجوب السالك، ولد محمد ولد عباد، مجتمع البيضان تاريخ أمة وكفاح شعب، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧م)، ص٤١؛ النحوي، الخليل، بلاد شنقيط المنارة والرباط، (تونس، ١٩٨٧م)، ص٣٢.

الى منعطف نهر النيجر بعدما سيطروا على الطريق التجاري الغربي(١). ثم أستمروا في توسعهم حتى وصلوا خلال القرن السابع هجري/ الثالث عشر الميلادي الى المحيط الأطلسي والسيطرة على الأسواق المحلية فأستولى المعاقلة على أهم المراكز التجارية الغربية من السودان الغربي وهي توات وتامنطيت(٢) وتيكورارين(٣) وجودة(٤) وغيرها والطرق التجارية التي تربط بين الجنوب المغربي وبلاد السودان الغربي لاسيما أن التجارة بهذهِ الطرق كانت تقوم بالأساس على تجارة العبيد والذهب وهما مادتان كان يسيل لهما لعاب البدو أنذاك(٥). فقد أستوطن بنو عبدالله بالقرب من زناتة من تلمسان الى مصب وادي ملوية حيث وصلوا الى قصور توات وتمنطيط والى تاسابيت(٦) وتوكرارين التي تعد من المناطق المجاورة للسودان(٧). فمن الواضح أن بني عبدالله قد وصلوا في رحلاتهم الى حدود السودان الغربي بعد أن أستوطنوا في المناطق الصحراوية القريبة منه.

---

(١) الفشتالي، مناهل الصفا، ص١٩٤-١٩٧؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٦؛ عبد الرحمن زكي، تاريخ الدول الاسلامية، ص٢٤؛ داوود، محمود حسن، تغربه بني هلال، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد٢٠، ٢٠١٠م، ص٥، الانباري، نجم عبد الأمير، الشيخ محمد المين، ص٢٥٥-٢٥٧.

(٢) وهي مدينة تقع جنوب توات في الصحراء الكبرى وصفها ابن خلدون بأنها وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار واكثر سكانها من زناتة، العبر، ج٦، ص٧٨.

(٣) منطقة مأهولة في صحراء نوميديا يوجد بها مايقرب من خمسين قصراً واكثر من مائة قرية بين حدائق النخيل وسكان هذهِ المنطقة أغنياء لأنهم أعتادوا الذهاب كثيراً بسلعهم الى بلاد السودان فهي مجمع القوافل ولهذهِ البلاد اراض كثيرة صالحة للزراعة، ينظر: الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٣٣.

(٤) هي مدينة في الصحراء الكبرى وصفها أبن خلدون بأنها وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار واكثر سكانها من زناتة، العبر، ج٦، ص٧٨.

(٥) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٨؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٦-١٠٨؛ البوزيدي، أحمد، التاريخ الأجتماعي لدرعة، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء، ص٥٢.

(٦) وهي مدينة في الصحراء الكبرى تقع قرب توات فيها قصور عديدة ونخيل واكثر سكانها من البربر، ينظر، أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٨.

(٧) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٨٨.

أما عن بنو منصور وأولاده منهم أربعة بطون وهم كل من أولاد حسين وأولاد أبي الحسين وهما شقيقان والعمارنة وأولاد عمران والمنبات وهما شقيقان أيضاً ويذكر أن أولاد حسين كانت لهم العزة فقد سيطروا على مناطق عديدة مجاورة للسودان الغربي وهي كل من توات وتمنطيط وكذلك تاسابيت وتيكورارين حيث سيطروا على التجارة وفرضوا الضرائب وأما العمارنة والمنبات فكانوا مجاورين لأولاد حسين وكانت بينهم فتنة(١).

٦-بنو حسان:-

وهم أحدى بطون قبائل المعقل فهم من بني مختار بن محمد بن معقل(٢). ويتفرع بني حسان الى خمسة فروع(٣). وهم:-

(١) عبد الرحمن بن حسان جد الرحامنة.
(٢) أحمد المعروف بـ(أدي) بن حسان وهو أبو المخافرة وعروق ورزق.
(٣) دليم بن حسان أبو أولاد دليم.
(٤) حمد بن حسان أبو البرابيش.
(٥) اعبيد الله وهو جد ايديقيب.

وقد دخلوا بلاد المغرب مع بني هلال أيضاً ووصلوا الى المغرب الاقصى وسكنوا في السوس الاقصى(٤). فكانت مواطنهم تمتد من درعة الى المحيط الاطلسي وينتجعون من السوس الى الرمال المتاخمة بمجالات الملثمين(٥).

---

(١) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٨٨-٨٩.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٨-٩١؛ الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٥٣؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٦؛ الولاتي، محمد، الحسوة البيسانية في علم الانساب الحسانية، ص١٨؛ مارتي، بول، القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تر: محمد محمود ولد ودادي، جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ٢٠٠١م، ص١٤.

(٣) الوزان، المصدر السابق، ج١، ص٥٣؛ مارمول، المصدر السابق، ج١، ص١٠٦-١٠٧؛ الولاتي، محمد، المصدر السابق، ص٦٨-٧١.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٩١.

(٥) المصدر نفسه، ج٦، ص٩١؛ الوزان، المصدر السابق، ج١، ص٥٣-٥٤؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٧-١٠٩.

فعندما أنطلقت هذهِ القبيلة صوب الشمال الافريقي في (القرن الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي) أستقرت في الصحراء الغربية المصاقبة لبلاد السودان الغربي حوالي القرن (السادس هجري/ الثاني عشر الميلادي)[١]. وخضعوا لسلطان الدولتين الموحدية والمرينية ثم خاضوا حروباً ضد المرينين فطاردوهم الى الجنوب نحو بلاد شنقيط[٢]. فاتخذوها موطناً لهم واصطدموا مع أبدوكل[٣] وبعد ذلك أستمرت

---

(١) بول مارتي، البرابيش، ص١١؛ غيث، أمطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي، دار المدار الاسلامي، ص٥٠؛ السالم، حماه الله، بلاد شنكيطي، ص١٦٣؛ الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٦؛ عزالدين موسى، انتشار الإسلام، ص٥٣.

(٢) عرفت هذهِ البلاد بأسماء متعددة تحيل على حقب وعهود تاريخية مختلفة وهي صحراء الملثمين وبلاد التكرور وبلاد شنقيط وموريتانيا حالياً ومدينة شنقيط القديمة تأسست سنة (١٦٠هـ/٧٧٦م) وعاشت قروناً ثم أندثرت لتنهض على أنقاضها شنقيط الثانية سنة (٦٦٠هـ/١٢٦٢م) وقد ورد ذكرها لأول مرة في تاريخ السودان للسعدي وكلمة شنقيط كلمة بربرية صنهاجية ومعناها "عيون الخيل" وقيل أن شنقيط في الأصل تطلق على مدينة واقعة فوق جبل في جهة غرب الصحراء الكبرى ثم تسمى به القطر كله، أنظر: الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص١٨ و ص٧٢؛ الشنقيطي، أحمد بن الأمين (ت١٣٣١هـ)، الوسيط في تراجم أعيان شنقيط والكلام على تلك البلاد تحديداً وتخطيطاً وعاداتهم وأخلاقهم، ط١، (مصر، ١٩٨٩م)، ص٤١٠-٤١٢.

(٣) وهي من أهم الكيانات السياسية التي بقيت بعد سقوط الدولة المرابطية وقد قامت في أواخر النصف الأول من القرن السابع الهجري لاسيما بعد تلاشي قوة بني غانية سنة (٦٣٠هـ) والتي بقي تحالفها قائماً في تخوم شمالي الصحراء واعتبرت أمارة أبدوكل هي وريثة مرابطي الصحراء وأن أسم إبدوكل لفظة صنهاجية تعني التجمع أو التحالف فقد كانت أمارة ابدوكل هي التجمع الذي نتج عن جيش بني غانية إذ أن لفظة أبدوكل كانت صفة ملازمة لجيش أبن غانية الذي جمع بقية المرابطين من مسوفة ولمتونة وفئات من الناس من الترك والأرمن والقوط وجموعاً من أخلاط العرب وجماعة من العلماء والأعيان من العرب والبربر، ينظر السالم، حماه الله، بلاد شنكيطي، ص١٥٥-١٥٦؛ المختار ولد حامد، حياة موريتانيا (الجغرافيا)، دار الغبر، (بيروت، ١٩٩٤م)، ص٤٥.

هجرتهم صوب بلاد السودان الغربي ووصلت الى منعطف نهر النيجر وأستقرت في تلك المنطقة بصورة نهائية[١].

فضلاً عن ذلك استخدمهم الموحدين لحماية وحراسة وسد الثغور وهذهِ المهمة مكنتهم من الوصول الى السودان الغربي، وقد اشار ابن سعيد المغربي الى استقرار الكثير من تلك القبيلة في ارياف التكرور عند حوض السنغال، وقد اسهم هذا الاستقرار في نشر الاسلام واللغة العربية في تلك المنطقة[٢].

٧-البرابيش:-

البرابيش هم بني حمو بن حسان من بني المعقل[٣]. ومن البرابيش قبائل عديدة وهم: أولاد عبد الرحمن وأولاد سليمان وأولاد أحمد ويقال لهم أولاد عامر والمحافيظ وأولاد إدريس وأولاد غنام ويقال لهذهِ القبائل الثلاثة (بطن الجمل وأهل غيلان[٤].

تعود أول هجرة لهم الى (القرن الخامس هجري/ الحادي عشر ميلادي) عندما توغلت مجموعة من قبيلة البرابيش القادمة ضمن هجرة أوسع لقبائل المعقل

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٩١؛ السالم، حماه الله، المرجع السابق، ص١٦١-١٦٢؛ بول مارتي، البرابيش، ص١١؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص٥٠؛ الشيخلي، صباح، المرجع السابق، ص٧٦؛ عز الدين موسى، المرجع السابق، ص٣٥، الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص٣٢.

(٢) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٧٧-٧٩؛ الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٥٤؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٧؛ الولاتي، محمد بن صالح، الحسوة البيسانية، ص٦٨.

(٣) وهناك رأي في المراجع الحديثة ترى أن البرابيش يتشكلون من حمو بن حسان والرحامنة بنو حسان ولما وصلوا الى الصحراء حدثت مصاهرات بينهم وبين القبائل البربرية والسودانية فكونت مجموعة البرابيش التي اختلطت دمائها بالدماء الزنجية، بول مارتي، البرابيش، ص١١-١٢؛ اكناتة ولد النقرة، الطوارق من الهوية الى القضية، ص١٥٦؛ Maurice delafosse, haut Senegal, p180.

(٤) الولاتي، محمد بن صالح، المرجع السابق، ص٩٤٨٥.

التي وصلت الى شمال أفريقية مع بني هلال[١]. وكانت مواطنهم أيضاً تقع في أقليم درعة جنوبي مراكش الواقع بين تافيلالت ونون[٢]. وكانت هجرتهم الثانية الى بلاد شنقيط أيضاً وسكنوا في مدينة تست[٣] (تيشيت)[٤]. وبعد ذلك هاجر العرب البرابيش الى تاوديني[٥] واروان[٦] في مالي في (القرن الثامن هجري/ واستقروا هناك في منطقة النيجر وماحولها[٧].

وقد اكتسبوا مكانة سياسية في عهد مملكة سنغاي لتواجدهم الكبير والمؤثر في البلاد فقد أستحدث الأسقيا محمد الكبير منصب متصرف خاص بهم يهتم بكل

---

(١) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣؛ اكناتة ولد لنقرة، المرجع السابق، ص١٥٦؛ بول مارتي، البرابيش، الهادي الدالي، التاريخ الاقتصادي والسياسي، ص١٢٣.

(٢) الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٥٤؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٧؛ بول مارتي، البرابيش، ص١٨.

(٣) مدينة صغيرة بناها النوميديون في تخوم صحراء ليبيا ولا ينبئ مظهرها كثيراً عن مدينة متحضرة ولا يحيط بها سوى بادية رملية سوى مسافة صغيرة صالحة للحرث مغروسة بالنخيل وأخرى يزرع فيها شعير ودخن يسد بهما السكان المساكين رمقهم. ينظر، الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١١٥.

(٤) الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٥٤؛ مارمول، أفريقيا، ج١، ص١٠٧؛ بول مارتي، البرابيش، ص١٨-١٩.

(٥) قرية تقع على منحنى نهر النيجر الى الشرق من تمبكتو بنحو عشرة أيام وقربها من تمبكتو أعطاها أهمية تجارية كبيرة، ينظر محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٥٨٧.

(٦) تقع أروان في وادٍ كثير النخل محاطة بتلال من الغرب وأخذت أهميتها منذ القدم بسبب وقوعها على طريق قوافل الملح وكانت نقطة مهمة للعبور نحو المغرب، ينظر محمد الغربي، المرجع السابق، ص٥٨٥-٥٨٦.

(٧) السعدي، تاريخ السودان، ص١٣٩؛ الفشتالي، مناهل الصفا، ج١، ص١٩٣-١٩٤؛ بول مارتي، البرابيش، ص٢٠-٢٤؛ كبا عمران، الشعر العربي، ص١٦؛ نجم عبد الأمير، الشيخ محمد الأمين، ص١٠٧؛ Maurice delafosse, haut Senegal, p180؛ بوفيل، تجارة الذهب، ص١٩٦.

القضايا التي تخصهم وأطلق عليه أسم ((بربوشي مودي)) وهو من متعاوني الملك وحاشيته[١].

وهناك العديد من فروع البرابيش كانت تسكن في بلاد المغرب هاجرت الى بلاد السودان ومنها أولاد سليمان وأولاد أحمد واولاد غنام وأولاد ايعيش وكـانوا يتمركزون في سرت وفزان ثم أنتقلت الى جنوب الصحراء وثم الى بلاد السودان الغربي من اجل التجارة وبحثاً عن الوفرة في الرزق والحياة الافضل وكذلك نشر الدعوة الاسلامية وأقام المهاجرون الجدد حلقة تجارية هامة في منطقـة أزواد[٢] واستمر الحال على ماهو عليه فترة من الزمن[٣].

٨-الترارزة والبراكنة:-

وهما قبيلتان عربيتان يرجع نسبهما الى المغافرة بن أودي بـن حسـان[٤]. وهاجرت هذهِ القبيلتان من توات وعبرت نهر النيجر واستوطنت منطقة السـودان الغربي وقد انصهروا في المجتمع الأفريقي حتى فقدوا دمائهم العربيـة الخالصـة ولكنهم أعطوا مقابل ذلك الإسلام ونشروا العربية[٥].

---

(١) زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي في عهد الاسقيين، ص٥٨.

(٢) منطقة أزواد وهي تشمل المناطق الواقعة الى الجنوب من الصحراء الكبرى وتعد مجـال الأنتقال بين الصحراء الكبرى ومناطق السودان وأهم حواضرها هي تمبكتو وجني وجاو، ينظر: حوتية، محمد الصالح، تاريخ تـوات وازواد، دار الكتـاب العربـي، (الجزائـر، ٢٠٠٧م)، ج١، ص٣٨-٤٢.

(٣) بول مارتي، البرابيش، ص٢١-٢٢؛ الهادي الدالي، مملكـة مـالي، ص١٧٢؛ القشـاط، محمد سعيد، جهاد الليبين ضد الاستعمار الفرنسي في الصحراء الكبرى، مركز دراسـات وابحاث شؤون الصحراء، طرابلس، ١٩٨٨م، ص٥٧.

(٤) الولاتي، محمد صالح، الحسوة البيسانية، ص٢٣٠-٢٤٢؛ المحجـوب السـالك، مجتمـع البيضان، ص٨٥-٨٦.

(٥) عباس عبد الله، التأثيرات الحضارية لإقليم توات، ص١٠٧.

٩-تكنة:-

وهي فرع من قبيلة عرب الشبانات من بني معقل[١]. فقد شكل امتزاج الشبانات مع قبيلة لمطة وجزولة ما يعرف بقبائل تكنة المشهورة وتشكل هذهِ القبيلة تجمعين كبيرين هما: أيت بلة وايت أجمل وتعرف هذهِ القبائل بخبرتها في التجارة يتوارثونها أبا عن جد، فهم أصحاب القوافل التجارية التي كانت تربط بين الصحراء الكبرى شمالها وجنوبها فكانت قوافلهم تربط بين أدرار وتمبكتو وواد نون[٢].

العروسين:- وهي قبيلة عربية ذكرها الحسن الوزان في بداية (القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي) كإحدى القبائل القوية في المنطقة[٣].

١٠- كنتة:-

وهي إحدى القبائل العربية الأكثر انتشاراً في منطقة الصحراء قدموا من الشمال نحو توات وبلاد السودان الغربي على فترات متقطعة وينتهي نسبهم كما يقولون هم الى عقبة بن نافع النهري[٤].

---

(١) المحجوب السالك، المصدر نفسه، ص٤٢.

(٢) وصف افريقيا، ج٢، ص١٥٠؛ المحجوب السالك، المصدر السابق، ص٦٧.

(٣) ابو العباس سيد أحمد العروسي بن أعمر بن موسى بن يحيى بن الحسن بن سعيد بن عبد القادر بن صالح بن عمار بن ابراهيم بن عبد الصمد بن عبد الكريم بن عبد الكامل بن علي بن إدريس الثاني بن إدريس الاكبر بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وكان رجل فاضل ودين وذو كرامات مشهورة (ت٨٦٥هـ/١٤٦٠م)؛ الفاسي، الشريف يوسف بن عابد، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب الى حضر موت، تح: ابراهيم السامرائي، دار الغرب، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص٦٤؛ المحجوب السالك، المصدر السابق، ص٦٧.

(٤) مارتي، بول، كنتة الشرقيون، ترجمة: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ص١٢؛ الشنقيطي، الوسيط في تراجم اعيان شنقيط، ص٤٧٨؛ عباس عبدالله، التأثيرات الحضارية لإقليم توات، ص١٠٥؛ الشيخ محمد الأمين، ص١٠٦؛ ابراهيم، حامد لمين، إسهامات قبائل كنتة والفلان في التواصل الثقافي بين توات والسودان الغربي، مجلة الدراسات التاريخية، موريتانيا، عدد٧، ٢٠١٦م، ص١٨.

استقرت القبيلة في الصحراء خلال القرنين (السابع والثامن الهجري الثالث عشر والرابع عشر الميلادي) بعد أن أصبحت الاوضاع غير ملائمة في الشمال وفي هذهِ الفترة رحل أحد أحفاد عقبة الى توات وهو عثمان بن بهس(١). الذي أقام بها مرشداً ومربياً تؤخذ عنه فنون العلم الى أن مات وخبره مشهور بها ثم خلفه ابنهُ يحيى وكان حافظاً ورعاً زاهداً ثم خلفه ابنه علي الذي تزوج امرأة اسمها (أهو) وأنجب منها ولده محمد الكنتي الذي تفرعت منهُ قبيلة كنتة واستقر بولاتة حتى توفي بها(٢).

ويؤكد الكثير من أبناء هذهِ القبيلة على أن نسبهم يرجع الى عقبة بن نافع الفهري حيث أهتم محمد الخليفة الكنتي(٣) بذكر مناقب والديه ونسبهما بأنهم من نسل عقبة بن نافع(٤).

---

(١) عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة بن نافع، الكنتي، محمد الخليفة، الرسالة الغلاوية، تح: حماه الله ولد السالم، مطبعة المعارف، الرباط، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٣٤.

(٢) البرتلي، محمد بن أبي بكر الولاتي، فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح: محمد أبراهيم الكتاني و محمد حجي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨١م، ص٣٠؛ شلبي، أحمد، موسوعة التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية، ط١، مكتبة النهضة، القاهرة، ج٣، ص٢١٢؛ حامد لمين، إسهامات قبائل كنتة، ص١٨.

(٣) فأما نسب محمد الخليفة فهو المختار بن أحمد بن أبي بكر بن محمد بن حبيب الله بن الوافي بن الشيخ سيدي عمر الشيخ بن سيد أحمد البكاي بن سيد محمد الكنتي بن سيد علي بن يحيى بن عثمان بن يهس بن دومان بن ورد بن العاقب بن عقبة المستجاب بن نافع فاتح أقليم أفريقية والمغرب الاقصى وبلاد التكرور، الكنتي، محمد الخليفة (ت١٣١٤هـ)، مخطوط الطرائف والقلائد، ورقة ٤٤ نقلاً عن فردوس، حناني، محمد الخليفة الكنتي، رسالة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠٠٩م، ص١٣٧.

(٤) حناني فردوس، المرجع نفسه، ص١٣٧.

وكذلك أن من المصادر الموثوقة والتي لا يتبادر الشك اليها هـي نـوازل الشيخ باي بن عمر الكنتي[١] حيث ورد في المخطوط على لسان الشيخ بـاي مـا نصه: "وأما نسب كنتة فقد اتفقت كلمة الصحراء قاطبةً على أنهم من نسل عقبـة مفتتح أفريقيا وباني القيروان والذي وقفت عليه من كتـب الانسـاب والتـواريخ كجمهرة أبن حزم والاصابة للحافظ بن حجر ودر السحابة للسيوطي أتفقوا علـى أنهُ فهري"[٢].

وقد اختلفت أراء المؤرخين حول أنتساب قبيلة كنتة الى عقبـة بـن نـافع الفهري بين مؤيد ومعارض لها[٣]. وقد جاء في مخطوط "الجوهر الثمين" فيـذكر:

---

(١) باي بن عمر بن الشيخ مختار الكنتي ولد سنة ١٢٨٢هـ وتوفي سنة ١٣٤٨هـ، بـول مارتي، كنتة الشرقيون، ص١٣٠؛ فرح سعد، ص٨-٩.

(٢) الكنتي، باي بن عمر، مخطوط فتاوي المعروفة بأسم "نـوازل بـاي"، محفـوظ بمسـجد مصعب بن عمير، أدرار، ورقة، نقلاً عن عنيشل، خديجة، التراث الكنتـي المخطـوط، مجلة الذاكرة، عدد٥، الجزائر، ٢٠٠٣م، ص١٠٢-١٠٣.

(٣) يشير بول مارتي الى أن افراد قبيلة كنتة يؤكدون على انهم ينحدرون من عقبة بن نـافع الفهري فاتح افريقيا وتنتشر هذهِ الرواية بين كل القبائل الصـحراوية المثقفـة فهـي إذن ترتبط بهذه السلالة، كنتة الشرقيون، ص١٢؛ إما المؤرخين كوفي وكوين وهنويك ومحمد سليمان الطيب فجميعهم يشيرون الى أن قبيلة كنتة قبيلة عربيـة شـهيرة تتواجـد ففـي الصحراء الكبرى من شنقيط الى النيجر والى توات ينتهي نسبها الى عقبة بن نافع فـاتح أفريقيا،

Cauvet, lesmarabouts, alger, 1923, p:516; A.coyne, Le sahara de L'Ouest, Etude Geographique sur L'Adrar, et une partie du sahara Occidentale, p7; J.O. Hunwik, kunta, Encyclopedie delislam, p393;

الطيب، محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربـي، القـاهرة، ٢٠٠١م، ج٣، ص٦٧٩؛ وأما أسماعيل العربي وهنري لوث فيرون أن ذلك مجرد دعوى واساطير حين يقول الكنتيون أنهم ينحدرون من سلالة عقبة بن نافع؛ العربي، أسماعيل، حاضر الـدول الاسلامية في القارة الافريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤م، ص٧٠؛

Henri Lhote, Les Touareg Du Hoggor, p207.

"الفصل الثاني فيمن ينتهي الى الفهرية من الكنتيين الباقين على العربية وهم بطون عديدة منهم أولاد الوافي ومنهم الرفاقدة"(١).

وقد هاجرت قبيلة كنتة في القرن (٩هـ/١٥م) من موطنها في توات الى تنبكتو ومع مرور الزمن أنصهرت هذهِ القبيلة العربية هناك واصبحت تدين لها الطريقة القادرية بأنتشارها هناك في غرب افريقيا وكان لها أثر عظيم في اسلام الزنوج في منطقة جنوب الصحراء ومنطقة النيجر الوسطى وقاموا ببناء المدارس والرباطات مما لمعت به تلك المدينة طويلاً(٢).

وكانت بداية هجرة كنتة الى السودان الغربي في عهد محمد الكنتي فقد ذهب ليبحث عن الثراء الى جوار قبيلة أمه التي كانت من لمتونة وسعى في تدعيم مركزه الديني على قبيلة لمتونة الذين كانوا السادة السياسيين للمنطقة وكذا على القبائل العربية من بني حسان الذين توافدوا على المنطقة وزاولوا التعليم والتجارة كذلك في تنبكتو واصبح لمحمد الكنتي واولاده مكانة معتبرة في بلاد السودان الغربي(٣).

---

(١) الطارقي، أبو عبد الرحمن، مخطوط الجوهر الثمين، ص٤٠٧.

(٢) كعت، تاريخ الفتاش، ص٢٣؛ مصطفى أبو ضيف، القبائل العربية، ص٢٨٤؛ حناني فردوس، محمد الكنتي، ص١٤٩؛ الجنيدي، عبد الحميد، مدينة تنكبت نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، دار ناشري، الكويت، عدد١٦، ٢٠١٢م، ص١١٣؛ شنتيرة، خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي المصلح الثائر وفكره الاصلاحي في توات والسودان الغربي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والاوقاف، تلمسان، ٢٠١١م، ج١، ص٤؛ عبدالله عبد الرزاق، الطرق الصوفية في القارة الافريقية، دار الثقافة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠١م، ص٣٢.

(٣) مارتي، بول، كنتة الشرقيون، ص٢٥؛ الشنقيطي، الوسيط، ص٤٧٨؛ نجم عبد الامير الانباري، الشيخ محمد الأمين، ص١٠٦؛ شنتيرة، خير الدين ، المرجع السابق، ج١، ص٤؛ عبدالله عبد الرزاق، الطرق الصوفية، ص٣٢.

المبحث الثالث

القبائل البربرية المهاجرة إلى بلاد السودان الغربي (ق٥-١٠هـ)

أولاً: البربر تسميتهم وأصولهم وأهم قبائلهم:-

تعني لفظة البربري في اللغة الكثير الكلام بلا منفعة[١]. وفي رواية أن أفريقش بن قيس[٢] لما غزا أفريقية وأفتتحها سمع أصوات أهلها فقال: ما أكثر بربرتهم فلهذا سموا البرابرة[٣]. فإن كلمة بربر بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة[٤]. وقد كان يطلق على سكان المغرب قديماً أسم أمازيغ نسبة الى جدهم مازيغ بن هواك بن هويك بن بدا بن جديان بن كنعان بن حام بن نوح[٥]. ومعنى أمازيغ عندهم الرجل الحر[٦]. وقيل إن سبب تسميتهم بالبربر هو لعلهم ينتسبون الى رجل كان يدعى بر بن قيس عيلان وأن براً هذا خرج الى ناحية المغرب مغاضباً لأخوته فقالت العرب بربر أي توحش[٧]. وقد نفى أبن حزم ذلك وجعله كذبة من أكاذيب مؤرخي اليمن[٨].

---

(١) الأزهري، محمد بن أحمد (ت:٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، ط١، دار احياء التراث، (بيروت، ٢٠٠١م)، ج١٥، ١٣٧.

(٢) أفريقش بن قيس بن صيفي الحميري كان من أعظم ملوك التبابعة، ابن خلدون، العبر، ج١، ص١٦.

(٣) البلاذري، أنساب الاشراف، ج١، ص٧؛ الأيلاني، أبو علي صالح بن عبد الحليم (كان حياً عام ٧١٢هـ)، مفاخر البربر، تح: عبد القادر زبادية، ط٢، دار أبي رقراق، الرباط، ٢٠٠٨م، ص١٦.

(٤) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦ ص١١٧.

(٥) الايلاني، المصدر السابق، ص١٩٣؛ أبن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٥.

(٦) العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، ص١٢؛ الكعاك، عثمان، البربر، ط١، مطبعة الترقي، (تونس، ١٩٥٦م)، ص٧؛ الدراجي، بوزياني، القبائل الأمازيغية، دار الكتاب، (الجزائر، ٢٠٠٧م)، ج١، ص٢٥-٢٦.

(٧) الايلاني، المصدر السابق، ص١٩٣.

(٨) جمهرة انساب العرب، ص٤٩٥.

أما عن أصولهم فقد اختلفت الآراء حولهم فقيل أن البربر كانوا من ولد حام بن نوح[١]. وقيل أنهم من العماليق[٢]. وقيل أن العمالقة من ولد سام والعرب ساميون[٣]. وهذا يعني أنهم من العرب، وذكر أبن خلدون وهو أكثر من كتب عن البربر: "والحق الذي لا ينبغي التعديل على غيره في شأنهم أنهم من ولد كنعان بن حام بن نوح وأسم أبيهم مازيغ.."[٤].

والبربر قبائل واسعة الانتشار قسمت من قبل العرب الى قسمين يضم كل قسم مجموعة من القبائل والعشائر المختلفة وهم البرانس والبتر[٥]. وقيل أن البرانس هم: "بنو بربر بن برنوس بن سفكو بن وانوخ بن خانوخ ..... بن مازيغ بن حام بن نوح"[٦]. وأما البتر فهم "بنو مادغيس بن بر بن قيس عيلان، ومادغيس هو الأبتر أبو البتر كلهم"[٧].

وذكر أن سبب تسمية البرانس والبتر بهذهِ التسمية هو نسبة الى نوع الثياب التي كان يرتديها كل منهما فالبرانس جاءت تسميتهم من البرنس وهو اللباس القومي المعروف عند المغاربة فهؤلاء هم الذين يلبسون البرانس كاملة بغطاء الرأس، أما البتر فهم الذين يلبسون هذا الزي أبترا أو ناقصا من دون غطاء الرأس فلهذا سموا بترا[٨]. وهناك من رأى أن البتر هم العارون عن الثياب والبرانس هم المتدثرون بالبرنس وهذا تفسير لغوي لا يقوم على اساس علمي متين[٩]. وأما عن

---

(١) أبن حزم، المصدر نفسه، ص٤٩٥؛ ابن عبد البر، القصد والأمم، ص٢٣.

(٢) البلاذري، انساب الاشراف، ج١، ص٦-٧.

(٣) أبن عبد البر، القصد والأمم، ص١١.

(٤) العبر، ج٦، ص١٢٧.

(٥) ابن منصور، عبد الوهاب، قبائل المغرب، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٦م)، ج١، ص٢٩٣-٢٩٤.

(٦) الايلاني، مفاخر البربر، ص١٧١.

(٧) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٨) العبادي، احمد مختار، في تاريخ المغرب والاندلس، دار النهضة، بيروت، ص١٤.

(٩) سالم، عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، ج٢، ص١٣٦.

قبائلهم فأنها لا تخرج كما ذكر أبن خلدون عن جذمين هما البـــرانس والبتـــر[١].
فقبائل البرانس هم: (المصامدة، وغمارة، أوربـــة، كتامـــة، أوريغـــة، أزداجـــة، عجبيسة، صنهاجة، لمطة، هسكورة، جزولة، مسطاسة وهوارة)[٢].

وأما القبائل البترية فهم: (زواغة، زناتة، زواوة، نغـــزة، لوتـــة، مزاتـــة، نفوسة، مغيلة، مطماطة، مطفرة، مديونة وصدينة)[٣].

وهذهِ هي أشهر القبائل البربرية بفرعيها البرانسي والبتر وهـــي بـــدورها تنقسم الى شعوب وبطون وافخاذ وعمائر لا تحصى[٤].

ثانياً: القبائل البربرية المهاجرة الى بلاد السودان الغربي:-

بعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب (٢٢هــ-٩١هـــــ/٦٤٣-٧٠٩م) كانـــت القبائل البربرية تتجه جنوباً نحو الصحراء بعد كل موجة من موجات الفتح وأخذت تستقر في الصحراء حتى وصلت الى بلاد السودان.

فإذا كان العرب قد هاجروا الى البلدان الأفريقية في مختلف أنحاء القـــارة وكان لهم أثر كبير في نشر الاسلام ولغته وإقامة ممالك اسلامية، فقد كان لهجرات البربر أيضاً دور عظيم جداً في نشر الاسلام ولاسيما في بلاد السودان[٥].

وتعد العناصر البربرية من العناصر المهمة التي هاجرت الى بلاد السودان الغربي وهناك دلائل على نزوح هذهِ القبائل الى بلاد السودان فقد ضمت الصحراء الفاصلة بين السودان الغربي والشمال الافريقي اكبر تجمعات للقبائـــل البربريـــة، بسبب التجارة والطرق التجارية، وقد ساعد البربر في الانتقال الى بلاد الســـودان

---

(١) العبر، ج٦، ص١١٧.

(٢) الايلاني، مفاخر البربر، ص١٧١.

(٣) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٤) المصدر نفسه، ص١٨٥.

(٥) حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٦١؛ بازينة، انتشار الاسلام، ص١٠٣؛ شـــوقي الجمل، الموسوعة الافريقية، ج، ص٨٩.

الغربي ظهور الجمل في الصحراء[١]. إذ نزحت اعداد كبيرة من القبائل البربرية سكان الشمال الافريقي الى بلاد السودان الغربي واستقروا فيه وحملوا معهم دينهم الذي اعتنقوه وهو الاسلام بل أنهم أسسوا لهم مدناً جديدة في السودان الغربي واختلطوا بالسكان الاصليين ونشروا الاسلام بينهم[٢].

فقد هاجرت القبائل البربرية من الشمال الأفريقي واخذت من الصحراء وطرقها مرتحلاً ومهجراً الى السودان الغربي تستوطنهُ وتنشر الاسلام أينما حلت إذ قامت بالأغارة على القبائل الزنجية التي تسكن جنوب الصحراء وهذهِ الغارات التي كان لها أكبر الأثر في الاتصال والاحتكاك المستمر بين شعوب شمال الصحراء وجنوبها[٣]. حيث أندفعوا نحو الجنوب في موجات متعاقبة متأثرين بالأحداث السياسية التي تعرضت لها المغرب ولعل من ابرز هذهِ القبائل واهمها هي قبائل صنهاجة ببطونها المختلفة والطوارق فقد كان لها نشاط واضح في منطقة السنغال والنيجر والمناطق المحيطة بها[٤]. ويذكر أبن خلدون أن الملثمين كانوا في كل نهضة من نهضاتهم يقيمون ملكا واسعاً يتجه عادة نحو بلاد السودان

---

(١) جان دفيس، التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا، تاريخ افريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤م، م٣، ص٤٠٧.

(٢) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الاسلامية في السودان الغربي، مجلة دراسات أفريقية، ١٩٨٩، عدد٥، ص٦٩؛ عبدالله عبد الرزاق، المسلمون والغزو لأمبراطورية الفولاني، مجلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م، عدد١٣٩، ص٣٧؛ نعيم عبد الأمير، محمد الأمين، ص١٠٦.

(٣) الداودي، نور الدين، جذور العلاقات المغربية الأفريقية، مجلة كان التاريخية، دار ناشري، الكويت، عدد٣٣، ٢٠١٦م، ص٥٩-٦٠؛ بازينة، انتشار الاسلام، ص١٠٣؛ الجمل، الموسوعة الافريقية، ص٨٩.

(٤) الجمل، شوقي عطاالله، الحضارة العربية الاسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات افريقية، القاهرة، عدد٨، ١٩٧٩م، ص٣٣؛ بازينة، م.ن، ص١٠٣؛ الجمل، الموسوعة، ص٨٩.

وأنهم اقاموا منذ وقت مبكر جسراً عبر الصحراء وصـل السـودان بالحضـارة الإسلامية[١].

ولم تكن الاحداث السياسية في المغرب هي العامل الوحيد في هجرة القبائل البربرية صوب الجنوب، فهناك عوامل أخرى من بينها مـثلاً هجـرات القبائـل العربية لاسيما (بني سليم والهلاليين) وتقدمهما تجاه الصحراء بحثاً عـن منـاطق تشبه الى حد ما في ظروفها وانماط الحياة فيها تلك التي تعودت عليها في بيئتهـا الأولى في الجزيرة العربية فدفعت هذه القبائل العربية أمامها القبائل البربريـة[٢]. وأدى هذا كما يقول توماس أرنولد الى تغير اساسي في توزيع السكان وتجمعهـم في مناطق معينة صالحة للإقامة في الواحات او على ضفاف الأنهار وساعد ذلك بدوره على نشر الاسلام في المناطق التي نزحت اليها هذهِ القبائل المتراجعة[٣].

أذ ان القبائل العربية كانت كلما أمعنت في تقدمها كلما أحتكت بقبائل البربر وأرغمت الكثير منها على الهجرة من يشأ البقاء والخضوع للعرب والاندماج فـي حياتهم يترك وشأنه ومن لم يشأ البقاء أجبر على الفرار بنفسه[٤].

ومن أهم القبائل التي هاجرت الى بلاد السودان الغربي هي:-

١-صنهاجة:-

تعود قبائل صنهاجة الى بربر البرانس وهي اكبر قبائل البربـر حضـارة وعمران قال عنهم أبن خلدون "أنهم يشكلون شعباً عظيماً لا يكاد يخلو قطـر مـن الاقطار من بطن من بطونهم"[٥].

---

(١) العبر، ج٦، ص٢٦٦.

(٢) الجمل، شوقي، المرجع السابق، ص٣٣؛ حسن احمد محمود، الاسلام والثقافـة، ص٦١؛ بازينة، م.ن، ص١٠٣؛ palmer: Islam in western Sudan, p.9؛ الجمل، شوقي، الموسوعة، ص٨٩.

(٣) الدعوة الى الاسلام، ص٣٩١.

(٤) حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٢٠١؛ De la chapelle: Hesperis, p49.

(٥) العبر، ج٦، ص٢٠١.

فقد أدعى الصنهاجيين أنهم عرب من اليمن[1]. من حمير[2]. وذكر الايلاني أن صنهاج أسم رجل وهو صنهاج بن يصوكان بن ميسور الذي يرتفع نسبه الى يعرب قحطان[3]. وقد نفى ذلك أبن حزم وجعلهم من ولد برنس[4]. كذلك ذهب أبن خلدون وجعلهم من ولد برنس بن بر بقوله: "...وأما ذكر نسبهم فأنهم من ولد صنهاج وهو صناك ... وهو عند نسابة البربر من بطون البرانس من ولد برنس بن بر"[5].

وبطون صنهاجة كثيرة جداً قيل أنها بلغت السبعين بطناً اختصرهم أبن خلدون وهم: أنجفه، تلكاتة، شرطة، كدالة، لمتونة، مسوفة، مندلة، بنو وارث، بنو تييسن، ومن أفخاذ انجفه: بنو سليب، فشتالة، مزوارت وملوانة[6]. ويقول ابن سعيد أنهم يذكرون أن اصلهم من عرب اليمن والعروبة بينهم ظاهرة[7]. وذهب أحد الباحثين الى قول آخر هو أن أدعاء صنهاجة النسب العربي لتكون على قدم المساواة مع القبائل العربية حتى نستطيع المشاركة في الحياة السياسية الجديدة التي أظلت المغرب بمجيء العرب فاصطنعت لنفسها انساباً عربية[8].

وكانت صنهاجة تستقر في وطن فسيح يمتد من غدامس[9] الى المحيط الاطلسي كما تمتد في المناطق الصحراوية التي تلي جبال درن وجبال الطلس وتصل الى مدينة تادمكة في الصحراء الكبرى[10].

---

(١) ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافيا، ص٢٦.

(٢) الايلاني، مفاخر البربر، ص١٨٦؛ العاملي، ابن سماك، الحلل الموشية، ص٦١.

(٣) مفاخر البربر، ص١٥٦.

(٤) جمهرة انساب العرب، ص٤٩٥.

(٥) العبر، ج٦، ص٢٠١.

(٦) المصدر نفسه، ج٦، ص٢٠٢.

(٧) كتاب الجغرافيا، ص٢٦.

(٨) حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص٣٧.

(٩) هي مدينة لطيفة قديمة ازلية واليها ينسب الجلد الغدامسي، بينها وبين جبل نفوسة سبعة ايام في الصحراء، للمزيد ينظر: مجهول، الاستبصار،ص١٤٥؛ البكري، المسالك،ج٢، ص٨٨١.

(١٠) البكري، المرجع السابق، ج٢،ص٨٨١-٨٨٢؛ حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٢٠٢.

وقد كان لصنهاجة الدور الأهم في السيطرة على الطرق التجارية الغربية في الصحراء فبات طبيعياً أن تكون مدن تلك الصحراء مسكونة ببطون تلك القبيلة والتي كان لها حضور واضح في القرى والمدن المتاخمة لبلاد السودان مثل صنغانة(١). وبوغرات(٢). وتوات(٣).

فقد ظلت سيطرة قبائل صنهاجة على طريق الذهب في عهد غانة مستمرة لقرون عديدة وقد ساعدت الأهمية الاقتصادية التي ظلت قبائل صنهاجة تحتفظ بها في دولة غانة على توسع تلك القبائل في أتجاه الشرق والشمال الشرقي ويبدو أن تلك الأوضاع الاقتصادية المربحة قد ساعدت على اندفاع عدداً من القبائل المغربية الاخرى نحو الصحراء والسودان للبحث عن مكان أفضل لها، وقد ساعد ذلك الى دفع القبائل السوداء نحو الجنوب بشكل متواصل(٤). ثم ما لبثت هذهِ القبائل ان توغلت جنوباً في بلاد السودان نتيجة عوامل سياسية واقتصادية وهو ما عبر عنهُ ابن خلدون: "... ابعدوا عن المجالات هناك منذ دهور ... ومنهم من قطع الرمل الى بلاد القفر وجاوزوا لمطة من قبائل الملثمين فيما يلي كوكو من بلاد السودان..."(٥).

وما يؤكد ما ذكره ابن خلدون أن المعطيات الطبيعية والمناخية لهذا الموقع الصحراوي لا تساعد على إمكانية استقرار العناصر البشرية حولها ومن هنا كان

---

(١) صنغانة وهي مدينتان تقعان على ضفتي نهر النيجر وعمارتها متصلة الى البحر المحيط وقربها تقع مدينة التكرور. ينظر، البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٨؛ مجهول، الاستبصار، ص٢١٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص١٣٤.

(٢) بوغرات وهي مدينة تقع على نهر النيجر في بلاد السودان وسكنتها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمداسة وهي قريبة على مدينة غانة وتادمكة، ينظر: البكري، المصدر السبق، ج٢، ص٨٨٠.

(٣) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٨و ص٨٨٠.

(٤) الغربي، محمد، الجذور الادريسية، ص٢٣٥؛ الدهماني سالم، الجاليات العربية، ص٧٥١.

(٥) العبر، ج٦، ص١٨٥.

الترحال أهم سمة تميز نشاط بربر الصحراء وبقي الرعي اساس عمل القبائل الصنهاجية لذلك تجدها دائمة الصدور والورود بحثاً عن الماء والكلأ لماشيتها[١].

وبذلك شكل الفضاء الجغرافي الممتد من بلاد المغرب الى نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والذي يتميز بكثرة مراعيه مجالاً سهلاً ومنيراً لتحركات القبائل الصنهاجية ولاسيما مسوفة الذين كانوا أبرز وسطاء لتجارة الملح[٢]. حيث أشار ابن بطوطة الى أنهُ سافر عام (٧٥٣هـ/١٣٥٢م) الى معدن ملح تغازة برفقة جماعة من تجار مسوفة وانهُ لا يسكن هناك الا عبيد مسوفة الذين كانوا يحفرون على الملح ويتعيشون بما يجلب اليهم من تمر درعة[٣]. فقد كانت مدن مالي وصنغي والتي تشمل أغلب دول السودان الغربي ولاسيما تنبكت قد سكنتها العديد من بطون قبائل صنهاجية إذ كانت عامرة بخليط من البربر والعرب[٤].

فقد هاجرت العديد من الجماعات القبيلة الى السودان الغربي من بطون صنهاجة وهي مسوفة ولمتونة وجدالة وغيرها وهي أولى القبائل التي هاجرت الى السودان الغربي منذ وقت مبكر وساهمت في نقل المؤثرات العربية الإسلامية ويبدو أن هذهِ القبائل كانت حلقة الاتصال بين الشمال الأفريقي والسودان الغربي[٥].

---

(١) أحمد الشكري، الاسلام والمجتمع السوداني، ص٨٢؛ Hun wick John, timbukto, p35.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٢١؛ سيسوكو، الصنغي منذ القرن الثاني عشر الى السادس عشر، من كتاب تاريخ أفريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج٤، ص٢١٥.

(٣) تحفة الانظار، ج٢، ص٥٢٣.

(٤) سيسوكو، المرجع السابق، ص٢١٥.

(٥) عبد الرزاق عبدالله، المسلمون والغزو لإمبراطورية الفولاني، مجلة عالم المعرفة، عدد١٣٩، كويت، ١٩٨٩م، ص٣٧؛ جمال زكريا قاسم، الاصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، ص١٥١.

٢-**لمتونة:-** وهي إحدى وأهم القبائل الصنهاجية واكثرها شهرة وعدداً وأوسعها مجالاً[١]. حيث يشير البكري الى ذلك بقوله: "قبيل من صنهاجة يعرفون ببني لمتونة ظواعن رحالة في الصحراء مراحلهم فيه مسيرة شهرين في شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام"[٢]. وأسمها بالبربرية: تلميت[٣]. وكانت لمتونة مثل غيرها تضم بطوناً عديدة ذكر ابن خلدون بعضاً منه: "..وللمتونة بطون كثيرة منهم بنو ورتطنق وبنو زمال وبنو صولان وبنو ناسجة"[٤].

وتقع مضاربها الى الجنوب وتمتد على المحيط الأطلسي أذ كان يمتد نفوذها من وادي نون شمالاً وحتى أودغست جنوباً ومن تخوم بلاد جدالة غرباً حتى حدود بلاد مسوقة شرقاً[٥]. وقد وصلت بطونها الى بلاد السودان الغربي ويشير الادريسي أن تكرور من بلاد لمتونة مع أن تكرور تقع في وادي النيجر جنوباً وكانت بذلك تحتل موقعاً مهماً على الطريق التجاري الهام الذي يسير بجوار البحر واستطاعت أن تكون لها السيادة على بقية القبائل[٦]. إذ لعبت لمتونة دوراً أساسياً في المبادلات التجارية عبر الصحراء حيث سيطرت على أقدم طريق لعبور الصحراء باتجاه بلاد السودان وأصبح هذا الطريق يحمل أسم القبيلة بعد قيام الحركة المرابطية فأطلق عليه أسم ((الطريق اللمتوني))[٧].

---

(١) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٣٤؛ المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ص٧٦؛ الصفاقسي، ابو الثناء، محمود بن سعيد (ت١٢٢٨هـ)، نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، ط١، دار الغرب، (بيروت، ١٩٨٨م)، ج١، ص٥٥.

(٢) المسالك، ج٢، ص٨٥٧.

(٣) القلقشندي، قلائد الجمان، ج١، ص١٧١.

(٤) العبر، ج٦، ص١٨١.

(٥) حسن احمد محمود، قيام دولة المرابطين، ص٤٥.

(٦) نزهة المشتاق، ج١، ص١٨-١٩؛ عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الاسلام، ص٣٣.

(٧) حسن أحمد محمود، المرجع السابق، ص٤٥؛ الناني ولد حسين، صحراء الملثمين، ص٩١.

ومن المدن التي حكمتها قبيلة لمتونة هي ((أودغست)) فقد كان اكثرية سكانها من قبائل السوننك السودانية الا أن حكامها كانوا من البربر من قبيلة لمتونة فهذهِ المدينة تقع على شهرين من سجلماسة وخمسة عشر يوما من عاصمة غانة[١]. وكانت السلعة التي تصدرها لمتونة الى بلاد السودان هي الملح لذلك ذكر أبن حوقل: "...أن حاجة ملوك السودان الى ملوك أودغست ماسة من أجل الملح الخارج اليهم من ناحية الإسلام..."[٢]. "وملك أودغست يخالط ملك غانة.."[٣].

فإن استقرار قبيلة لمتونة ببلاد السودان الغربي يرجع الى ما قبل ظهور المرابطين كما ذكرنا، واشار الى ذلك ابن سماك العاملي: "...وهم ظواعن في الصحراء رحالة لا يطمئن بهم منزل وليس لهم مدينة يأوون اليها ومراحلهم في الصحراء مسيرة شهرين ما بين بلاد السودان وبلاد الإسلام وهم على دين الإسلام وأتباع السنة يجاهدون غيرهم من طوائف السودان"[٤].

وبعد فتح بلاد غانة على يد أبو بكر بن عمر أنتقل كثير من افراد لمتونة الى بلاد السودان سواء عن طريق الجيش أو عن طريق التجارة فأقاموا هناك وشكلوا جالية إسلامية بربرية كبيرة كان لها الفضل الكبير في نشر الاسلام والثقافة العربية الإسلامية فضلاً عن ازدهار التجارة[٥].

٣-**جدالة**:- وهي فرع من صنهاجة أيضاً وقد حدد البكري منازلهم بقوله: "..وخلف بني لمتونة قبيلة من صنهاجة تسمى بني جدالة وهم يجاورون البحر ليس بينهم وبينهُ أحد.."[٦].

---

(١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٨-٨٥٠.
(٢) صور الارض، ص١٠١.
(٣) المصدر نفسه، ص١٠١.
(٤) الحلل الموشية، ص.
(٥) دندش، عصمت عبد اللطيف، دور المرابطين في نشر الإسلام، ص١١٤؛ ابراهيم طرخان، امبراطورية غانا، ص٤٧.
(٦) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٨.

وقد انتشروا باتجاه الجنوب حيث ذكر البكري بأنهم ملاصقون لبلاد السودان وأقرب بلاد السودان اليهم مدينة صنغانة بينها وبينهم مسيرة ستة أيام[١].

وقد ادت دوراً أساسياً في المبادلات التجارية مع بلاد السودان نتيجة سيطرتها على معدن الملح في مدينة أوليل على شاطئ البحر فمن هناك يحملهُ التجار الى بلاد السودان الغربي[٢]. وكانت القوافل تعود اليها محملة بالذهب[٣]. واحياناً تعد اوليل داخلة ضمن حدود بلاد السودان[٤]. حيث كان بنو جدالة فيها يوصفون بأنهم يعيشون في منطقة تعد أقرب المناطق الصحراوية الاسلامية الى بلاد السودان الغربي ولاسيما الى مملكة التكرور[٥]. وذلك مما جعل البعض يرجعون جميع قبائل التكرور في أصلها الى قبائل بربرية[٦].

وقد توغلت هذهِ القبيلة جنوباً نحو بلاد السودان متأثرة بالأحداث السياسية التي تعرضت لها بلاد المغرب وقد كان لها نشاط واضح في منطقة السنغال والنيجر والمناطق المحيطة بها[٧].

فقد كانت هذهِ القبائل الرحل تعد نفسها سيدة على الصحراء وتحرص على الدفاع عن حقوقها بالقوة ولاسيما حينما أصبح بيدها مصير الطرق التجارية الرابطة بين المغرب والصحراء وبالتالي مصير التجارة الكبيرة والمربحة بين المنطقتين، ومن ثم كانت هذهِ القبائل طرفاً في ذلك المشروع الكبير ألا وهو تجارة القوافل لذلك فمن الطبيعي أن ينشب بينها صراعات كبيرة حول امتلاك الطرق التجارية، الا أنهم بذلوا جهوداً كثيرة من اجل توحيد صفوفهم وتقوية كيانهم وقد

---

(١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٨؛ مؤلف مجهول، الأستبصار في عجائب الامصار، ص٢١٧.

(٢) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٧؛ مجهول، المصدر السابق، ص٢١٤.

(٣) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٠.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٧.

(٥) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٦٧؛ مجهول، المصدر السابق، ص٢١٤.

(٦) الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٦٧-٢٦٨.

(٧) المهندس، فريد، العلاقة بين الدولة المرينية ومالي، ص٤٢.

توجت هذهِ الجهود بقيام دولة المرابطين واستطاعوا أن يسيطروا في آن واحد على المغرب شمال الصحراء وعلى تخوم السودان بجنوبها وبذلك أصبح مصير طريق القوافل بين المنطقتين بيدهم(١).

ويلغ من كثرة الوجود المغربي في مالي أن وجد أبن بطوطة حياً خاصاً بهم يدعى محلة البيضان(٢). فقد كانت قبيلة جدالة تتميز بحماسها الدينية في تحويل الناس الى الإسلام وكان لجهودها الفضل في نشاط حركة المرابطين في قبائل السودان الوثنية(٣).

٤-**مسوفة:**- وهي قبيلة عظيمة من قبائل صنهاجة التي تسكن الصحراء(٤).

ووصفت بكثرة بطونها إذ قيل عنها: "وهم قبائل كثيرة من صنهاجة يسكنون الصحراء ولا يستوطنون بلداً وعيشهم على اللبن واللحم وهم خلق كثير..."(٥).

إذ أنهم "قوم رحالة لا يستقر بهم مكان، ليس لهم مدن ولا عمارة يأوون اليها الا وادي درعة وبينهُ وبين سجلماسة خمسة أيام"(٦).

فأن قبيلة مسوفة كانت تقيم في وسط الصحراء بين قبيلتي لمتونة في الشرق وجدالة في الغرب وتحدها شمالاً مدينة سجلماسة وإقليم غانة جنوباً وكانت بعض بطونها تمتد الى تادمكة وكوكو(٧). فهم كانوا يعملون كأدلاء في هذهِ الصحراء الى بلاد السودان الغربي واستمروا هكذا كما وضح ذلك أبن بطوطة في

---

(١) المهندس، فريد، العلاقة بين الدولة المرينية ومالي، ص٤٣-٤٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٢٨.

(٣) حسن ابراهيم حسن، انتشار الاسلام والعروبة، ص٩.

(٤) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٣٧؛ القزويني، اثار البلاد، ص٢٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٤٧٠.

(٥) مجهول، الأستبصار، ص١٧٩؛ الحميري، المصدر السابق، ص٤٧٠.

(٦) مجهول، الاستبصار، ص٢٠١؛ البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٧؛ الحميري، المصدر السابق، ص٣٠٥.

(٧) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٣٧؛ الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٣٨-٢٣٩؛ حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٢٠٣؛ الشاهري، مزاحم علاوي، حضارة الصحراء الكبرى من خلال مصادر العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد١٥، ص١١٨.

القرن الثامن هجري الرابع عشر الميلادي: "...فلما عزمت السفر الى مـــالي ... أكتريت دليلاً من مسوفة..."[١].

إذ كانت هذهِ القبيلة تسيطر على الطريق الحيوي للتجارة حتى زمـــن ابـــن بطوطة[٢]. كما أن ابن حوقل وهو يسبق ابن بطوطة بعدة قرون وجد هذه القبائـــل في مضاربها تلك تسيطر على التجارة المارة بين اودغست وسجلماسة والســـودان الغربي[٣].

إذ أن قبيلة مسوفة كانت تمثل حلقة وصل بين المغرب وشعوبه وحضارته وثقافته وبين أهل السودان الغربي بالجنوب[٤]. وتتوزع قبيلة مسوفة في كثير مـــن بلدان السودان الغربي في عهد مملكة غانة وقد كانوا يسيطرون على ونقارة أحدى المراكز بالمنطقة لاستخراج الملح فهي تبعد عن سجلماسة مسيرة خمسة وعشرون يوماً من مضاربهم ولا يسكنها الا عبيدهم وكان الملح بها على شكل الواح يحمـــل الجمل لوحتين ليباع في بلاد السودان[٥]. وكان رجال مسوفة يبيعون الماء للقوافل التجارية المارة بهم[٦]. اذ كانت قبيلة مسوفة من الرحل ويمارســـون دور الأدلاء للتجارة في الصحراء مما مكن كثير من أفرادها الاستقرار ببلاد السودان الغربـــي ولما زار أبن بطوطة مالي في القرن السابع الهجري الثالث عشر مـــيلادي وجـــد معظم سكانها من مسوفة[٧]. وازدادت هجرتهم اليها بعد سقوط مدينة غانا على يد المرابطين وفي ذلك يقول السعدي: "ولكن فيها دون الامـــوال مـــن كـــل قبائـــل المغربية"[٨]. إذ أنهُ منذ قيام مملكة مالي الاسلامية وما تلاه من أزدهار أقتصـــادي

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٢٤٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٧٨؛ حسن احمد محمود، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٣) صورة الارض، ص٩٩؛ حسن احمد محمود، المصدر السابق، ص٢٠٣.

(٤) حسن أحمد محمود، المرحلة الافريقية لدولة المرابطين، ص٢٠٤.

(٥) أبن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٤، ص٢٤١.

(٦) المصدر نفسه، ص٢٤٧.

(٧) المصدر نفسه، ج٤، ص٢٤١؛ أسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص٢٤٢.

(٨) تاريخ السودان، ص٢١.

وتجاري فيها شد كثيراً من افراد هذهِ القبيلة للارتحال والإقامة في السودان الغربي رغبةً في المشاركة في الرخاء الذي حظيت به مملكة مالي(١).

وعندما وصل ابن بطوطة الى بلاد السودان الغربي وتجول بهـا وخـالط أهلها اكد أن كثيراً من افراد قبيلة مسوفة يقيمون في مدن السودان الغربي ونظـراً لكثافتهم في هذهِ المدن فقد نصب لهم ملوك مالي زعماء حيث شاهد ابن بطوطـة في مجلس الغرب موسى نائب ملك مالي على مدينة تنبكتو قدوم وفد من مسـوفة عليه فألبس زعيمهم ثوباً وعمامة وسروالاً كلها مصبوغة وأجلسـه علـى درقـة ورفعة كبراء قبيلتهُ على رؤوسهم(٢).

فقد سكن الكثير من تجار قبيلة مسوفة في مدينة جني بعـد اسـلام أهلهـا وملكها ويشير السعدي بأنها "سوق عظيم من اسواق المسلمين"(٣). كمـا يـذكر أن تجارها من المسلمين يجتمع بها تجار الملح من ونقارة وأرباب الذهب وجنوا بهـا اموال لا تحصى(٤).

٥-**لمطة وجزولة وهسكورة:-** وهي من قبائل البربر البرانس وقيـل أن لمطـة وجزولة وهسكورة هم أخوة لصنهاجة من أم واحدة وهي تصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس(٥). وكانت مواطنهم بالسوس وما يليه من بـلاد الصـحراء وجبال درن حيث ملئوا "بسائطه وجباله"(٦).

وأما لمطة فهي قبيلة كبيرة ذات شعوب كثيرة(٧). وكـانوا يعيشـون فـي

---

(١) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي من خلال المصادر العربي، ص٢٥٣-٢٥٤.
(٢) الرحلة، ج٤، ٢٦٩.
(٣) تاريخ السودان، ص١٦.
(٤) المصدر نفسه، ص١٦.
(٥) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٨؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧٠.
(٦) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧٠.
(٧) الجزائري، مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر القديم والحـديث، تقـديم: محمـد الميلـي، المؤسسة الوطنية، (الجزائر، ١٩٨٦م)، ج١، ص١٠٣.

المنطقة الواقعة بين وادي سوس ومدينة نول[١]. واستطاعت مجموعة منهم التوغل داخل الصحراء حتى وصلوا الى بلاد كوكو من السودان[٢].

وقد اشتهروا بصناعة الدرق[٣] اللمطية التي لا شيء أبدع منها ولا أصلب منها وكذلك صناعة السرج واللجم وأقساب الأبل[٤].

وكانت القبائل البربرية تهاجر الى مملكة كوكو بشكل منتظم منذ وقت مبكر حيث أن بربر لمطة تمكنوا من السيطرة السياسية على مملكة كوكو منذ القرن (الأول الهجري/ السابع الميلادي)[٥]. وبعد ذلك أستمر تدفق القبائل المغربية ولاسيما قبيلة لمطة الى الضفة اليسرى لنهر النيجر عند مدينة (دندي)[٦] وسيطرت على الزراع من أهل صنغي ورحب هؤلاء بهم ليحموهم من الصيادين الذين كانوا يعتدون عليهم ونجح هؤلاء الوافدون في تكوين أسرة حاكمة كونت علاقات تجارية مع غانة وتونس

---

(١) وهي مدينة كبيرة في اول الصحراء على نهر كبير يصب في البحر المحيط ومن مدينة نول الى وادي درعة نحو ٣ مراحل وسميت بنول لمطة لأن قبيلة لمطة يسكنوها وهي أخر بلاد السوس، ينظر مجهول، الاستبصار، ص٢١٣؛ البغدادي، صفي الدين، مراصد الاطلاع، ج٣، ص٣٩٦؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٨٤؛ محمد مقديشو، نزهة الانظار، ج١، ص٥٥؛ المراكشي، المعجب في تلخيص اخبار المغرب، ج١، ص٢٥٩.

(٢) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص١٤١؛ الصافي، محمد، جوانب من التاريخ الاقتصادي المغربي، مدينة نول لمطة أنموذجاً، دورية كان التاريخية، الكويت، سنة ٨، عدد٢٨، ٢٠١٥م، ص١٨.

(٣) الدرق هي ضرب من الترسة تصنع من جلد حيوان يسمى اللمط وقد اختصت قبيلة لمطة بصناعتها وبها كان يقاتل أهل المغرب لحصانتها وخفتها وخفة محملها للمزيد ينظر: أبن منظور، لسان العرب، ج٢، ص٨٣٤؛ اليعقوبي، البلدان، ص١٨٣؛ البكري، المسالك، ج٢، ص٨٦٦؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج١،ص٢٢٤؛ الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص٢٦٣.

(٤) الحميري، المصدر السابق، ص٥٨٤؛ محمد مقديشو، نزهة الانظار، ج١، ص٥٥؛ العلوي، التقي، أصول المغاربة القيم البربري صنهاجة الشمال، مجلة البحث العلمي، المغرب، عدد٢٧، ١٩٧٧، ص٢٣٦.

(٥) دلافوس، دائرة المعارف الاسلامية، ج١، ص٢٦٥، مادة سنغاي.

(٦) هي مدينة في بلاد السودان الغربي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، ينظر، بازينة، عبدالله سالم، أنتشار الاسلام، ص١٠٦؛ عبد الحليم، رجب محمد، الموسوعة الموجزة في التاريخ الاسلامي، (المسلمون في افريقيا جنوب الصحراء)، (معهد البحوث والدراسات الافريقية، ١٩٩٧م)، ج٩، ص٣٢.

ومصر وكانت هذهِ العلاقات ذات أثر كبير في تحويل ملوك صنغي الى الاسلام في بداية (٥هـ/١١م) القرن الخامس هجري الحادي عشر الميلادي[١].

وأما جزولة فبطونهم كثيرة ومعظمهم بالسوس ويجاورون لمطة[٢]. وكانت بعض بطونها تقيم في قرية تماماناوت الواقعة في طرف صحراء غانة وهذا جعلها على أتصال كبير ببلاد السودان الغربي[٣].

وفي القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ذكر البكري أن جزولة ولمطة كانتا تغيران على القوافل في قلب الصحراء مما يلي بلاد السودان بمحل يسمى وانزميرن قد أتخذوه مرصدا لهم لعلمهم بإفضاء الطرق اليه وحاجة الناس الى الماء فيه[٤].

وأما قبيلة هسكورة فبطونها متعددة منهم مصطاوة وعجرامة وزمراوة وأنتيفت وبنو فغال وبنو رسكونت[٥].

وكانت مضاربهم متصلة مع درن[٦] الى تادلا[٧] في جانب الشرق والى درعة من جانب القبلة[٨]. ومن مدنهم ورزازات[٩] فبلد هسكورة واسع[١٠]. وعمل

---

(١) بازينة، عبدالله سالم، أنتشار الاسلام، ص١٠٦؛ عبد الحليم، رجب، المرجع السابق، ج٩، ص٣٢.

(٢) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧١.

(٣) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٥٩؛ مجهول، الأستبصار، ص٢١٢.

(٤) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤٧.

(٥) ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٢٧١.

(٦) هو جبل معترض في الصحراء وهو فاصل بين الصحراء والساحل وهم يختلفون في تسميته فأهل فاس وسجلماسة يسمونه درن والمصامدة ونول يسمونه، بشكوا وهوارة تسمية أوراس، ينظر: اليعقوبي، البلدان، ص١٩٨؛ البكري، المسالك، ج١، ص٢٣٨؛ مجهول، الاستبصار، ص١٦٣.

(٧) هي مدينة قديمة فيها آثار للأول وبنى فيها الملثمون حصناً عظيماً وهو الآن معمور فيه الاسواق والجامع والبلد كله كثير الخيرات والارزاق وأحاطت به القبائل من كل الجهات فهو حقيق بالمملكة، ينظر: مجهول، لاستبصار، ص٢٠٠.

(٨) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٧١.

(٩) وهو بلد هسكورة يقع قريب من وادي درعة، ينظر: البكري، المسالك، ج٢، ص٨٤٣؛ الحميري، الروض المعطار، ص٦٠٩.

(١٠) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٤٢.

أفرادها بالتجارة وهاجروا بعضهم الى بلاد السودان الغربي حاملين إنتاجهم من الزيوت والجلود والأقمشة[١].

فكانت هذه القبائل الثلاث تتحرك في مجالاتها الواسعة المتاخمة للحدود الشمالية الغربية لغانة[٢].

٦-هوارة:-

وهي من قبائل البرانس البربرية ويزعمون أنهم قوم من اليمن جهلوا أنسابهم[٣]. وقيل أنهم ولد هوار بن أوريغ بن برنس وأنهم أخوة لصنهاجة -ولمطة وجزولة وهسكورة من أمهم بصكي العرجاء بنت زحيك بن مادغيس الأبتر التي تزوجت أوريغ بن برنس فولدت لهُ هوارة[٤]. وأن لهوارة بطون عديدة وهم بنو محمد وبندارومليللة وورسطفة وبنو درص وبنو مرزبان وبنو ورفلة وبنو مسراتة وبنو نيه وبنو كهلان[٥]. وتقع منازلهم من آخر سرت[٦] الى طرابلس[٧]. وحتى مصر[٨].

وقد ذكر ابن خلدون أن بعض بطون هوارة لها صلات قوية بمملكة كوكو وأن بعضاً منها قد أستقر بهذهِ المملكة وتغير اسمهم وصاروا يعرفون بأسم هكارة[٩].

---

(١) الوزان، وصف افريقيا، ج١، ص١١٨.

(٢) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٤٧؛ مجهول، الاستبصار، ص٢١٢.

(٣) اليعقوبي، البلدان، ص١٨٤؛ القلقشندي، قلائد الجمان، ج١، ص١٦٨.

(٤) ابن حزم، جمهرة انساب العرب، ص٤٩٥-٤٩٦؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص١٨٢.

(٥) اليعقوبي، المصدر السابق، ص١٨٤؛ ابن حزم، المصدر السابق، ص٤٩٩؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص١٨٣؛ القلقشندي، المصدر السابق، ج١، ص١٦٨.

(٦) مدينة على ساحل البحر عليها سور طوب وبها جامع وحمام واسواق ولها ثلاثة ابواب ولهم نخل وبساتين وأبار عذبة ومنها الى أطرابلس عشر مراحل، ينظر، البكري، المسالك، ج٢، ص٦٥٢؛ مجهول، الاستبصار، ص١٠٩؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص٢٠٦؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٢، ص٧٠٤.

(٧) اليعقوبي، المصدر السابق، ص١٨٤.

(٨) القلقشندي، نهاية الأرب، ص٤٤١.

(٩) المصدر السابق، ج٦، ص١٨٥.

٧-مداسة:-

وهي أحدى بطون صنهاجة وحاضرتهم كانت مدينة بوغرات شمال نهر النيجر ومدينة غانة وبلادهم كانت متوسطة كثيرة العمارة ويزرعون الرز والذرة واكثر عيشهم من الحوت ويشتغلون بتجارة التبر[١].

وذكرهم صاحب الأستبصار فقال: "فإذا سرت من غانة تريدها ... ومن على النيل وهي اخر من غانة الى الجنوب مدينة بوغرات يسكنها قبيلة من صنهاجة يعرفون بمداسة"[٢]. إذ كانت تسكن في المناطق الشرقية من مملكة غانة ولا تبعد عن عاصمة غانة سوى أثنى عشر يوماً[٣]. وقد اكتسبت هذه القبيلة اهمية ونفوذاً في الاجزاء الشرقية من مملكة غانة وذلك من جراء سيطرتها على الطريق التجاري الذي يربط مملكة غانة بمدينة تادمكة[٤].

فقد سكنت هذهِ القبيلة المنطقة الشمالية من غانة وقد ذكر ذلك البكري: "واذا سرت من غانة تريد مطلع الشمس فأنك تسير في طريق معمورة بالسودان ... وهناك تلقى النيل خارجاً من بلاد السودان وعليه قبائل من البربر مسلمون يسمون مداسة"[٥].

٨-الطوارق:-

تعد قبائل الطوارق من القبائل التي هاجرت الى بلاد السودان الغربي[٦]. وقد اختلف المؤرخين في أصولهم فهناك من قال بأنهم من البربر ويذهب اخرون أنهم من أصل قوقازي وآخرون قالوا هم من الشعب الجرماني وهناك من يقول أن

(١) الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٥، ص٣٧٠؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٣٢.

(٢) الأستبصار، ص٢٢٤.

(٣) الادريسي، المصدر نفسه، ج١، ص٢٥.

(٤) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٩.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧٩.

(٦) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٥؛ الهادي الدالي، التاريخ السياسي، ص٢١٧؛ الوجود المغربي، ص١٧.

الطوارق هم الليبيون القدماء الذين هاجروا الى الصحراء ولكن الكثير اكدوا على أنهم من قبيلة صنهاجة[١].

إما ابن ابي دينار فقد أورد: "أن صنهاجة هم الذين يقال لهم الطوارق ويجاهدون السودان"[٢]. وذكرهم السعدي واعتبرهم من مسوفة بقوله: "الطوارق هم من مسوفة ينتسبون الى صنهاجة"[٣].

وقيل أن سبب تسميتهم بالطوارق هو أن البربر تبنوا ثم رفضوا مرات عدة الإسلام[٤]. كما ذكر ذلك أبن خلدون: "أن البربر أرتدوا بأفريقية المغرب اثنتي عشرة مرة..."[٥]. وقيل أن أسم التوارك نتج لفعل تركهم الدين المسيحي الى الاسلام[٦]. وقد أشارت المصادر اليه تحت أسم ((التوارق)) و ((التوارك))[٧].

---

(١) ولد النقرة، اكناتة، الطوارق من الهوية الى القضية، طوب بريس، (الرباط، ٢٠١٤)، ص٣٨-٤٣؛ E.F.Gautier: Le passe de l'Afrique du nord, payot, pparis, p224; Cauvet (coomdt), L'origine caucasienre des Touareg, ex B.E.S.G.A. Alger, 1925., p4-12; Henri Lhote: Les Touareg du Hoggar, payot, paris, 1955, p155; أسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص٤١.

(٢) المؤنس، ص١٢٧.

(٣) تاريخ السودان، ص٤٥.

(٤) بتقة، ابراهيم، لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، ص١٢٧.

(٥) العبر، ج٦، ص١٣٥.

(6) Rommel Rodd: people of the veil, ooster, N.Bm 1970, p274.

(٧) بتقة، ابراهيم، لمحات من تاريخ قبائل الطوارق، ص١٢٧.

والطوارق أقسام كبيرة من القبائل وينتشرون في مســاحات واسـعة فـي الصحراء الكبرى من توات وفزان[١] شمالاً الى تنبكتو جنوباً[٢]. وكان يطلق عليهم الملثمين[٣] ايضا[٤].

والطوارق ينقسمون الى عدة قبائل ترتبط جميعها بأربعــة فــروع وهــي: طوارق الهوقار يسكنون بجبل الهوقار وطوارق أجر وأينفوكا بجبل غات وتــوات وطوارق كلوى بجبل سكمارة وطوارق غوليمندن شرقي تنبكتو[٥].

وقد عرف الطوارق عصرهم الذهبي بالصحراء في أواخر القرن (الحادي عشر ميلادي/ الخامس هجري) بعد أن اصاب قبيلة لمتونة التــي كانــت تتـزعم الصحراء الى الشرق وسيطرت على الصحراء المعادية لنهــر النيجــر فبســطت نفوذها على ساكنيها وأعطت اسمها لكل المجموعات التي اصبحت خاضــعة لهــا وقد عبر أبن أبي دينار عن هذهِ القبيلة بقوله: "...هم الذين يقال لهم التوارق فــي هذا الزمان ويجاهدون السودان..."[٦].

وقد زادت هجرة الطوارق الى السودان الغربي إمام هجرات العرب مــن بني هلال وسليم في (القرن الخامس هجري/ الحادي عشــر مــيلادي) وأمتــدوا وانتشروا الى الغرب والجنوب من بلاد السودان حتى منعطف نهر النيجر وكــان

---

(١) هي بلد واسع ومدينة عظيمة وتسمى برقة أنطابلس قديماً وقد أفتتحها عمرو بن العــاص سنة ٢٣هــ صلحاً تقع بين الفيوم وطرابلس الغرب، ينظر اليعقوبي، البلــدان، ص١٨٤؛ البكري، المسالك، ج٢، ص٦٦١؛ البغدادي، مراصد الاطلاع، ج٣، ص١٠٣٥.

(٢) أسماعيل العربي، الصحراء الكبرى وشواطئها، ص١٧٥؛ سليجمان، الاجناس، ص١٢٩.

(٣) سموا بذلك لأنهم أتخذوا اللثام خطاما تميزوا بشعاره بين الأمم، ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٤١.

(٤) طرخان، أبراهيم، امبراطورية البرنو، ص٣٤.

(٥) الحشائشي، محمد بن عثمان، رحلة الحشائشي من ليبيا سنة ١٨٩٥، تح: علي مصــطفى المصراتي، دار لبنان، (بيروت، ١٩٦٥م)، ص١١٨؛ أسماعيل العربي، المرجع السابق، ص١٧٦.

(٦) المؤنس، ص١٢٧؛ الناني ولد حسين، صحراء الملثمين، ص١٠١؛ ولد النقرة، الطوارق من الهوية الى القضية، ص١٥٣.

لإسلام الطوارق أثر كبير في تطور الأحداث في المنطقة حيث ترتب عليه نشاط توسعي نحو الجنوب لنشر الاسلام بين الزنوج[١]. فقد ادى الطوارق دوراً مهماً في نشر الاسلام فيما وراء الصحراء كما عرفوا عند ممالك وقبائل السودان بالقوة والشجاعة ولعبوا دوراً مهماً في تجارة القوافل عبر الصحراء فقد كانت أغلب القوافل التجارية المتجهة من غدامس الى تنبكت وباقي مناطق السودان الغربي يقودها الطوارق[٢].

وقد استوطنوا حول منعطف نهر النيجر ليشيدوا مدينة تنبكتوا أواخر القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي)[٣]. إذ كان لهم نشاطاً واضحاً في منطقة السنغال والنيجر والمناطق المحيطة بها[٤]. ولقد كانت مدن صنغي ولاسيما تنبكت التي سكنتها العديد من بطون قبائل صنهاجة عامرة بأهل البادية من خليط البربر لاسيما التوارق والعرب[٥].

فبعد ضعف مملكة مالي أستقلت مدينة تنبكتو وأصبحت تحكمها بيت طوارق مقشرن وأول حاكم لها هو ((محمد نض)) فيقول السعدي بذلك: "فأول من ابتداء فيه الملك كما تقدم أهل مالي ... ثم طوارق مقشرن ودويلتهم أربعون

---

(١) سليجمان، السلالات البشرية، ص٤٣؛ بازينة، انتشار الاسلام، ص١٠٤؛ الناني ولد حسين، المصدر السابق، ص١٠١؛ ولد النقرة، المصدر السابق، ص١٥٣؛ الجمل، شوقي عطاالله، الحضارة العربية الاسلامية، ص٣٣؛ عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الاسلامية، ص٧٠-٧١؛ palmer, Islam in western Sudan, p.9.

(٢) علي، مسعود عمر، تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، جمعية الدعوة الاسلامية، طرابلس، ٢٠٠٣، ص٢٨؛ حسن أحمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٢٠٢؛ قدوري عبدالرحمن، الوجود المغربي، ص١٧.

(٣) الناي ولد حسين، صحراء الملثمين، ص١٠١؛ ولد النقرة، الطوارق من الهوية للقضية، ص١٥٣.

(٤) الجمل، شوقي، الحضارة العربية الاسلامية، ص٣٣.

(٥) السعدي، تاريخ السودان، ص٢١.

عاما من سبعة وثلاثين في القرن التاسع..."[1]. ودام حكم الطوارق حتى سنة (٨٧٣هـ/١٤٦٨م) حينما غزاها ((سني علي)) ودخلها ضافراً[2].

وفي عام (٨٣٧هـ/١٤٦٨م) هاجمت قبائل الطوارق تنبكت واستطاعت الاستيلاء عليها وبهذا خرجت عن سلطة دولة مالي وعجز الملوك المتعاقبون على دولة مالي عن استعادتها مرة أخرى وظلت تحكم من قبل عشيرة مقشرن أحدى قبائل الطوارق مدة اربعين عاماً[3].

وكان تواجد الطوارق ببلاد السودان في عهد مملكة سنغاي بارزاً فازداد عددهم وشكلوا جالية كبيرة تمثل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية في المنطقة واندمجوا مع السكان الأصليين وتصاهروا معهم وتحالفوا معهم ضد غزو السعديين[4].

٩- بني ينتسر:-

وهي من صنهاجية أيضاً تسكن قرب قرية تسمى مدوكن[5] وتبعد عن مدينة غانة أربعة أيام[6].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٥.

(٢) محمد أمين عوض الله، العلاقات بين المغرب الاقصى والسودان الغربي في عهد مالي وسنغاي، دار المجتمع، ١٩٧٩م، ص٦٧.

(٣) طرخان، مالي، ص١١١؛ دائرة المعارف الاسلامية، ج٥، ص٤٦٦؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الاسلامية، ص٧١.

(٤) سلطان، عبلة محمد، العناصر المغربية في السودان الغربي، ط١، القاهرة، ٢٠١٣، ص١٨٦.

(٥) وهي قرية تقع في بلاد السودان الغربي وتبعد عن غانة أربعة أيام، ينظر البكري، المسالك، ج٢، ص٨٥٧.

(٦) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٥٧.

١٠- بنو وارث:-

وهي قبيلة من صنهاجة أيضاً[١]. وكانت تقع مضاربها على مسافة من مدينة غانة[٢].

١١- سغجارة:-

وهي إحدى بطون قبيلة صنهاجة وهم يقيمون ضمن مدينة تادمكة وقد هاجروا ايضاً الى السودان الغربي وسكنوا شمال مملكة كوكو إذ لم يكن يفصل بينهم وبين كوكو الا نهر النيجر[٣].

١٢- بغامة:-

وهم بربر رحالة لا يقيمون في مكان يرعون جمالهم على ساحل وادي يأتي من ناحية وارمن ناحية المشرق فيصب في نهر النيجر وتقع مضاربهم الى جهة الشمال من الصحراء بين مداسة وسغمارة[٤].

وكان الطريق الى بلاد السودان يمر من كوغة[٥] الى كوكو على أرض بغامة[٦]. وقد سكنت هذهِ القبيلة بلاد السودان فيذكر الإدريسي: "أن اهل بغامة بربر سودان قد أحرقت الشمس جلودهم وغيرت الوانهم ولسانهم لسان البربر فهم قوم رحالة وشربهم من عيون يحفرونها في تلك الارض[٧].

(١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٤٧؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٦٠٦.

(٢) البكري، المصدر نفسه، ج٢، ص٨٤٧.

(٣) البكري، المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧٩.

(٤) الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٥.

(٥) مدينة في السودان الغربي بينها وبين غانة خمس عشرة مرحلة وأهلها مسلمون وحواليها المشركون وهي اكثر بلاد السودان ذهباً، ينظر: ابن حوقل، صورة الارض، ج٢، ص٣٢٠؛ البكري، المسالك، ج٢، ص٨٨٧؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٢٢؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص٥٠٤.

(٦) الأدريسي، المصدر السابق، ج١، ص٢٨.

(٧) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧.

وأيضاً سكنت قبائل بربرية مسلحة مراكز استخراج المعـادن ولـم تشـر المصادر الى أسم هذه القبائل فيقول البكري عن غياروا وهي بلدة صغيرة لمملكة غانة يستخرج منها الذهب ويوجد بها كثير من التجار المسلمين[١].

ويذكر صاحب الأستبصار عن مدينة كوغة "وهي أحدى مدن غانة وأهلهـا مسلمون وحواليها المشركون" ويذكر كذلك أن بجانبها مدينة الوكن[٢]: "وهي مدينة عظيمة يقال أن ملكها المعاصر لنا مسلم يخفي اسلامه"[٣].

وخلاصة القول أنهُ كان يوجد بالسودان الغربي عدد كبيـر مـن القبائـل البربرية المهاجرة مما أدى الى وصف كثير من أقاليم وممالك السـودان الغربـي بأنها تحتوي على جاليات إسلامية كبيرة لدرجة أن بعض المدن السودانية قد ناهز عدد المسلمين فيها العناصر المحلية مما ادى الى إنشاء مدن خاصة بالمسلمين من سكان السودان الغربي فضلاً عن القادمين اليهم من المغرب والصـحراء وكانـت هذه المدن تضاهي العواصم السودانية، كما وجدت مدن فـي السـودان الغربـي ولاسيما داخل مملكة غانة بها غير المسلمين[٤].

---

(١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٤.

(٢) هي مدينة عظيمة من مدن السودان الغربي تقع بالقرب من مدن السودان الغربـي تقـع بالقرب من مدينة كوغة، ينظر: مجهول، الاستبصار، ص٢٢٢.

(٣) الاستبصار، ص٢٢٢.

(٤) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧١؛ عبد العزيز بن سعد، انتشار الاسلام، ص١٤٩.

المبحث الرابع
الهجرات الفردية

وَفَدَ على السودان الغربي عدد كبير من العلماء ورجال الدين من مختلف الأقطار الإسلامية للتدريس في مدارس ومساجد تمبكتو وجني ومالي وغيرها من حواضر السودان الغربي، احساساً منهم بواجبهم تجاه إخوانهم في هذهِ البلاد وأسهم هؤلاء في نشر الثقافة العربية الإسلامية فيها واللغة(١).

وكانت مهنة التعليم من أحسن الأعمال في أوساط المجتمع السوداني وكان للمعلم الحظ الأوفر من قبل السلطة في السودان حيث كان المعلمون على اختلاف طبقاتهم يحظون باحترام كبير من قبل الأهالي أو السلطان(٢).

وقد اشتهرت مدن السودان الغربي بمراكزها الثقافية المزدهرة في دولة صنغي مثل مدينة تمبكتو وجني وجاو وكانو وكاتسينا(٣).

وقد هاجر العلماء والفقهاء الى تمبكتو بأعداد كبيرة نظراً لما لقوه من تشجيع ورعاية من جانب الأسكيا محمد الذي كان كثيراً ما يزور العلماء المسلمين في تمبكتو ويستشيرهم(٤).

وقد اكد الوزان أن تمبكتو وقت زيارته لها كانت مليئة بالعلماء والفقها والأئمة وأن هؤلاء يتمتعون برواتب سخية ويعاملون باحترام وتعظيم(٥).

وعندما دخل ابن بطوطة الى جاو(٦) التقى بعدد من العلماء والفقهاء والتجار وقد استضافوه فيها نحو الشهر فيقول: "وأضافني فيها محمد بن عمر

---

(١) الجمل، شوقي عطاالله، الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، ص١٤٨.

(٢) الوزان، حسن، وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٧؛ كعت، الفتاش، ص١٠٨؛ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، ص١٤١.

(٣) محمد الفاجالو، الحياة العلمية في مملكة صنغاي، ص٥٩.

(٤) ترجنهام، تاريخ الإسلام في افريقيا الغربية، ص٩٦؛ ادريس، الفاتح الزين، الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الإيجابي في السودان الغربي، مجلة الدراسات الافريقية، عدد٣٩، السودان، ٢٠٠٨م، ص٦.

(٥) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٥.

(٦) ينظر: ص٢٣٥ عن مدينة جاو.

واصله من مكناسة والحاج محمد الوجدي التازي وهو تاجر والفقيه محمد الفيلالي وهو أمام مسجد البيضان فيها"(١).

وكان هؤلاء العلماء والفقهاء والتجارة يعاملون باحترام وتعظيم من أهالي بلاد السودان الغربي، وكذلك لم يكن هؤلاء كلهم على مرتبة واحدة في اعتقاد الناس وإنما كانوا على درجات متفاوتة على حسب العادات والتقاليد الاجتماعية المتوارثة فقد تبوأ الاشراف من العلماء المراكز العليا باعتبارهم من أحفاد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم)(٢). ويأتي بعد الاشراف أهل بيوت العلم لمكانتهم الاجتماعية منذ فترة بعيدة لكونهم أهل العلم ويتوارثونه فيما بينهم واشتهروا به ومن أهم هذهِ الأسر (آل أقيت) الذين كانوا ممن لهم الوجاهة والرياسة الشهيرة ببلاد صنغاي دينا ودنيا بحيث تعدد فيهم الأئمة والعلماء والقضاة وتوارثوا رياسة العلماء مدة طويلة(٣).

فقد تدفق العلماء والفقها الى مملكة مالي لتعليم وتثقيف المسلمين وتكوين الفقهاء فيها فسارع أبناء السودان لتلقي مختلف العلوم من مشاهير علماء المغرب وأشار كعت الى ذلك بقوله: "...... وكل من كان في هذا الإقليم أصلهم من المغرب"(٤). ومن هؤلاء العلماء والفقهاء الذين هاجروا نذكر منهم:-

---

(١) رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٢٠٤؛ وناس، زمان عبيد، الحياة الاجتماعية في مدينة جاو، مجلة جامعة كربلاء، م٤، عدد٣، ٢٠٠٦م، ص١٠٢-١٠٣.

(٢) كعت، تاريخ الفتاش، ص١٨؛ الفالجالو، الحياة العلمية في صنغاي، ص٥١-٥٢.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٠؛ زبادية، مملكة سنغاي، ص١٣٨؛ الفاجالو، المرجع السابق، ص٥٢.

(٤) الفتاش، ص٤٨؛ الفاجالوا، المرجع السابق، ص٥٣.

أولاً:- هجرات شخصية (علماء، فقهاء):-

١-موسى بن هارون بن عمران الوسياني:-

وهو عالم من بلاد الجريد ذهب الى وارجلان حيث عرض عليه منصب معلم بمبلغ مائة دينار غير أنهُ رفض ذلك وغادر الواحة الى غانة للتجارة وأستقر بمدينة غياروا حيث قضي حياتهُ هناك[١].

٢-علي بن أحمد الأنصاري:-

هو علي بن أحمد بن محمد بن عبدالله الأنصاري الأندلسي وهو عالم نحوي أنتقل الى بلاد السودان الغربي ليعلم أهلها القران الكريم وتوفي سنة (٧٢٤هـ)[٢].

٣-أبو إسحاق الساحلي:-

أبو إسحاق أبراهيم بن محمد الساحلي المعروف بالطويجن ولد بغرناطة وتوفي في تمبكتو سنة (٧٤٧هـ/١٣٦٤م)[٣]. وهو شاعر ومهندس هاجر الى السودان الغربي برفقة السلطان منى موسى عندما رجع من حجة في أوائل (القرن الثامن هجري/ الرابع عشر ميلادي) وأقام في مدينة تمبكتو، وقد ادخل فنوناً معمارية كثيرة في السودان الغربي وكان الشعر أحد أهم مواهبة[٤]. وعندما سكن

(١) الشماخي، كتاب السير، ص١٥٠؛ الدهماني سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٦؛ ادريس الحرير، العلاقات الاقتصادية والثقافية، ص٨٤.

(٢) أبن حجر، أنباء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، أحياء التراث، (مصر، ١٩٦٩م)، ج٢، ص٢١٦.

(٣) المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٤١هـ)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: أحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٧م)، ج٢، ص١٩٤-١٩٥؛ النباهي، أبو الحسن عبدالله بن الحسن، تح: لجنة أحياء التراث، ط٥، دار الافاق، (بيروت، ١٩٨٣م)، ص١٦٨؛ أبن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧هـ)، نثير فوائد الجمان في نظام فحول الزمان، ص٣٠٨؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٤١٦.

(٤) المقري، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٤-١٩٥؛ النباهي، المصدر السابق، ص١٦٨؛ أبن الأحمر، المصدر السابق، ص٣٠٨؛ أبن خلدون، المصدر السابق، ج٦، ص٤١٦.

في تمبتكو تزوج من بعض نسائها اللاتي أنجبن لهُ أولاد كانوا حسب تعبيـر أبـن الخطيب كالخنافسة(١).

وقد حظي هو وأبنائه بشهرة كبيرة في مملكة مالي لبـراعتهم المعماريـة وقدراتهم الأدبية حتى أنهم أحتكروا الفنون وتوارثوها بعد والدهم فقد ساروا علـى نهجة حيث برز منهم الفقيه أبو العباس أحمد بن أبـراهيم بـن محمـد السـاحلي الغرناطي(٢).

٤-أبو عبدالله الكومي الموحدي:-

وهو من قبيلة كومية من شمال المغرب الأوسط وهو مهندس وفقيه وعـالم من علماء المالكية هاجر الى بلاد السودان الغربي برفقة المهندس أبـو إسـحاق الساحلي وشارك في بناء الجامع الكبير معه وأستقر في مالي وبقي هناك(٣).

٥-الفقيه عبد الرحمن التميمي:-

وهو من علماء الحجاز قدم أيضاً مع السلطان منسا موسى الى مالي وسكن مدينة تمبكت فوجدها حافلة بالفقهاء السودانيين فوجد أنهم قد تفوقوا عليه في الفقـه فسافر الى فاس وفقه على الفقهاء المالكيين ثم عد الى تمبكت فأستوطنها(٤).

٦-محمد بن الفقيه الجزولي:-

وكان هذا فقيهاً وقد هاجر الى بلاد السودان الغربي وتصاهر مع ملك مالي حيث تزوج بنت عم السلطان منسا سليمان(٥).

---

(١) الأحاطة، ج١، ص٣٤٩؛ ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٤١٥.

(٢) النباهي، المصدر السابق، ص١٦٨؛ ابن خلـدون، المصـدر السـابق، ج٦، ص٤١٥؛ مسعود، خالدي، أبو أسحاق أبراهيم الساحلي، مجلة كان، عدد ٣٧، ٢٠١٧م، ص١٣٣.

(٣) الأرواني، السعادة الأبدية، ص٧١؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٣٨؛ علي عيشي، أبعاد الحضور المغرب الأوسط في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة حروف، عـدد١، ٢٠١٤م، ص٢٦-٢٧.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٥١؛ الولاتي، قنع الشكور، ص١٧٦؛ أبو بكـر إسـماعيل سيفا، تاريخ الثقافة والعالم، ص٢٢٣.

(٥) أبن بطوطة، رحلة، ج٢، ص٥٢٨-٥٢٩؛ الدهماني سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٩.

٧-العاقب بن عبدالله الأنصمي المسوفي:-

تعود أصولهُ الى قبيلة مسوفة الصنهاجية ولد بقرية أنضمن قرب تكدة وأخذ العلوم عن الامام عبد الكريم المغيلي وعن الأمام السيوطي عندما حج[١]. وكان له عدد من الابحاث والنزاعات في عدد كبير من المسائل والنوازل الفقهية مع الفقيه مخلوف بن علي بن صالح البلبالي[٢]. وتوفي العاقب سنة (٨٥٧هـــ/١٤٥٣م)[٣]. ولهُ عدة مؤلفات خاصة منه: "دنية الخالق" و "الجواب المحدود عن أسئلة القاضي محمد بن محمود" و "أجوبة عن أسئلة الأمير"[٤].

٨-الفقيه يحيى التادلسي:-

هو يحيى بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن الثعلبي بن يحيى البكاء بن ابي الحسن علي بن عبدالله بن عبد الجبار بن تميم بن هرمز بن حاتم بن قص بن يوسف بن يوشع بن ورد بن بطال بن أحمد بن محمد بن عيسى بن محمد بن الحسن بن علي بن ابي طالب (عليه السلام)[٥].

وقد ذكر السعدي أن هذا العالم الفقيه قدم الى تمبكت فترة ولاة (كي محمد نض)[٦] (٨٣٧-٨٧٦هـ) الى تمبكت وأنهُ تلقاه عند قدومه بالترحاب واكرامه غاية الإكرام وبنى مسجداً وجعله إماما فيه وعرف هذا المسجد بمسجد سيدي يحيى وبلغ الغاية القصوى في العلم والإصلاح وأنتشر ذكره في الأفاق وكان الشيخ يحيى التادلسي مثالاً للعالم العامل لعلمه فقد كان يعمل بالعاملات التجارية

(١) التمبكتي، كفاية المحتاج، ج١، ص٣٧٧.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٣٩٩؛ السعدي، المصدر السابق، ص٤١.

(٣) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٥١٧.

(٤) التبكتي، نيل الابتهاج، ج١، ص٣٩٩.

(٥) السعدي، السودان، ص٥٠؛ الارواني، السعادة الأبدية، ص٧٢-٨١.

(٦) السعدي، المصدر السابق، ص٤٩-٥١؛ ميغا، أبو بكر أسماعيل محمد، أشهر علماء تمبكت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود، عدد١١، (السعودية، ١٤١٥هـ)، ص٢٢٨؛ مبخوت بوداوية، أعلام السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر هجري، حولية المؤرخ، عدد٦، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص١٨٢.

لسد حاجته حتى لا يحتاج الى الناس في شيء من أمور معيشتهُ، الى جانب قيامه بالتدريس وأمامه مسجده وكان يدرس في مسجده وبيته وجامع سنكري وقد توفي سنة (٨٦٦هـ) في مدينة تمبكت[١].

٩-أبو القاسم التواتي:-

هو من اشراف مدينة توات قدم مع جماعة من علماء وصلحاء وشرفاء مدينة تافيلات الى مدينة تنبكت[٢].

شيد بيته قرب المسجد الكبير بالمدينة وجعله مركزا لاستقبال العلماء وطلاب العلم[٣]. وهو أول من ابتداء قراءة المدائح في تنبكت وكان محل احترام وتقدير الجميع حتى أن السلطان اسكيا محمد الكبير كان يصلي خلفه ويطلب منه الدعاء له والتبرك به وقام بأنشاء مقبرة كبيرة وأوقف عليها ستين جزءاً من القران الكريم[٤].

إذ يعد من رابع الأولياء الصالحين الذين يحيطون بالمدينة ومشهوراً مقبولاً من أهل الكشف صاحب كرامات عالماً متعنتاً ناسكا عابداً مطبوعاً على الخير

---

(١) هو محمد ناالله من قبيلة أجر الصنهاجية وكان أخر حكام تمبكتو المفوضين من قبل سلطان مالي، ومعنى كي عندهم الحاكم باللغة السودانية، ينظر السعدي، المصدر السابق، ص٢٢؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص٦٣-٦٤.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٨-٦٠؛ البرتلي، فتح الشكور، ص٩٧؛ عباس عبدالله، التأثيرات الحضارية، ص١٠٠؛ ميغا، ابو بكر أسماعيل، تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي، مجلة الدارة، مج١٩، عدد٢، (السعودية، ١٩٩٣م)، ص٢٣٢، ٢٣٣؛ محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٥١٥.

(٣) البرتلي، المصدر السابق، ص٦٩؛ السعدي، المصدر السابق، ص٥٩.

(٤) السعدي، المصدر السابق، ص٥٩-٦٠؛ الارواني، السعادة الأبدية، ص١٦١؛ عباس عبدالله، المصدر السابق، ص١٠٠؛ ميغا، ابو بكر أسماعيل، المصدر السابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

وحسن النية[١]. وقد وافته المنية في مدينة تنبكت سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) وفي تلك الفترة كان يوجد بالمدينة خمسون عالماً من توات[٢].

١٠- أحمد الصقلي:-

هو أحمد بن عبد الرحمن بن إدريس بن ابي يعزى بن حسن بن أبراهيم بن عبدالله بن عيسى بن أبراهيم بن عبدالرحمن بن الحسن بن علي بن ابي طالب عليهم السلام يعرف بزين العابدين[٣].

وقد قدم الى صنغي عام (٩٢٥هـ/١٥١٩م) بناءً على طلب الأسكيا محمد الكبير أثناء رحلة حجه من شريف مكة ليتبرك به[٤].

وقد نال أحتراماً كبيراً ومركزا عالياً كونهُ من أحفاد الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) فعندما وصل الى بلاد السودان الغربي أقام أهل تمبكتو حفلاً لاستقباله فأكرموه وحملوه على أعناقهم الى محل أقامته وأنزلوه هناك ثم قدموه الى المصلى فصلى بهم العيد وقد صار له في هذهِ البلاد كل ما يمتناه المرء من احترام وتعظيم واغدقت عليه شتى أنواع الهدايا وهكذا أصبح هو وذريته من أهم الشخصيات التي كان لها مكانتها في البلاد[٥].

١١- منصور الفازاني:-

وهو من العلماء الذين وهبوا أنفسهم وكرسوا حياتهم لنشر العلم بالسودان الغربي ويرجع أصله الى مدينة فزان[٦]. وتولى منصب الإمامة والقضاء في تنكبت سنة (٩٣٥هـ/١٥٢٨م) وكان ذلك بعد وفاة أستاذه ابو القاسم التواتي[٧].

---

(١) الارواني، السعادة الابدية، ص١٦١-١٦٢.

(٢) السعدي، المصدر السابق، ص٥٨؛ البرتلي، المصدر السابق، ص٦٩.

(٣) كعت، الفتاش، ص١٨.

(٤) المصدر نفسه، ص١٩؛ السعدي، المصدر السابق، ص٥٠.

(٥) كعت، المصدر السابق، ص١٨-١٩؛ الفاجالوا، المصدر السابق، ص٥٢.

(٦) الارواني، السعادة الابدية، ص١٦١.

(٧) السعدي، المصدر السابق، ص٥٩.

١٢- الشيخ مخلوف بن علي بن صالح البلبالي:-

هو قاضي وعالم جغرافي سافر الى كانو وكاتسينا واستفاد منهُ أهلها فذاع صيته وتوافد عليه الطلاب من كل مكان من بلاد السودان وانتشر علمه وأشتهر بقوة الحافظة[١]. ثم سافر الى مدينة تنبكت ودرس بها ونشر علمه فيها حتى توفي سنة (٩٤٠هـ/١٥٣٣م)[٢].

١٣- الشيخ محمد البغدادي:-

وهو أمام فريد زمانه قد الى بلدة أهير في بداية القرن (العاشر هجري/ السادس عشر ميلادي) أشتغل بالتدريس وقد عمل على نشر الطريقة القادرية في المنطقة والتي كانت أول طريقة تصل الى منطقة السودان الغربي[٣].

ثانياً: هجرات عائلية:-

لم تقتصر الهجرات الفردية على الاشخاص كالعلماء والفقهاء فقط بل كانت هناك عائلات مغربية هاجرت الى بلاد السودان الغربي وقد ازدادت تلك العائلات هناك حتى أصبحت أعدادها كثيرة[٤]. وكان لها دوراً في نشر الإسلام في تلك المناطق ولقد زادت هيبة تلك الجماعات في أواخر (القرن الثامن هجري/ الرابع عشر الميلادي) ولاسيما في فترة منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) حيث كانت لهم أحياء خاصة بهم في تلك البلاد[٥]. وأشار أبن بطوطة الى ذلك حيث قال: "وصلت الى مدينة مالي حاضرة ملك السودان فنزلت عند مقبرتها ووصلت الى محلة البيض..."[٦]. كما ذكر أيضاً: "أن منسا موسى كان كريماً

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٩؛ البرتلي، فتح الشكور، ص١٤٦؛ أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص٣٤٤؛ ميغا، ابو بكر أسماعيل، تاريخ الثقافة الإسلامية والتعليم في السودان الغربي، ص٢١٩.

(٢) التنبكتي، أحمد بابا، كفاية المحتاج، ج٢، ص٩٤٠؛ الأرواني، السعادة الابدية، ص٩٢.

(٣) مبخوت بوداوية، أعلام السودان الغربي، ص١٨٣.

(٤) الغربي، محمد، بداية الحكم المغربي، ص١٨٩-١٩٠؛ زمان عبيد، جاو، ص١٠٣.

(٥) جمال زكريا قاسم، الأصول التاريخية، ص١٥٨.

(٦) رحلة أبن بطوطة، ج٢، ص٥٢٨.

فاضلاً يحب البيض ويحسن إليهم..."[١]. فأن العديد من الأسر انتقلت من بلاد المغرب الى المنطقة واستوطنت هناك ومن مميزاتها اشتهارها بالعلم والمعرفة فكان منها العلماء والفقهاء وقد حظوا بالاحترام والتقدير من طرف الأمراء والسلاطين حيث شهدت بلاد السودان الغربي بدخولهم نهضة ثقافية كبيرة وازدهار اقتصادي[٢]. ومن أشهر هذه السر هي:-

١-أسرة آل الحاج:-

هي من الأسر الصنهاجية العلمية الهامة التي هاجرت الى بلاد السودان الغربي وظهرت مكانتها منذ أن تولى جدهم الاكبر الفقيه القاضي عبد الرحمن بن ابي بكر بن الحاج للقضاء بتمبكت في اواخر دولة مالي وهو أول من امر الناس بقراءة نصف حزب من القرآن للتعليم في مسجد جامع سنكري بعد صلاة العصر وبعد صلاة العشاء فهو من العلماء الذين هاجروا في عهد مملكة مالي الى تمبكت للمشاركة في النهضة الثقافية التي ازدهرت في ذلك الوقت والتدريس في جامعة سنكري وكان مقدمة من مدينة (بير) مع أخيه السيد الفقيه أبراهيم وكانت له مواقف في صد قبائل الموشي الوثنية عن هذه البلدة[٣] ومن نسل هذا الفقيه العالم علماء آخرون تولوا مناصب القضاء والتعليم في مناطق أخرى من مدن السودان الغربي من قبل الحاج أسكيا محمد[٤].

٢-أسرة أندغ محمد:-

وهي أيضاً أسرة علم وصلاح هاجرت الى بلاد السودان الغربي في (القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي) وتوارثوا مراكز مهمة في البلاد كالقضاء

---

(١) رحلة أبن بطوطة، ج٢، ص٥٣٥.

(٢) عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، ص٣١.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٧-٢٨؛ الولاتي، فتح الشكور، ص٨٨-٨٩؛ اكناتة ولد النقرة، الطوارق من الهوية الى القضية، ص١٥٤؛ ميغا، أبو بكر أسماعيل، أشهر علماء تمبكت وجني وغاو وأثرهم في ازدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي، مجلة جامعة الامام محمد بن سعود، عدد١١، ١٤١٥هـ، السعودية، ص٢١٣-٢١٤.

(٤) ميغا، أبو بكر أسماعيل، ص٢١٤.

والإمامة والتدريس(١). وكان الفقيه أبو عبدالله أندغ محمد بن محمد بن عثمان بن نوح جد هذهِ الاسرة ووصفه السعدي بأنهُ معدل العلم والفضل والصلاح ومنه تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح وكان فقيهاً وقد تولى القضاء بتمبكت في أواسط القرن التاسع هجري/ الخامس عشر ميلادي)(٢).

وكان أندغ محمد من شيوخ جامع سنكري وعلمائه الذين قاموا بدور بارز في تمبكت التي كانت تمثل أحدى المنارات للتقدم الفكري والثقافي في العالم وأهم مركز تعليمي في وسط وغرب أفريقيا أبان ازدهار الامبراطوريتين الاسلاميتين مالي وسنغاي ولم يذكر السعدي والولاتي صاحب فتح الشكور تاريخ وفاة هذا العالم ولا مولده(٣).

٣-آل أقيت:-

وهم من أهم الأسر التي هاجر الى السودان الغربي وكانوا ممن لهم الوجاهة والرياسة الشهيرة ببلاد صنغاي دينا ودنيا بحيث كثر منهم الأئمة والعلماء والقضاة وتوارثوا رياسة العلماء مدة طويلة تقرب من ٢٠٠ سنة(٤).

وقد أجمعت المصادر على أن أصل هذهِ العائلة يرجع الى أحدى قبائل البربر الكبرى وهي قبائل صنهاجة الصحراوية(٥). فأن هذه الاسرة تنحدر من العلامة الفقيه محمد أقيت بن عمر بن وعلي بن يحيى بن كدالة بن بكى بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنغر بن جبراى بن اكنبر بن أنص بن أبي بكر بن عمر

---

(١) محمد حمد كنان، مظاهر الثقافة الإسلامية العربية في تنبكتو، ص٢٩؛ الفاجالو، الحياة العلمية في صنغاي، ص٥٣.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٨؛ الولاتي، فتح الشكور، ص١١٢.

(٣) ميغا، ابو بكر، ازدهار الحركة العلمية، ص٢١٥-٢١٦؛ مبخوت بودواية، اعلام السودان الغربي، ص١٨٥.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٠؛ زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي، ص١٣٨؛ أباظة، سوزي، عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة دراسات افريقية، عدد٢٦، ٢٠٠٤م، ص١٣٧؛ الفاجالو، الحياة العلمية في صنغاي، ص٥٢.

(٥) امحمد، سوزي أباظة، المرجع السابق، ص؛ CUOQ, j: La Famile Aqit de tombouctou, 1978, premler semester, p86-89.

الصنهاجي[١]. فقد هاجر محمد أقيت هذا جد الاسرة من موطنه الأصل بلاد ماسنة الى بلدة بير ويذكر السعدي أنهُ سمع من حفيد هذهِ الأسرة الشيخ أحمد بابا التنبكتي[٢] بردي سبب هجرته من بلدتهُ هو (بغض محمد أقت من الفلانيين[٣] الذين كانوا يجاورونه في السكن فلم يشأ لأبنائه أن يتناسلوا معهم فقرر الرحيل لئلا يتناسلوا معهم[٤]. وبعد هجرتهُ الى بير رغب في أن يسكن تمبكت وفعلاً انتقل اليها وكان ذلك في منتصف (القرن التاسع هجر/ الخامس عشر ميلادي)[٥]. ويعد أبناء هذهِ الأسرة من أعظم العلماء الذين لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في تمبكت ويمثلون العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافية في السودان

---

(١) التمبكتي، أحمد بابا (ت ١٠٣٦هـ)، كفاية المحتاج لمعرفة من ليس بالديباج، تح: محمد مطيع، طبع وزارة الاوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٨٠؛ الولاتي، فتح الشكور، ص٣١؛ Cuoq J, op, p85-86.

(٢) هو أحمد بابا الفقيه بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت بن عمر بن علي بن يحيى بن كدالة بن بكر بن نيق بن لف بن يحيى بن تشت بن تنفر بن جبراي بن اكنبر بن انص بن أبي بكر بن عمر الصنهاجي الماسني؛ التنبكتي، أحمد بابا، المصدر السابق، ص٢٨٠.

(٣) هم شعب من الرعاة موطنهم الأصلي في حوض السنغال وقد انتشرت فروع هذا الشعب وجماعاتهُ في كل المساحة الواسعة الممتدة من السنغال الى إقليم تشاد وقد أختلف المؤرخون في أصل هذهِ القبيلة فقيل أنهم من أصل هندي أو فارسي نزحوا من بلاد أسيا وقيل أنهم من أصل مصري وأما الفلانيون أنفسهم فأنهم يردون أصلهم الى ال الصحابي عقبة بن نافع الفهري، ينظر: حسين مؤنس، الإسلام الفاتح، مجلة دعوة الحق، مكة، عدد٤، ص١٣٧؛ عبدة بدوي، مع حركة الاسلام في أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م، ص١٧١؛ جنيد، مصباح الدين، الشيخ عثمان بن فودي الفلاني وعقيدته، جامعة أم القرى، (السعودية، ١٩٨٢م)، أطروحة غير منشورة، ص١٧-١٩.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٠-٣٦؛ ميغا، ابو بكر، ازدهار الحركة العلمية، ص٢١٥؛ امحمد، سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٤٣.

(٥) السعدي، المصدر السابق، ص٣٥-٣٦؛ ميغا، ابو بكر، المصدر السابق، ص٢١٥؛ امحمد، سوزي أباظة، المرجع السابق، ص١٤٣؛ مبخوت بودواية، اعلام السودان الغربي، ص١٨٧.

الغربي كله[١]. وبعد أن هاجروا الى تنبكت حدثت مصاهرة بين عمر بـــن محمـــد أقيت مع أسرة أندغ محمد وبذلك فتح لهم هذا الباب المكانة المميزة التـــي ســـوف يحتلونها فيما بعد نتيجة هذهِ المصاهرة[٢].

فقد تخرج من عائلة محمد بـــن عمـــر بـــن محمـــد اقيـــت (٨٦٨هـــــ-٩٥٥هــ/١٤٦٣-١٥٤٨م)[٣] عدد من الائمة والعلماء والقضاة والمعلمـــين الـــذين توارثوا رئاسة العلم مدة طويلة تقرب من مائتي سنة وكانوا من أهل السد والسدود وكانت لهم وجاهة ورئاسة كبيرة وشهرة في بلاد السودان الغربي فقد اتاحت لهـــم البيئة التي عاشوا فيها أن يقوموا بدورهم الثقافي[٤].

٤-عائلة تغلي:-

وهي من أشهر العائلات التي سكنت مدينـــة جـــاو فـــي القـــرن (التاســـع الهجري/الخامس عشر الميلادي) وكان من بين أبنائها محمد بن الصـــديق تغلـــي وهو أمام المسجد الكبير تنبكت وكان عادلا صبوراً تقيا فقيها مكث في إمامته ستة وعشرون سنة[٥].

٥-عائلة الفيلالي:-

وهي عائلة مغربية مشهورة بالعلم استقرت في مدينة تنبكـــت فـــي القـــرن التاسع الهجري ومن أشهر أفرادها منصور الفيلالي الذي عمل في بلاط الاســـقيا مستشاراً للأسقيا محمد (٨٩٨-٩٣٥هـــ/١٤٩٣-١٥٢٨م)[٦].

---

(١) ميغا، المصدر السابق، ص١٤٢.

(٢) السعدي، السودان، ص٢٨-٣٠؛ سوزي اباظة، المرجع السابق، ص١٤٣-١٤٤.

(٣) سوزي أباظة، المرجع السابق، ص١٤٤؛ cuoq, J, op, p96.

(٤) سوزي أباظة، المرجع السابق، ص١٤٤؛ محمد حمد كنان، مظاهر الثقافـــة الإســـلامية، ص٢٨-٢٩.

(٥) السعدي، تاريخ السودان، ص٢١٨؛ كعت، تاريخ الفتاش، ص٨٢؛ الاروانـــي، الســـعادة الأبدية، ص١٢٥؛ الدالي، الهادي، التاريخ، السياسي، ص١٩٤-١٩٥؛ محمـــد الغربـــي، بداية الحكم المغربي، ص١٨٩؛ زمان عبيد، جاو، ص١٠٣.

(٦) السعدي، المصدر السابق، ص١٠٦-١٠٨؛ الدالي، الهادي، المصدر الســـابق، ص١٩٤-١٩٥؛ وناس، زمان عبيد، المصدر السابق، ص١٠٣.

٦-عائلة الخضر العلمية:-

وهي من الأسر المشهورة التي هاجرت الى بلاد السودان الغربي وسكنت مدينة تنبكت وكان جدهم الأول إبراهيم الخضر الذي قدم من فاس في المغرب الاقصى الى تنبكت وأصبح كاتباً خاصاً للسني علي (٨٦٩-٨٩٨هـ/١٤٦٤-١٤٩٢م)[١].

ولقد سكن في تنبكت عرب من غدامس وأوجلة وتوات وفزان والراجح أن أفراد هذهِ الجالية كانوا ذوي مراكز اجتماعية واقتصادية مرموقة وما يدل على ثراء هذهِ الجاليات العربية أن الجالية الغدامسية بصفة خاصة أحتلت اهمية كبيرة نظراً للنشاط التجاري الكبير الذي مارسه أفراد تلك الجالية لدرجة أنهم شيدوا حياً خاصاً بهم والذي عرف "بالحي الغدامسي" في تنبكت وكان من أرقى أحياء المدينة وأجملها[٢].

ويذكر أبن بطوطة أن افراد الجالية الإسلامية كانوا يتمتعون بالكثير من الامتيازات والضمانات فإذا توفي أحد أفراد تلك الجالية فأن ممتلكاته تبقى في امان حتى ترجع الى مستحقيها[٣].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٩-٦٠؛ محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص١٧٩.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج، ص؛ السعدي، تاريخ السودان، ص١٤٢؛ فاطمة علي، تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، ص٢٦٩.

(٣) رحلة ابن بطوطة، ج، ص؛ الدهماني سالم، الجاليات العربية، ص٧٦١.

الفصل الثالث

((الأثار السياسية والاقتصادية والاجتماعية لهجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي))

المبحث الأول: الأثر السياسي

المبحث الثاني: الأثر الاقتصادي

المبحث الثالث: الأثر الاجتماعي

المبحث الأول

الأثر السياسي

إن أهم المؤثرات السياسية التي أثرت في دول السودان الغربي هو اختيار الملوك وكيفية تنصيبهم ونظام ولاية العهد في تكليف أبنائهم وإخوانهم في ادارة الدولة نيابة عنهم والأنظمة الحربية والإدارية والمالية وكذلك النظم القضائية.

(١) نظام الحكم:-

لم تكن قبائل السودان دولا منتظمة قبل اسلامها بل ممالك أقطاعيه مثل مملكة غانا وتكرور وملل (مالي) وكوكو وصوصو وغيرها[١].

وكان الحكام في هذهِ الممالك متسلطون على رعاياهم وهذا ما ذكره البكري عن ملك غانة الوثني: "فإذا دنا أهل دينه منه جثوا على ركبهم ونثروا التراب على رؤوسهم فتلك تحيتهم له وأما المسلمون فإنما سلامهم عليه تصفيقا باليدين"[٢].

واذا مات ملكهم عقدوا له قبة عظيمة من خشب الساج ووضعوها في موضع خبره ثم أتوا به على سرير وادخلوه في تلك القبة وضعوا معه حليته وسلاحه وأنيته التي كان يأكل منها ويشرب وأدخلوا فيها الأطعمة والأشربة وأدخلوا معه رجالاً ممن كان يخدم طعامه وشرابه وأغلقوا عليهم باب القبة وجعلوا فوق القبة الحصر والأمتعة ثم أجتمع الناس فردموا فوقها التراب حتى تكون كالجبل الضخم[٣].

ولقد كانت القاعدة العامة عندهم الوراثة في الحكم قبل دخولهم الاسلام هو وراثة أبن الأخت دون الأبن وهذا ما ذكره البكري عندما تحدث عن نظام الحكم في غانة حيث يقول: "وسنتهم أن الملك لا يكون الا في ابن أخت الملك لأنه لا يشك أنهُ ابن أخته وهو يشك في أبنه ولا يقطع على صحة اتصاله به"[٤].

---

(١) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧٢؛ العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٨.

(٢) المسالك، ج٢، ص٨٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧١.

واشار أبن خلدون الى أنهُ بعد وفاة منسى، خليفة (ماري جاطة) سنة (٦٧٤هـ/١٢٧٦م) تولى سدة الحكم أبن اخته أبو بكر وعقب على ذلك بأنهم "ملكوه على سنن الأعاجم في تمليك الأخت وأبن الأخت"[(١)].

ويمكن أن نعلل تفشي هذه الظاهرة لكثرة وجود الزواج الجماعي وعدم اتخاذ الزوجات من قبل العديد من رجالات الزنوج وفي مثل هذه الظروف ينتسب الأولاد الى أمهم لا الى أبيهم لأنها وحدها هي التي تعرف صحة نسبهم[(٢)]. وقد أثر كل ذلك على مسائلة التوريث للأبناء الذين حرموا من وراثة أبيهم وأَصبح حق التوريث مقتصرا على أبن الاخت الذي عد بنظر القوم صحيح النسب عكس الأبن الذي قد يشك بنسبه[(٣)].

وبظهور الإسلام ومع قيام الكيانات السياسية الإسلامية أندثر نظام التوريث التابع للأمومة بشكل عام وظهر نظام التوريث للأبناء حيث أحتل الأبن الاكبر مكانة أبيه في الحكم بعد وفاته[(٤)].

وأما مراسيم تنصيب ملوك مالي وسنغاي في السودان الغربي فقد كانت متأثرة الى حد كبير بالممارسات التي كانت سائدة عند تنصيب بعض الحكام العرب المسلمين حيث يبدأ الحفل بوصول الملك الى القصر وبجلوسه على سرير العرش تطلق أصوات الطبول وتقدم اليه شارات السلطنة المكونة من قميص مزركش ولباس على الرأس شبيه بالتجار ثم يصافح الملك أعضاء جهازه التنفيذي وقائد الجيش ويصلي في المسجد ثم يتلقى يمين الإخلاص له من قبل كبار الموظفين وأفراد العائلة الحاكمة ويجري ذلك أمام القاضي والعلماء ويضع الذي يقسم بالله على الإخلاص والطاعة للملك الجديد يده على المصحف الشريف وفي

---

(١) العبر، ج٦، ص٢٦٧.

(٢) القصير، مليحة عوني، أصل العائلة، (بغداد، ١٩٦٤م)، ص٢٤-٢٥.

(٣) المرجع نفسه، ص٢٥.

(٤) طرخان، إمبراطورية غانة، ص٥٩.

الليل تقام الحفلات الساهرة وفي اليوم التالي يباشر الملك الجديد مهامــه ويبــدأها بتوزيع الصدقات على الفقراء والمساكين[١].

إذ أن وجود العرب والبربر في مناطق السودان الغربي مكنها من أحــداث تأثيرات سياسية في تلك الممالك الأفريقية مثل تمبكتو وجني وجــاو وادوغســت وغانا وغيرها أي نقل الحضارة العربية الاسلامية أليها[٢].

وباعتناق أولئك السودان الاسلام كونوا دولا دستورية ذات نظــام سياســي راق اتخذت الشريعة الاسلامية دستوراً لها[٣].

وقد حاول حكام غرب أفريقيا المسلمون تقليد نظم الحكم السائدة في الــبلاد الاسلامية الأخرى على قدر ما سمعوا عنها وما فهموها ولاشك فــي أن النظــام السياسي الذي وجد مع الإسلام أضعف الى حد كبيــر النظــام القبلــي والــولاء للسلطات القبيلة التي كان لها نفوذ كبير قبل الإسلام[٤].

فقد وجد الحكام السودانيون في الاسلام عاملاً موحداً روحياً استفادوا منــه استفادة كبيرة لأن ولاء الأفراد قد تجاوز القبيلة وتحول الى الحاكم المســلم رمــز السلطة الروحية الجديدة وهكذا ظهرت الممالك السودانية الاسلامية الكبيرة التــي وصلت الى درجة الامبراطورية في جنوب الصحراء مثل مملكــة غانــة ومــالي وسنغاي ومع أعلان الإسلام ديناً رسمياً لهذه الممالك تبنــى الحكــام الســودانيون رسمياً مظاهر الحضارة العربية الاسلامية ونظمها[٥].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٩١؛ كعت، الفتاش، ص١٣١؛ زبادية، عبد القادر، مملكــة سنغاي، ص٦٣.

(٢) قاسم، جمال زكريا، دور العرب في كشف أفريقيا، موسوعة الثقافة التاريخية، عــدد١١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨، ص١٥٥.

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٧-٢٦٨؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨١.

(٤) الجمل، شوقي عطاالله، الحضارة العربية الاسلامية في غــرب أفريقيــا ســماتها ودور المغرب فيها، مجلة المناهل، الرباط، ١٩٧٦م، عدد٧، ص١٦٢.

(٥) الشيخلي، صباح، ملاحظات حول انتشار الإسلام، ص٢٤.

فالدولة في السودان الغربي قد حلت محل القبيلة كوحدة اجتماعية وباتت أراضي أية دولة أوسع بكثير من أراضي أية قبيلة من القبائل ولاشك في أن هذا التحول سيؤدي الى التأثير على نظام مشيخة القبيلة حيث لم يعد الشيوخ زعماء مستقلين وأصبحوا مترابطين ضمن أطار المجالس الاقليمية مع غيرهم من شيوخ المنطقة وهذا الترابط هو في حد ذاته احساس بالوحدة القومية التي لم يألفها الزنوج من قبل[١].

وقد عرفوا نظام البيعة الذي أشتهر عند المسلمين وكانت البيعة مشروطة بأن يتبع الخليفة كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام والا فلا طاعة له على المسلمين وكان نص البيعة (نبايعك على السمع والطاعة الأمر أمرك والنهي نهيك على الكتاب والسنة)[٢].

ويبدو أن مظاهر التأثيرات السياسية العربية الإسلامية بدأت تتضح رويدا رويداً بانتشار العقيدة الاسلامية ومن هذه المظاهر ظاهرة تجول الملوك في الشوارع لتفقد أحوال الرعية والوقوف على أحوالها[٣]. وكذلك تقوية العلاقة والروابط بين عاصمة المملكة والمقاطعات النائية عنها كما امتنع الولاة المحليون في المقاطعات والولايات في مملكتي مالي وسنغاي الاسلاميتين عن الانفصال عن جسد المملكة اعتقادا منهم بأن خلع طاعة السلطان هي من باب الارتداد عن الدين[٤].

(٢) النظم الإدارية:-

أ- نظام السلطنة:

مما يبدوا واضحاً في التنظيم الإداري لمنطقة السودان الغربي أن منصب السلطنة لم يكن معروفاً هناك قبل دخول الإسلام الى المنطقة كذلك لم يعرف

---

(١) نوري، دريد عبد القادر، انتشار الإسلام، ص١٦٢.

(٢) أحمد شلبي، الموسوعة التاريخية، ج٦، ص٧١١، غيث، أمطير سعد، التأثير العربي الاسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ط١، دار الرواد، (طرابلس، ١٩٩٦م)، ص٨١.

(٣) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص١٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ص١٧٦؛ سعد، أمطير، المرجع السابق، ص٨٣.

الزنوج الوزارة والوزير والوظائف الادارية الأخرى بدليل أننا لم نعثر على تلك التسميات عند دراسة تاريخ المنطقة قبل دخول الاسلام اليها علما بأن الكيان السياسي الوحيد الذي كان قائماً في المنطقة هو دولة غانة ورئيس هذه الدولة كان يسمي بالملك أو الزعيم(١).

ألا أنهُ منذ القرن (الخامس هجري/ الحادي عشر الميلادي) لاحظ البكري أن أغلب مترجمين ملوك السودان الغربي وموظفي بيت المال ووزرائهم وقتئذ كانوا من العرب المسلمين(٢). فقد تمكن هؤلاء من الوصول الى مراكز هامة وذلك بسبب المامهم بالقراءة والكتابة فضلاً عما تحلو به من خصال حميدة كالصدق والأمانة وحسن المعاشرة مما دفع ملوك السودان الى أن يؤسسوا لهم مسجداً قريباً منهم رغم أن هؤلاء الملوك لم يعتنقوا الإسلام(٣). فقد أعترف السودانيون للعرب المسلمين بالتفوق الثقافي لهذا طلب منهم أن يشاركوا في أدارة البلاد بخبراتهم الواسعة(٤).

وقد تجلى التأثير العربي الإسلامي في التقسيمات الإدارية التي شهدتها كل من مالي وسنغاي، لاسيما في عهد أبرز سلاطينها (منسا موسى) و(الأسكيا محمد الكبير)، فقد عرفت هاتان الدولتان النظام الإداري المركزي حيث كانت عاصمة المملكة مقرا للحكومة المركزية التي يرأسها السلطان نفسه وهو الذي يفوض ولاة الأقاليم بسلطات معينة ومحددة تخولهم أن ينوبوا عنه في أدارة شؤون أقاليمهم وهذا النظام معروف في الدول العربية الإسلامية المعاصرة وقتئذ(٥).

فصار الهيكل التنظيمي لدول السودان الغربي يتكون من السلطان ثم نائبه ثم الوزراء ثم الأمراء وحكام الاقاليم ثم كُتاب الدواوين ثم القضاة وقادة الجيش وقد ذكر هذا القلقشندي في حديثه عن مملكة مالي بقوله: "أن بهذه المملكة الوزراء

(١) البكري، المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١؛ نوري، دريد عبد القادر، انتشار الإسلام، ص١٦٨.

(٢) المسالك، ج٢، ص٨٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧٢. .

(٤) مبخوت بودواية، أعلام السودان الغربي، ص١٧٩.

(٥) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص٨٤.

والقضاة والكتاب والدواوين وأن السلطان لا يكتب شيئاً في الغالب بل يكل كل أمر الى صاحب وظيفته من هؤلاء ففصله"[١].

ب- الوزارة:

ومن الوظائف المهمة التي عرفت في السودان الغربي منصب الوزير حيث ظهر هذا المنصب لأول مرة في عهد حكومة غانا الوثنية قبل سقوطها على أيدي المرابطين (٤٤٦ هـ/١٠٥٥م) حيث كان الوزراء من المسلمين الذين كانوا يشكلون اكبر طبقة مثقفة من الوطنين أو ممن هاجر من العرب والبربر واستقر في غانة[٢].

وفي عهد دولة مالي كان يدعى الوزير (صندكي) وتقع على عاتقه مسؤولية تنفيذ أوامر الملك[٣]. ومن الجدير بالذكر أن منصب الوزارة كان من المناصب المهمة والخطرة في البلاد وقد أستمر وجود هذا المنصب أيضاً في دولة الصنغاي (٧٣٧-١٠٠٠هـ/١٣٣٦-١٥٩١م) وكان الوزير يسمى (فاما أو فارما)[٤].

ج- منصب المستشار:

ومن المناصب الإدارية المهمة هي وظيفة أو منصب المستشار فقد أستعان ملوك مالي وسنغاي بالعلماء في تسير دفة الحكم حيث تقلدوا مناصب كبيرة عندهم فمن جملة مستشارين السلطان منسى موسى هو المهندس والأديب الشاعر أبو

---

(١) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٦.

(٢) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٢؛ العراقي، السر، سيد أحمد العراقي، ملامح تطور الحضارة الاسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي، مجلة بيادر، السعودية، ١٩٩٤م، عدد١٢، ص٧٥.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٦؛ العمري، مسالك الابصار، ج٥، ص٢٨٦.

(٤) زبادية، مملكة سنغاي، ص٥٩؛ نوري، دريد عبد القادر، أنتشار الاسلام، ص١٦٦.

أسحاق الطويجن[١]. وكذلك موسى الأكوي الذي عينه أسكيا الحاج محمد مستشاراً خاصاً به كما عين أبراهيم الخضر الفاسي كاتباً لهُ[٢].

د- الكتابة:

وكان منصب الكتابة من المناصب المهمة التي استحدثت في البلاد فكـــان ملك مالي يستعين بطائفة من الكتاب، أذ أنهُ لم يكن يكتب شيئاً عن اجتهاده بل كان يعهد بالكتابة لبعض الكتاب الذين يلمون الماماً تاماً بـــالقراءة والكتابـــة[٣]. ومـــع أنتشار الإسلام بدأت أهمية اللغة العربية تزداد بصورة ملحوظة جداً حيث كانـــت سابقاً تجري المراسلات شفاها وكانت قليلة جداً ولكن بدخول الاسلام في السودان الغربي أستخدم ملوكهم المترجمين[٤].

كما أثر العرب المسلمين بنفوذهم السياسي بفتح المجال لهم لمصاهرة الأسر السودانية الحاكمة والنبيلة وذلك لاستثمار نظام الوراثـــة عـــن طريـــق الأم فـــي الوظائف القيادية في الممالك السودانية وهذا أتاح العزيمة لتقلدهم أرقى المناصـــب الى القضاء والديوان والخزانة والاستثمار فأثروا في الأهالي وحكـــامهم وتـــأثروا بهم[٥].

وأن هذا النظام الإداري الجديد كانت له نتائج مهمة من أهمها أستباب الأمن والنظام في السودان الغربي في العصور الوسطى وهذا ما أثـــار أعجـــاب ابـــن بطوطة خلال زيارته فلاحظ الشعور العالي بالعدالة فالسودان هم اكثـــر الشـــعوب مقتاً للظلم والسلطان لا يسامح أي مذنب بل هناك مراقبة مستمرة من قبل الملـــك على الولاة الذين ينوبون عنه في ادارة البلاد مما ساعد على شعور الناس بالعـــدل

---

(١) الناصري، الأستقصا، ج٥، ص١٠١.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٦٨.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١٨؛ القلقشندي، صـــبح الاعشـــى، ج٥، ص٢٦٨؛ العراقي، السر، سيد احمد، ملامح تطور الحضارة، ص٧٦.

(٤) طرخان، مالي، ص٨٧.

(٥) غيث، امطير سعد، الثقافة العربية الإسلامية، ص٣٠٨.

والمساواة[١]. والجدير بالملاحظة أن هناك أماناً كاملاً في كل أنحاء بلاد السودان الغربي فالأمن والنظام ليسا متوافرين في الداخل فقط بل حتى الطرق الخارجية التي تحت نفوذها كانت أمنة فالمسافر لا يخشى قطاع الطرق وأهل السودان الغربي لا يستولون على أملاك الغرباء عند وفاتهم بل يتركونها الى حين مجيء الورثة[٢].

(٣) القضاء:-

لقد ظهر القضاء[٣] كمؤسسة خاصة في السودان الغربي وكان هذا في أواخر حكم مملكة غانة[٤]. فكان ملك غانة هو الذي يتولى القضاء بنفسه: "...يمشي في أزقة المدينة ودائر البلد فمن كانت لهُ مظلمة أو نابه أمر تصدى له فلا يزال حاضر بين يديه حتى يقضي مظلمته..."[٥].

وكانت التأثيرات العربية الإسلامية واضحة المعالم في مجال القضاء فملوك مملكتي مالي وسنغاي الإسلاميتين حرصوا على إشاعة العدل والامن وعلى الالتزام بالكتاب والسنة وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وكانوا يختارون القضاة من الذين تتوفر فيهم غزارة العلم والنزاهة والتدين وهي صفات تحلى بها في اغلب الاحيان الفقهاء والقضاة العرب الذين هاجروا واستقروا بالمنطقة وكذلك السودانيون الذين تتلمذوا على أيديهم[٦].

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٦-٥٣٦.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٢٥.

(٣) ذكر كعت بأنه كان يطلق على القاضي "بانفارقم".، تاريخ الفتاش، ص٣٥؛ وكان يطلق عليه أيضاً لفظ (الكاكي) وهو تحريف يسير لكلمة القاضي باللغة العربية وهذا دليل واضح على ان هذا اللفظ أدخلهُ العرب المسلمون الى بلاد السودان الغربي: أنظر: DOI, A, R: Islamic thought and culture. Their impact on Africa with special reference to Nigeria. The Islamic review, (October:1969), p22.

(٤) نوري، تاريخ الإسلام، ٢٦٧.

(٥) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٣.

(٦) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي الاسلامي، ص٨٨.

وقد تولى منصب القضاء في أول عهد الدولة الإسلامية في السودان الغربي رجال من قضاة المسلمين ممن قدم الى بلاد السودان الغربي لاسيما من بلاد المغرب حيث المذهب المالكي الذي كان شائعاً في شمال أفريقيا والسودان، وأما بعد استقرار الإسلام في المنطقة تولى هذا المنصب رجال من السودان لأن الدولة بحاجة الى فهم أحكام الشريعة الإسلامية وكان لابد من رجال يفهمون ظروف المنطقة والأعراف المحلية فضلاً عن فهم روح الاسلام لكي يتمكنوا من الحكم بالعدل، وهكذا تبنى العديد من الزنوج دراسة الفقه الإسلامي على المذهب المالكي في بلاد المغرب ثم عادوا ليتسلموا هذا المنصب الرفيع في بلادهم(١).

وكان يتم تعيين القاضي من قبل الملك وكان القضاة يخضعون لمراقبة الملك واذا ما ثبت انحراف القاضي فتكون عقوبته بالنفي خارج البلاد(٢).

ويرجع الفضل الى أسكيا محمد (٨٩٩-٩٣٤هـ/١٤٩٣-١٥٢٨م) في أنهُ أول من نصب في تنبكتو وفي كل مدينة قاضياً(٣). فقد كان قاضي تنبكت يتمتع بمكانة عالية نظراً لما تمثله هذه المدينة من مكانة تجارية وثقافية ولهذا يعد قاضيها من أكبر القضاة وله حرمة خاصة ووضع لا يجوز تجاهلهُ(٤).

وكان القاضي يتمتع باحترام كبير جداً من قبل الزنوج المسلمين سواء اكانوا سلاطين أم من الرعية وكثيراً ما كان السلطان يستشير القاضي ويطلب منه النصح والإرشاد أما كلمتهُ فهي مسموعة ومطاعة لأنهُ يمثل بنظرهم حامي الشريعة والناطق باسمها(٥).

---

(1) Tirmingham, spencer, the Influence of Islam upon Africa, (London: 1968), p86-87; نوري، دريد عبد القادر، انتشار الإسلام، ص١٧٣.

(٢) قداح، أفريقيا الغربية في ظل الاسلام، ص٨٩.

(٣) كعت، تاريخ الفتاش، ص٥٩؛ امحمد، سوزي أباظة، عائلة أقيت وإسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة دراسة افريقية، القاهرة، ٢٠٠٤م، عدد٢٦، ص١٦٥.

(٤) امحمد، سوزي أباظة، المرجع السابق.

(٥) ابن بطوطة، رحلة، ج٢، ص٥٣٥؛ نوري، دريد عبد القادر، انتشار الاسلام، ص١٧٢.

وقد قام القضاة العرب المسلمون بأبداء أراءهم في الجرائم والخصومات التي كانت تقع وحسب ما جاء في القرآن والسنة وقد تميزت تمبكتو بكثرة قضاتها واغلبهم من شمال أفريقي، ومن هؤلاء القاضي عبد الرحمن التميمي الذي سكن مدينة تنبكت في عهد منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) وبقيت اسرتهُ في تمبكتو حتى بعد وفاته فتولى حفيده حبيب القضاء في القرن (٩هـ/١٥م)[١]. وكان أبن بطوطة خلال رحلته الى ولاتهُ قد قابل القاضي محمد بن عبدالله بن ينومر[٢]. ومن القضاة العرب المغاربة الذين تولوا القضاء في السودان الغربي القاضي ابو عبدالله محمد بن واسول، وهو من سكان سجلماسة والذي هاجر الى كوكو واستقر بها وأوكلت اليه مهمة القضاء وكان ملوك مالي يكنون له احتراما كبيراً وهو الذي زود أبن خلدون بمعلومات عن الملك ماري جاطة واعتبره أسوء ملك في الوجود لكونه مسرفاً حيث استنزف الدولة سرفاً وتبذيراً في سبيل الفسوق والتخلف[٣].

وكان منصب القضاء من أهم المناصب التي تولتها عائلة اقيت وتوارثوه مدة طويلة في تنبكت فقد استمروا في هذا المنصب طيلة القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) ولم يتحول عنهم آلا في عام (١٠٠٣هـ/١٥٩٣م)[٤]. ومن أشهر قضاة هذه العائلة في مدينة تنبكت القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت (ت٩٥٥هـ/١٥٤٧م) وهو الزعيم الأصغر من عائلة أقيت وهو أول قاضي للمدينة ولاه أسكيا محمد لكي يحكم بين الناس بالعدل ومكث في القضاء خمساً وخمسين سنة فقد تولاها وكان عمره خمساً وثلاثين سنة وأشتهر بالنزاهة والعدل والتزام الحق في الحكام كما تولى الفقه والزعامة وكانت لهُ مهابة من جانب أسكيا محمد[٥].

---

(١) أبن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٩؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٤٧-٥١.

(٢) الرحلة، ج٢، ص٥٢٥.

(٣) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٩.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٩؛ الأرواني، السعادة الأبدية، ص١٣١؛ الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص١٥١؛ امحمد، سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٦٥.

(٥) التمبكتي، أحمد بابا، نيل الأبتهاج، ص٦٠٧؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٧٥-٧٦؛ امحمد، سوزي أباظة، آل أقيت، ص١٦٦.

وتعددت المهام التي تولاها القضاة في السودان الغربي فكان منها مهمة الأشراف على التعليم وبناء المساجد ومراعاة المساكين وتولى الأحوال المدنية مثل تسجيل المحررين من العبيد والنظر في تقسيم التركات الميراث والنظر في الجرائم بين الناس والمنازعات كما كانت تترك لهم مهمة العناية بإيواء الطلاب فكانوا يعينون المدرسين ويساعدون المحتاجين من الطلاب[١]. وأما الأمور المستعصية على القاضي والتي تخص في غالب الأحيان خيانة الدولة فكان الملك هو الذي يقضي فيها فعندما اشتركت زوجة منسا سليمان (٧٤١-٧٦٢هـ/١٣٤٠-١٣٦٠م) في المؤامرة التي دبرت ضد زوجها لخلعه من العرش قرر الملك معاقبتها الا أنها استجارت بدار خطيب الجامع لأن المسجد وبيت القاضي وبيت الخطيب من الأماكن المقدسة[٢]. فقد تميز القضاة في السودان الغربي بإسلامهم الحقيقي فكانوا محافظين على نقاء الإسلام وكان تأثيرهم كبيراً على المسلمين ورجال الدولة فبيت القاضي في مالي كان مقدس بالنسبة للآثمين والمعتدين[٣].

وقد حدثنا محمود كعت عن قصص بعض القضاة الذين تدخلوا في شؤون الحكم وكانوا ينتصفون من الظالم ويقيمون حدود الدين حتى علم السلاطين أو ممثليهم فذكر أن القاضي محمود بن عمر بن محمد أقيت(ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م) نهى رسل أسكيا اسحاق الاول(٩٤٦-٩٥٦هـ) وأمر بضربهم وطردهم من مدينة تنبكت لتعديهم الحدود الشرعية وعندما وصل الخبر الى أسماع السلطان سار لمقابلته معتبراً ذلك أهانه لسلطته المتمثلة في رسله الا أنهُ حال وصوله للقاضي تنازل عن موقفه بعد أن علم ان رسله قد تعدوا حدود الشرع وطلب منه الصفح والدعاء له: "جزيت خيراً وكفيت شرا"[٤].

---

(١) زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي، ص٧٤-٧٧؛ مودي سيسوكو، الصنغاي، ص٢١٣؛ سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٦٧.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج٥، ص٥٣٥.

(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص٥٣٥.

(٤) التمبكتي، نيل الابتهاج، ص٢٩.

أما عن علاقاتهم الخارجية مع الدول العربية الإسلامية الأخرى، فلم يقتصر التأثير العربي الاسلامي في دول السودان الغربي على طبيعة الحكم والأنظمة الادارية وإنما شمل العلاقات الخارجية أيضاً حيث حرص ملوك السودان الغربي على أقامه علاقات طيبة مع الدول العربية الاسلامية لكون السودان الغربي في تلك الفترة جزءاً من العالم الاسلامي لذا كانت هناك مراسلات وسفارات وتبادل هدايا بين السودان الغربي وشمال أفريقيا خاصة، ويرجع الفضل في رفع مستوى هذهِ المراسلات الى معرفة الكتابة التي تلقوها من العرب المسلمين بعد اتصالهم بهم[١].

(1) Oliver, Roland: The doun of African History, (oxford, 1968), P61;

المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي، ص١٠٥

المبحث الثاني

الأثر الاقتصادي

شمل التأثير العربي الاسلامي جوانب اقتصادية عديدة من أهمها:-

١-إزدهار حركة التجارة:-

شهدت بلاد السودان الغربي حركة تجارية منذ فترة مبكرة مــن تاريخهــا غير أن هذهِ الحركة شهدت ازدهاراً كبيراً وتحولاً واسعاً خلال الحقبة الإســلامية ولاسيما منذ القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي) وقد ساهمت في هذا الازدهار عدة عوامل[١]. كان من أهمها الشهرة التي تمتع بهــا ذهــب الســودان الغربي في الأقاليم الإسلامية وتميزه بالجودة والنقاء والــوفرة فكــان فــي نظــر المتعاملين في تجارته أنهم "يذهبون بخبيث السلع ويأتون بالتبر الذي كل أمر الدنيا له تبع"[٢]. فلم يكن الذهب الذي تفيض به بلاد الســودان الغربــي يلقــى التقــدير والاهتمام من الأهالي إما جهلاً منهم بقيمته وأهميتهُ الاقتصــادية أو عجــزاً عــن تصفيته وسبكه وتسويقه، فقد كانوا يفضلون عليه معادن أخرى رديئة مثل النحاس والصفر فيصنعون منهما حلياً لنسائهم[٣].

واستمرت الصلات التجارية بين المغرب وبلاد السودان الغربــي خــلال (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) وكانت مزدهرة في القــرن (الخــامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) أثر قيام دولة المرابطين التــي حكمــت بــلاد المغرب الأقصى ثم مدت نفوذها حتى بلاد الاندلس فأمنت الطرق التجارية بفضل توحيدهم لقبائل الصحراء التي سكنت في المنطقة الممتدة بين جنوب بلاد المغرب وبلاد السودان وأهم هذهِ القبائل (لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة)[٤]. وبذلك يمكــن

---

(١) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٧٩.

(٢) المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٢٠٦.

(٣) المنجم، إسحاق بن الحسين، آكام المرجان، ص١٠٣-١٠٤؛ الدمشــقي، نخبــة الــدهر، ص٢٦٨؛ عبد العزيز، المرجع السابق، ص٢٧٩-٢٨٠.

(٤) ابن عذارى، البيان المغرب، ج٢، ص٧-١٠؛ حنان عبد الرحمن، العلاقــات التجاريــة، ص١٨٣.

القول بأن ظهور المرابطين كقوة جديدة في المغرب الأقصى أدى ذلك الى تنشيط الاعمال التجارية عبر الطرق الصحراوية[١].

وبسبب اطلاع كثير من الأقطار الإسلامية المجاورة للسودان الغربي ولاسيما بلاد المغرب على الأهمية السياسية والاقتصادية والجغرافية التي تميزت بها دول السودان الغربي الأمر الذي حفز كثير من المهاجرين للإقامة فيه والمشاركة في الحركة التجارية بشكل فعال ومؤثر[٢].

فقد سيطر العرب الهلاليين على الطرق الصحراوية التجارية المؤدية الى السودان الغربي ولاسيما طريق وارجلان الذي تمر من خلاله تجارة الرقيق حيث كانت هذهِ القبائل العربية تأخذ من القوافل التجارية المارة بهذا الطريق ما يسمى بالخفارة ثم ازداد توغلهم في بلاد الزاب التي بها الكثير من الموارد ما شجع العرب على البقاء بها[٣].

وقد ساهم التجار الوافدون من المغرب ومصر في أنعاش التجارة الداخلية للسودان الغربي حيث قام هؤلاء التجار بعمليات تجارية متعددة، فالقوافل المحملة بكافة أنواع البضائع والسلع التي تجلبها القوافل التجارية كانت تصل الى الأهالي في مدنهم واسواقهم التجارية حتى القرى والأرياف جلب لها التجار مختلف أنواع السلع وتعاملوا مع المقيمين فيها[٤].

وعندما زار ابن بطوطة مملكة مالي سنة(٧٥٣هـ/١٣٥٢م) وجدها تعج بالعلماء والتجار المصريين ووجد السلع المصرية منتشرة ومرغوبة فيها حتى أن مدينة ولاته المدينة المجاورة للمغرب في أقصى السودان الغربي كانت "ثياب أهلها حسان مصرية"[٥]. وتم علاجه من علة

(١) حنان عبد الرحمن، العلاقات التجارية، ص١٨٣-١٨٤.

(٢) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٨٠.

(٣) ابن سعيد، الجغرافيا، ص١٢٦؛ كرراز، فوزية، السيطرة الهلالية بالمغرب الإسلامي، دورية كان، عدد١٢، دار ناشر، الكويت، ٢٠١١م، ص٥٣-٥٤.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٣؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٨٠.

(٥) الرحلة، ج٢، ص٥٢٥.

أصابته على يد طبيب مصري[١]. وذكر أبن الخطيب الحضور التجاري المصري في السودان الغربي حيث قال: "قبل أن يدخلها أهل مصر كانت تجلب لها من المغرب ما لا بال له من السلع"[٢]. ولقد ساهم المصريون في أزدهار الحركة التجارية والاقتصادية في السودان الغربي ففضلاً عن أحياء الطريق التجاري الذي كان يربطه بمصر حتى أصبح يعج بالقوافل التجارية المحملة بكافة أنواع البضائع فقد توافد عليه أهم التجار المصريين وزاره عدد من تجار الكارم[٣]. وكان هذا الطريق التجاري الذي يربط مصر بالسودان الغربي هو الطريق الذي يتجه الى مصر مروراً بغات وغدامس[٤]. ويورد العمري رواية يفهم منها أن القوافل التجارية سلكت هذا الطريق مرة أخرى حيث يمر بمناطق تقيم فيها قبائل عربية وبربرية ومناطق أخرى كثيرة العمران[٥]. وعلى الرغم من طول مسافتهُ فأنه تميز بالأمن[٦]. ويعزى لهذا الطريق الفضل في ازدهار الحركة التجارية بين مصر والسودان الغربي، واعتمدت كثير من المدن السودانية على حركة القوافل التجارية فيه وشارك المحليون في هذهِ التجارة[٧]. حيث اكد ابن بطوطة أنهُ: "لا شغل لأهل تكدا غير التجارة يسافرون كل عام الى مصر ويجلبون كل ما بها من حسان الثياب وسواها"[٨].

---

(١) الرحلة، ج٢، ص٥٢٩.

(٢) الإحاطة، ج٢، ص١٩٣.

(٣) أبن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٢٧؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٨٥.

(٤) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٤٢.

(٥) مسالك الابصار، ج٤، ص.

(٦) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج١، ص٣٣.

(٧) عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص٢٧٥.

(٨) الرحلة، ج٢، ص٥٤٠.

بلغت اعداد القوافل التجارية المتجهة من هذهِ المدينة عبر هذا الطريق أثني عشر ألف جمل سنوياً[١].

ونتيجة لازدهار النشاط التجاري في أسواق السودان الغربي منذ أوائل (القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي) كان لهُ أثره في جذب المزيد من التجار من مختلف المناطق والدول الإسلامية[٢]. فقد شهدت المنطقة نظام الوكالات التجارية التي يرجع الفضل في ترسيخ أسسه الى العناصر العربية التي تاجرت مع تلك المناطق وكان من أشهر الأسر هي أسرة (آل المقري) وهم أجداد احمد المقري التلمساني صاحب كتاب: (نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب)[٣]. حيث قاموا بتأسيس شركة تجارية في ثلاث مدن مهمة سياسياً وتجارياً هي ولاتة وسجلماسة وتلمسان، وقد أصبح لهذهِ الشركة نشاط كبير في التجارة الصحراوية حسب ما أورده أبن الخطيب[٤]. وقد نالت هذهِ الشركة شهرة ونجاحاً كبيرين بفضل الأرباح التي جناها أعضاؤها من أشرافهم وسيطرتهم على حركة التجارة بين السودان الغربي وعدد من دول المغرب وكان من إنجازات القائمين عليها المهمة أن "مهدوا طريق الصحراء بحفر الآبار وتأمين التجار واتخذوا طبل الرحيل وراية النفر عند المسير"[٥]. وذلك مما ساعدهم على تذليل مهمة تبادل المعلومات التجارية بينهم بالمراسلة لمعرفة حركة التجارة الداخلية في السودان الغربي والأقاليم المغربية فكان "التلمساني يبعث الى الصحراوي بما يرسم له من السلع ويبعث إليه الصحراوي بالجلد والعاج والجذور والتبر"[٦]. الا أن قيام مملكة

(١) أبن خلدون، العبر، ج٧، ص١٠٨.

(٢) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٤؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٨٢.

(٣) غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٤.

(٤) الإحاطة، ج٢، ص١٩١-١٩٤؛ المقري، نفح الطيب، ج٥، ص٢٠٥-٢٠٦.

(٥) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص٢٨٣.

(٦) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢.

مالي ومن ثم استيلاء ملوكها على ولاته قد حد من نشاط هذهِ الاسرة التجاريـــة[١]. فأتصل احد أعضائها المقيم في ولاته بملك مالي "فأكرم مثواه ومكنه من التجـــارة بجميع بلاده وخاطبه بالصديق الاحب والخلاصة الأقرب[٢]. وعقب ابن الخطيـــب على هذا التواد بما يفهم منه أن ملك مالي ايضاً كاتب بقية أعضاء هذهِ الشـــركة: "ثم صار يكاتب من بتلمسان يستقضي منهم مآربه فخاطبه بمثل تلك المخاطبة من كتبه وكتب الملوك بالمغرب ما ينبئ عن ذلك"[٣].

فكانت عبارات الثناء على أصحاب هذه الشركة من قبل ملوك مالي اعترافا منهم بإمكانات شركتهم الهائلة لإسهامها في اثراء التجـــارة الداخليـــة والخارجيـــة للسودان الغربي[٤]. وساعدت هذهِ التسهيلات شركة المقـــريين للعـــودة لوضـــعها السابق حتى "خرجت أموالهم عن الحد وكادت تفوق الحصر والعد"[٥].

وهكذا أتسعت حركة التجارة بين بلاد السودان الغربي والبلـــدان الأخـــرى ونشط تبادل السلع واستخدمت القوافل التجارية نفس الطرق التي تـــربط الشـــمال الافريقي ببلاد السودان الغربي[٦].

٢-نظام التعامل:-

كانت وسيلة التعامل الواسعة الانتشار بين التجار العـــرب والبربـــر مـــع مواطني السودان الغربي هي المقايضة التي تعتمد على الاتفاق بين الطرفين فيمـــا يعرضانه من سلع[٧]. وقد ساد نوعان من المقايضة عنـــدهم أحـــدهما المقايضـــة

---

(١) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٨٣.
(٢) ابن الخطيب، المصدر السابق، ج٢، ص١٩٢-١٩٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٥، ص١٩٣.
(٤) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص٢٨٤.
(٥) ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٩٣.
(٦) حنان، العلاقات التجارية، ص١٨٤.
(٧) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٤٥؛ المهنـــدس، فريـــد عبـــد الرشـــيد، العلاقـــات، ص٢٩٤-٢٩٥؛ بو فيل، تجارة الذهب، ص١٥؛ إبراهيم طرخان، غانة، ص٧١؛ إبراهيم طرخان، مالي، ص١٤٢.

المباشرة التي تتم في المراكز التجارية على أطراف الصحراء وبحضور الطرفين[١]. والثانية المقايضة غير المباشرة والتي كانت تتم في المناطق الجنوبية من السودان الغربي ولاسيما قرب مناطق إنتاج الذهب مع القبائل الوثنية ولا يتقابل فيها المتبايعان حيث يعرض كل من التاجر والمواطن السوداني بضاعته وينسحب ولذلك أطلق على هذا النوع من المقايضة أسم التجارة الصامتة[٢].

ويظهر أن تغلغل المؤثرات العربية الإسلامية بالمنطقة أدى الى تلاشي هذا النمط من التعامل التجاري واستمر العمل بالمقايضة بالمبادلة أو المقايضة العينية أي استبدال سلعة بأخرى، وبتعرض المنطقة للتأثيرات العربية الإسلامية وتطور الحياة الاقتصادية اختفت ظاهرة المقايضة والتبادل وظهرت الحاجة الى العمل بنظام العملات[٣]. ومن هنا ظهر نظام العملات مثل النقود الذهبية والفضية والحديدية الى جانب بعض السلع الأخرى التي صار لها قوة النقد وقيمت به المعاملات البسيطة[٤]. مثل الودع[٥].

وعرفت النقود الذهبية بالسودان الغربي منذ زمن مبكر وقد أشار البكري في (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) الى استعمال الدينار في تادمكة حيث ذكر: "... ودنانيرهم تسمى الصلع لأنها ذهب محض غير مختوم"[٦]. وأشار ابن بطوطة كثيراً الى ذلك اثناء تعرضه لولاته وتكدا ومالي وحيث ذكر أن سعر الخيل والملح كان يقدر بالمثقال فضلاً عن ذلك فأنه قدر عطايا منسا موسى

---

(١) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٤٦؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٩٦.

(٢) المسعودي، اخبار الزمان، ص٨٨؛ القزويني، أثار البلاد، ص٢٠-٢١؛ أبن الوردي، خريدة العجائب وفريدة الغرائب، ص١٣٥؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، المرجع السابق، ص٢٩٤؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٤٥-١٤٦.

(٣) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٤٦-١٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ص١٤٧.

(٥) صنف من المحار يشبه الحلزون الكبير إلا أن خزفه أصلب، ينظر: العمري، مسالك الأبصار، ج٢٢، ص٣٤٧.

(٦) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨٠.

التي كان يغدقها على الشخصيات الهامة في دولته بالمثقال[١]. وكانت العملات العربية متداولة بالسودان الغربي فقد وجدت دنانير مصرية ومغربية في مالي وجاو وكانت تستعمل لشراء متطلبات الأسر الحاكمة[٢]. ومن الطبيعي أن تصل أنواع كثيرة من العملات المتداولة في الدول العربية الإسلامية الى بلاد السودان الغربي وذلك بحكم الارتباط والتواصل التجاري بينها[٣]. وقد أشار الحسن الوزان الى أن أهالي السودان الغربي كانوا يتعاملون بالعملات الذهبية بقوله: "والعملة الرائجة عند هؤلاء السودانيين هي الذهب غير المشكوك"[٤]. ويصف الوزان كذلك الكميات الهائلة من النقود والسبائك الذهبية المتوفرة بالمنطقة بقوله: "... ويملك الملك خزينة كبيرة من النقود والسبائك الذهبية ... وتستعمل قطع الذهب الخالص بدلاً من العملة المسكوكة"[٥].

وقد أستخدم أهالي السودان الغربي كذلك النقود الفضية وأشار الى ذلك ابن بطوطة بقوله: "أن أهل السودان يتصارفون بالذهب والفضة"[٦].

أما النقود الحديدية فيبدوا أنها كانت منتشرة ومتداولة بالمنطقة، حيث أشار الوزان في حديثه عن جني[٧] أن من العملات الرائجة عندهم "قطع الحديد لشراء أشياء تافهة كاللبن والخبز والعسل وتزن هذهِ القطع رطلا أو نصف رطل او ربعه"[٨].

أما الودع فيعد من أهم وسائل التعامل التجاري عند أهل بلاد السودان الغربي حيث وصل إليهم عن طريق التجار العرب والبربر وأستعمل بكثرة في المبادلات

---

(١) الرحلة، ج٢، ص٥٣٠ وص٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦.
(٢) الجمل، شوقي عطا الله، دور العرب الحضاري في أفريقيا، العرب في أفريقيا، دار الثقافة العربية، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ص١٦٤.
(٣) غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٤٨.
(٤) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣.
(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٦-١٦٧.
(٦) الرحلة، ج٢، ص٥٢٣.
(٧) ينظر: ص٢١٥ عن مدينة جني.
(٨) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣.

التجارية بين الطرفين(١). وفي هذا الصدد يقول العمري: "إن المعاملة في بلاد التكرور بالودع وأن التجار أكثر ما تجلب اليهم الودع وتستفيد به فائدة جليلة"(٢). حيث كان أهل جاو ومالي يستخدمونه كعملة للبيع والشراء(٣). وأيضاً كان يستخدم كحُلــي(٤). ويــذكر كعت أن الودع كان عملة شائعة في السودان الغربي وأن المثقال من الذهب في تمبكتو كان يصرف بثلاثة آلاف ودعة وأن العشر ثمرات تباع بخمس ودعات(٥).

٣-المقاييس والمكاييل والأوزان:-

نتيجة للاختلاط والتبادل التجاري بين العرب وأهالي السودان الغربي فقــد أستعمل أهالي السودان الغربي العديد من المقــاييس والمكاييــل والاوزان التـــي عرفتها الحضارة العربية الإسلامية(٦). وذلك على النحو التالي:-

أ- المقاييس:-

أستخدم أهالي السودان الغربي مقاييس عديدة وقد قام موني ببحثها وأشــار الى مقاديرها(٧) ومن هذه لمقاييس:-

١. الشبر:- وهو يساوي الامتداد بين الخنصر والبهام عندما تكون الكف مفتوحة وقد قدر موني طوله ما بين ٢١ و٢٣سم وهذه المقاييس كانت تستخدم أساساً في قياس الأقمشة(٨). ونظراً لغياب الموازين الكبرى عن الساحة التجارية في تلك الفتــرة فأن وسيلة القياس الأساسية للوح الملح كانت تتمثل في الشبر وفي هــذا الصــدر يقول الونشريسي على لسان أهل الصحراء في معرض وصفهم لألواح الملح في

---

(١) المهندس، فريد، العلاقات، ص٣٠١؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٠.

(٢) مسالك الابصار، ج٤، ص١٢٢.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٤٤٧ و ص٥٣٩.

(٤) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣٠١.

(٥) تاريخ الفتاش، ص١٨٣.

(٦) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥١.

(٧) المرجع نفسه، ص١٥١.

(8) Mauny, R: Tableau geographiques de l'oust africain au moyen age– d'apres, la tradition et l'archeologie, memoires, (Dakar, 1961), p412; الناني ولد حسين، صحراء الملثمين، ص٢٨٤؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣١٣.

بلادهم: "... قدرها بالشبر فيقولون خمسة أشبار في طول كل لوح منها وثلاثة أشبار في عرضه وفي الغلظ على الوسط لا رقيقة جداً ولا غليظة جداً على المتعارف بينهم في الغلظ والرقة[١].

٢. الذراع:- وهو الامتداد بين عقدة المرفق ونهاية الوسطى ويرى ابن خرداذبة أنهُ يساوي ٢٤ أصبعاً[٢]. أي ٤٨سم وفقاً لتقديرات موني[٣].

٣. الميل:- وهو يستخدم لقياس المسافات الطويلة وكان يساوي ١٦٠٩متراً[٤].

٤. الفرسخ:- والذي كان يستخدم لقياس المسافات الكبيرة وكان يساوي ثلاثة أميال أي ١٩٢٠×٣=٥٧٦٠ متراً تقريباً[٥].

ب- المكاييل:-

ومن المكاييل التي كانت تستخدم هي:-

١. المد:- ويساوي سعة أربعة ألواح بجمع اليدين وقد قدر بما يعادل ٥,٧٥سم أي بما يعادل لتراً تقريباً[٦].

٢. الصاع:- وهو يساوي أربعة أضعاف المد أي يعادل ثلاث لترات تقريباً[٧].

٣. القنطار:- هو وحدة وزن تحسب بمضاعفة أوزان الأرطال ويساوي ١٠٠رطل[٨].

---

(١) أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ)، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل أفريقية والأندلس والمغرب، وزارة الوقاف، (المملكة المغربية، ١٩٨١م)، ج٥، ص١٣٧.

(٢) المسالك والممالك، ص٤.

(٣) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣١٣.

(٤) زبادية، عبد القادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص٥٣.

(٥) زبادية، المرجع نفسه، ص٥٣؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٣١٤؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٢.

(٦) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٢.

(٧) الونشريسي، المعيار، ج٥، ص٩٠؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٣؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣١٢.

(٨) السبتي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٦٣٣هـ)، أثبات ما ليس منه يد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تح: محمد الشريف، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ١٩٩٩م)، ص١٤٢؛ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلمي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان، ١٩٧٠م)، ص١٠٤.

٤. المودي:- وهو يساوي ما يحملهُ العبد أو الرجل من حبوب أو غيرها في كيس كان يتخذ من جلد[١].

ج-**الأوزان**:-

الميزان وهو الحاكم بين الدافع والقابض وله أشكال مختلفة أما مقدحة مرفوعة الأجناب أو مكورة مثل نصف كورة[٢]. ومن الاوزان التي استخدمت في بلاد السودان الغربي هي:-

١. المثقال:- وكان يستخدم لوزن المعادن وكان يساوي وزن اثنتين وسبعين حبة من حبات القمح المتوسطة الحجم ويقدر المثقال بحوالي أربعة غرامات من الذهب[٣]. ويقابل المثقال الواحد بثلاثة آلاف ودعة[٤]. والدرهم عدنهم يساوي المثقال أعشار المثقال أما الدينار فكان يساوي أربعين درهماً[٥]. ويعادل سعر الدينار ستة أوقيات من الذهب[٦].

٢. الأوقية:- وهي وحدة وزن متداولة في وزن البضائع والسلع والوزن الشرعي لها هو ٤٠ درهماً[٧]. وفي السودان الغربي كانت تساوي حوالي سبعة وعشرون ونصف غرام[٨].

وتجلى مظهر التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي أن أضحت اللغة العربية لغة التجارة والتعامل في أسواق السودان الغربي بدرجة أن

---

(١) غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٣؛ زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص٥٤.

(٢) ابن الحكيم، أبو الحسن علي بن يوسف (كان حياً في القرن ٨هـ)، الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسين مؤنس، (مدريد، ١٩٥٨م)، ص١٢٣.

(٣) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٤٣٤؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣١١.

(٤) كعت، الفتاش، ص٢٢٠.

(٥) زبادية، مملكة سنغاي، ص٢٠٠.

(٦) الهادي الدالي، التاريخ السياسي والاقتصادي، ص٣٣٧.

(٧) فالتر هنتس، المكاييل، ص١٩ و ٣٧.

(٨) زبادية، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص٥٤.

المصطلحات العربية المتعلقة بالمقاييس والمكاييل والأوزان انتقلت بأسمائها العربية الى اللغات الأفريقية المحلية[(١)].

٤-**الزراعة والثروة الحيوانية:-**

كان للعقيدة الإسلامية والتي أصبحت عقيدة لأهالي السودان الغربي، الأثر البالغ في تشجيع العمل الزراعي وتربية الماشية بعد أن كانوا يعيشون على الصيد والقطاف، حيث حرم الإسلام تربية الخنازير وأكلها وحث على الاكثار من تربية المواشي والاغنام وهي حيوانات لها أهميتها الاقتصادية، وكانت تربية المواشي خير معين لأهالي المنطقة للإقلاع عن عادة أكل لحوم البشر التي كانت منتشرة بتلك المناطق[(٢)].

وبتعرض المنطقة للتأثيرات الحضارية العربية الإسلامية وما في الإسلام من روح تسامح وتعاون وآخاء وقيام الدول المركزية المنظمة أدى ذلك الى التخلص من المنازعات القبلية والصراعات العشائرية فشعر الأهالي بالأمان والاطمئنان والاستقرار مما دفعهم الى الانصراف الى ممارسة الزراعة وتربية الحيوانات وتركوا حياة الغابات والكهوف ليستقروا في الأراضي الزراعية بصورة دائمة[(٣)].

ومن بين المزروعات التي حرص أهالي السودان الغربي على الاهتمام بزراعتها هي القطن التي توفرت الظروف المناسبة لزراعته في المناطق الوفيرة المياه حول الأنهار وفروعها وفي المناطق التي بها معدل أمطار سنوي يكفي لزراعة تلك المحاصيل ومن المرجح أن بذرة القطن قد جلبت من الشمال

---

(١) عوض الله، الشيخ الأمين، العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين مالي وسنغاي، دار المجمع العلمي، (جده، ١٩٧٩م)، ص١٨١؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٣؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٣١٤.

(٢) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية، ص١٤١؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٥.

(٣) قداح، نعيم، المرجع السابق، ص١٤١؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٦.

الافريقي[١]. وقد كانت حاجة أهالي السودان الغربي ماسة للقطن الذي راجت زراعته بالمنطقة وأستخدم في صناعة النسيج والملابس لاسيما وأن العقيدة الإسلامية التي صارت عقيدة أغلب الأهالي كانت تشجع على الاكتساء وستر العورة[٢].

كما عرفت المنطقة زراعة القمح الذي كان يستهلك من الطبقة المترفة والمغاربة، وكان أغلبه يستورد من الشمال الافريقي[٣]. وأيضاً زرع الكروم والتين وهي من أشجار البحر المتوسط وكانت اثمانها مرتفعة[٤].

ويعتقد أنهُ من الأسباب الهامة التي ساهمت في ازدهار الزراعة في تلك المنطقة هي توفر البذور الجيدة فضلاً عن توفر الخبرة الزراعية والوافدة من الشمال الأفريقي[٥]. كما أن وجود نهري السنغال والنيجر ساعد على قيام زراعة متطورة لاسيما بعد أن عرف المرابطون أهل غانة أساليب تطوير الزراعة مثل شق الترع والجداول، فتم تحويل الأراضي التي تحيط بالنهرين الى سهول فيضيه صالحة للزراعة حيث يكون نهر النيجر دلتا عند مصبه في خليج غينا[٦]. وقد اشتهرت كل من تمبكتو وجني بينابيع للمياه تغذي الجداول التي تتجه صوب الجنوب[٧].

ويبدو أن نتائج الخبرات الوافدة على السودان الغربي ظهرت في نظام الاستغلال الجيد للأرض، واستغلال كل ما يمكن أستغلالهُ منها حيث أتجهوا الى استغلال سفوح الجبال وشق المصاطب والقنوات، وكما أكد بازل دافدسن بأنهم

---

(١) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣؛ زبادية، عبد القادر، الحضارة العربية، ص١٧؛ الأمين عوض الله، العلاقات، ص١٧٧؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٦.

(٢) غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٦.

(٣) المرجع نفسه، ص١٥٦.

(٤) الغربي، محمد، الحكم المغربي، ص٥١؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٥٦-١٥٧.

(٥) الغربي، محمد، المرجع السابق، ص٥١.

(٦) الغربي، محمد أحمد، موريطانيا ومشاغل المغرب الافريقية، (الرباط، ١٩٦٤م)، ص١٤.

(٧) فوزية يونس، التأثيرات، ص١٥٣.

نقلوا من أهالي الشمال الافريقي الخبرة الفنية وأضافوا اليها ما برعوا فيه في الماضي وطوعوا كل هذا لتجربتهم الذاتية ثم اخترعوا ما احتاجوا اليه من أدوات وشؤون على هدى ما اقتبسوه من الشمال[١].

٥-الصناعة:-

تتميز الصناعة في السودان الغربي بأنها بدائية وقد تطورت بعد دخول العرب والبربر الى المنطقة واحتكاكهم بالسودان وانتشار الإسلام بينهم ومن أهم الصناعات التي ظهرت وتطورت في السودان الغربي هي:-

أ- صناعة النسيج:-

لاشك أن تعمق مفاهيم العقيدة الإسلامية كان سبباً في ازدهار الصناعة، ومن أمثلة ذلك محاربة العقيدة الإسلامية لعادة العرى التي كانت معروفة بالمنطقة، ولذلك حرص الأهالي على ارتداء الملابس فازدهرت نتيجة لذلك صناعة النسيج وحياكة الملابس[٢]. كما عرف حرفيو السودان الغربي أستعمال الأصباغ عن طريق التجار العرب المغاربة الذين اختلطوا بهم وكان هؤلاء الصباغون يستعملون في تجسيمها أوراق النباتات لإعطاء الوان مختلفة ويضيفون اليها في الغالب الشب والملح لتثبيت الألوان[٣].

وكانت الظروف المناخية مساعدة لزراعة محصول القطن حيث أشتهرت تكرور بزراعته[٤]. وتميز نبات القطن بكبر حجمه[٥]. وكانت الالة المستعملة في صناعة القطن هي (النولا) فيذكر أبن بطوطة خلال رحلته من ولاته الى مالي عن مشاهدته لحائك فيقول: "وقد مررت بشجرة منها فوجدت في داخلها رجلاً حائكاً قد نصب فيها مرمته (نوله) وهو ينسج فعجبت منه"[٦]. وكان لاستخدام النولا في

---

(١) أفريقيا، ص٦٥؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٥٨.

(٢) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية، ص١٤٣؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٦١.

(٣) زبادية، مملكة سنغاي، ص١٩٢.

(٤) ابن سعيد، الجغرافيا، ص٨؛ العمري، مسالك الأبصار، ج٤، ص١٢٢.

(٥) الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٤٠.

(٦) الرحلة، ج٢، ص٥٢٦.

الحياكة في السودان الغربي أو أي جزء أخر من السودان دور كبير في زيادة الإنتاج(١).

وقد اشتهرت كل من تمبكتو وجني بصناعة الغزل والنسيج(٢). حيث كان في تمبكتو عدد كبير من دكاكين الخياطين ودكاكين نساجي أقمشة القطن(٣). وقد وصلت تمبكتو قمة ازدهارها في القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) حيث بلغ عدد الخياطين فيها عشرين خياطاً وعدد العمال ما بين خمسين الى مئة خياط(٤). وهكذا تعطينا تمبكتو خير مثال على قيام الصناعة وذلك لتوفر العوامل المساعدة فيها فكان يزرع فيها القطن وتتوفر فيها الأيدي العاملة وأسواقها كبيرة ومناسبة لتصريف السلعة(٥).

ولم يكن القطن المادة الوحيدة المستخدمة في صناعة المنسوجات بل استخدمت ثمار شجرة تدعى تورزي وذكرها البكري بقوله: "تنبت في الرمال ولها ثمر كبير منتفخ داخله صوف أبيض تصنع منهُ الثياب والأكسية ولا تؤثر النار فيها، صنع من ذلك الصوف من الثياب لو أوقدت عليه الدهر..." (٦). وقد أستخدم في صناعة المنسوجات أيضاً الصوف(٧). واستخدمت أيضاً جلود الماشية والنمور التي كانت توجد بأعداد كبيرة في غانة(٨). وتحول الجلد الى قطعة صالحة لصناعة مختلف الضروريات فضلاً عن الملابس من المحتمل أنهُ كانت تصنع منها السروج والنعال والأغطية وأدوات لحفظ المواد السائلة كالحليب والماء والسمن(٩).

---

(١) فوزية يونس، التأثيرات الحضارية، ص١٥٨.
(٢) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣.
(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٦٦.
(٤) كعت، الفتاش، ص١٨٠.
(٥) فوزية يونس، المرجع السابق، ص١٥٨.
(٦) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧٨.
(٧) مجهول، الاستبصار، ص٢٢٠.
(٨) ابن الفقيه، البلدان، ص١٣٢.
(٩) فوزية يونس، التأثيرات، ص١٥٩-١٦٠.

ب- صناعة الحديد:-

عرف السودان الغربي الحديد في الالف الميلادي الأول وأنتشر في عمـوم الإقليم في حوالي الالف الرابع الميلادي[١]. غير أن صناعته ازدهرت في القـرن (الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) عندما دخل المسلمون الى السـودان الغربـي فصنعوا السكاكين ورؤوس الرماح والسيوف والمسامير والآلات الزراعية وكذلك المقصات[٢].

ج-حرفة الوراقين:-

انتشرت في السودان الغربي حرفة الوراقين وكانت مـن أهـم المـؤثرات الصناعية المهمة التي قدم بها المهاجرين من مصر والحجاز والمغرب[٣]. ومعناها القيام بنسخ الكتب والمخطوطات وتجليدها والمتاجرة فيها على نطاق واسع وكـان يقوم بهذا العمل نساخون محليون لحساب بعض العلماء والسلاطين مثل الأسـكيا داوود (٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) الذي كان في خدمته عدد كبير من الكتبة والنساخين وكان يحفظ هذهِ المخطوطات في خزائنه[٤].

د- صناعة الحلي:-

كانت صناعة الحلي من الذهب والفضة، من الصـناعات التـي ازدهـرت بالمنطقة نتيجة لتعرض السودان الغربي للتأثيرات العربية الإسـلامية، فقـد وصـل الأهالي الى درجة كبيرة من الثراء[٥]. وفضلاً عن هذه المعادن كانت هناك الأحجار الكريمة الغالية الثمن التي تسمى العقيق المتميز بألوانه الأحمر والاصفر والأبـيض وهذا الحجر مثل الياقوت "لا يعمل فيه الحديد شيئاً وانما يصنع ويثقب بحجـر أخـر

(١) فوزية يونس، التأثيرات، ص١٦٤.

(2) Diop, African, P101.

(٣) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٦١-١٦٢.

(٤) كعت، الفتاش، ص٩٤؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٦٢.

(٥) غيث، أمطير، المرجع السابق، ص١٦٢.

يسمى تنتواس..."[١]. وكان الطلب على مثل هذهِ الحلي من قبل النساء كبيـــراً جـــداً فبمجرد وصول التاجر الى المنطقة تتهافت النسوة لشرائها وبأغلى الاثمان[٢].

(١) مجهول، الاستبصار، ص٢٢٥.

(٢) المصدر نفسه، ص٢٢٥.

المبحث الثالث

الأثر الاجتماعي

أن تقوية الروابط الاجتماعية والتغير الاجتماعي عملية قائمة ومستمرة ما وجدت الحياة الإنسانية، ونتيجة للاتصال والتواصل مع البربر والعرب المسلمين أصبح لأهالي السودان العربي وسائل وأدوات التغيير والتعمير فأقاموا المدن التجارية وبرزت المراكز الثقافية فأنعكس ذلك على العادات والتقاليد والفنون الشعبية ونظام الأسرة ووضع المرأة والزي وتقاليده والطعام والشراب.

فمن المؤكد أن الوجود العربي الإسلامي في المراكز السودانية كان لابد من أن يؤثر في المجتمع حيث قام أهل السودان بتقليد ما عند العرب المسلمين من العادات والتقاليد السائدة في بلادهم ومن هنا بدأت مجالات الثقافة العربية الإسلامية[١].

فقد اقتبست الأجيال المحلية عادات وتقاليد إسلامية وعملوا على نشرها بين قبائلهم، ومن الواضح أن تأثير المهاجرين المسلمين كان واضحاً على كل الشرائح الاجتماعية السودانية، بينما لم تسجل المصادر العربية الإسلامية على هؤلاء المهاجرين تحولاً منهم الى العادات المحلية السودانية، وذلك لأن المحليين لم يحظو بالتمدن والرقي فهم في الغالب "قوم يعيشون كالبهائم لا ملوك لهم ولا أمراء ولا جمهوريات ولا حكومات ولا عادات يكادون لا يعرفون زرع الحبوب ويلبسون جلود الغنم وليس لأحد منهم امرأة خاصة به"[٢]. وقد فرض هذا الفراغ الاجتماعي على المحليين سرعة تأثرهم بالمسلمين المقيمين بينهم من خلال التعاليم الاسلامية التي انتشرت بينهم فتسربت بين طبقاتهم الاجتماعية المؤثرات الاجتماعية الإسلامية[٣].

---

(١) الشيخلي، صباح، ملاحظات حول انتشار الإسلام، ص٢٣.

(٢) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٥٩؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي من خلال المصادر، ص٢٦٠.

(٣) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع نفسه، ص٢٦٠.

ويجد المتابع للنهج الذي تسربت خلاله المؤثرات الاجتماعية الإسلامية في السودان الغربي حقيقتين مهمتين، تتمثل الأولى منهما في التزام العناصر المسلمة بالتقاليد والعادات الإسلامية فكان هذا النهج عنصراً مهماً وفاعلاً في تسرب العادات والتقاليد الإسلامية بين المحليين، أما الحقيقة الأخرى فتتمثل في أن العناصر الإسلامية الوافدة لم تعش في عزلة عن العناصر المحلية حيث شاركوهم أفراحهم وتداخلوا مع كافة الطبقات الاجتماعية التي اقتبست منهم كثيراً من العادات الحسنة وتخلقوا بأخلاقهم حتى أن الوثنيين منهم تأثروا بهم(١).

ولقد كون المهاجرون العرب والبربر الذين أستقروا في بلاد السودان الغربي ثلاث فئات وهم:-

١-فئة العلماء:-

وهم القائمون على الدين المشتغلون بعلومه وتشمل فئتهم الفقهاء والمفسرين ورواة الحديث والنحويين وقراء القرآن والقضاة وخطباء المساجد وغيرهم وقد أحتل العلماء مكانة رفيعة في المجتمع السوداني سواء في عهد غانة أو في العهد المرابطي ولما انتقل الحكم من أيديهم الى سلاطين مالي احتفظوا بمكانتهم وحظوتهم في البلاط الملكي بل كانوا من خاصتهم وأهل مشورتهم، وكانوا يغدقون عليهم بالأموال والعطايا وكانت التقاليد في مملكة مالي تحفظ لهم هيبتهم بين الناس كما تمتعوا بحب الناس لهم من أهل السودان الغربي لفضلهم الكبير في التعليم(٢). ولذلك شهدت دولة مالي وصول علماء من جميع أنحاء المغرب الى مدنها من تلمسان وبجاية ومراكش وفاس وكان سلاطين مالي على دراية بقيمة علماء المغرب فاستقدموهم وتفقهوا على أيديهم وأخذوا عنهم المذهب المالكي(٣).

---

(١) أبن سعيد، الجغرافيا، ص٩١؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي من خلال المصادر، ص٢٦٠-٢٦١.

(٢) قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي بمنطقة السودان الغربي، ص٦٢.

(٣) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٧.

٢-فئة التجار:-

تمتعت طبقة التجار الذين أقاموا في بلاد السودان الغربي بثراء عظيم في كل المدن التي نزلوها[١]. وقد حقق هؤلاء التجار نجاحاً عظيماً في كل المدن التي كانوا يرتادوها، واذا كان نجاح هؤلاء التجار يلحق بهم ويعود عليهم بالنفع والثراء نتيجة لاجتهادهم ومثابرتهم فأن الفضل يعود لهم في أنعاش السوق السودانية وتطورها الى حد كبير[٢]. وقد حظوا بكل الامتيازات وأصبحوا من ذوي الجاه وكانت لهم جهة رسمية اشبه بالنقابة تضمن لهم حقوقهم واحترامهم ومعاملتهم كأبناء البلاد الأصليين[٣].

٣-فئة العامة:-

وكانت هذه الفئة تتكون من الحرفيين والصناع وممن يعملون بمجال الزراعة فقد كان اكثر الصناع في كل من نياني وتنبكتو من حاكة القماش (الخياطين) أما الزراع والدعاة فأغلبهم كانوا موجودين في منطقة جاو حيث تنتشر المناطق الزراعية ولاسيما مادة الدخن[٤]. وكان هؤلاء العامة يلقون من السلاطين رعاية تفوق رعايته لعامته من السودانيين، وقد صادف ابن بطوطة في رحلته من عامة مسوفة من يعمل بالزراعة ببعض مناطق ولاتة أو في سقاية القوافل وتزويدها بالطعام أو في حراستها وككشافين وأدلاء[٥].

وبهذا فقد شكل العامة من المغاربة والبربر المهاجرين في السودان الغربي برفقة نظرائهم من السودانيين طبقة الانتاج الأولي في البلاد فقد كانوا يشكلون مع

---

(١) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٤.

(٢) ابن ابي زرع، الانيس المطرب، ص١٠٨؛ قدوري، عبد الرحمن، الوجود المغربي، ص٦٢.

(٣) زبادية، عبد القادر، مملكة سنغاي، ص١١٨-١١٩.

(٤) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٥؛ عبد الرحمن قدوري، الوجود المغربي، ص٦٣.

(٥) الرحلة، ج٢، ص٥٢٤-٥٢٥؛ قدوري عبد الرحمن، المرجع السابق، ص٦٣.

ثلث طبقة العامة في السودان أما الثلثين الباقيين فكانوا من العبيد والأقنـــان مـــن السودانيين الذين كان بعضهم يعملون عند الأغنياء كخدم(١).

التأثير في العادات والتقاليد الاجتماعية:-

تميزت بلاد السودان الغربي بأن لها عـــادات وتقاليـــد اجتماعيـــة أصـــيلة وموروثة من الحضارة السودانية القديمة(٢). وقد استمرت حتى بعد انتشار الإسلام وهي تتعلق بتصرفات الافراد وأفعالهم تجاه بعضهم البعض أو تجاه الحاكم أو شيخ القبيلة(٣).

وعند دخول العرب والبربر الى بلاد السودان الغربي وسكنوا بينهم أثـــروا في هذهِ العادات والتقاليد السيئة فحدث امتزاج بـــين العـــادات والتقاليـــد العربيـــة الاسلامية الوافدة من مناطق الشمال الافريقي وبين التقاليد السودانية وظهر نتيجـــة لهذا الامتزاج تقاليد عربية اسلامية أفريقية(٤).

ومن هذه العادات والتقاليد هي:-

١-ظاهرة العري:-

كان العري أمراً منتشراً في السودان بشكل كامل للجسم أو شـــكل جزئـــي ويصفهم القزويني قائلاً: "وأهلها عراة رجالهم ونسائهم..."(٥). وكان العـــري فـــي هذه المجتمعات لا يثير أي خجل أو يخدش حياء لصاحبه بل يحتقـــر مـــن يســـتر جسمه(٦).

---

(١) سلطان، عبلة محمد، الوجود المغربي، ص١٩٥.

(٢) وناس، زمان عبيد، تاريخ مدينة كاو منذ نشأتها حتى سقوط امبراطورية السونغاي، ط١، دار الايام، (عمان، ٢٠١٥م)، ص١٧٠.

(٣) عبد العزيز، محمد فتحي، أبن بطوطة في بلاد السودان، ط١، مكتبـــة الثقافـــة الدينيـــة، (القاهرة، ٢٠١٧م)، ص٣٣١.

(٤) زمان عبيد، تمبكتو، ص١٦١؛ غيث، أمطير ، التأثير العربي، ص٢٠٧.

(٥) أثار البلاد، ص٢٦.

(٦) زناتي، محمود سلام، الاسلام والتقاليد القبلية فـــي أفريقيـــا، دار النهضـــة، (بيـــروت، ١٩٦٩م)، ص١١.

فكانت ظاهرة العري من العادات التي تقلص وجودها في السودان الغربي فبدأت في التلاشي حتى أن بعض الرواة هالهم طول الملابس التي يلبسها اشراف المسلمين في اقليم التكرور حيث قدرت بعشرين ذراعاً فاحتاج من يلبسها الى خدم لحمل أطرافها المتدلية على الارض[١]. وحتى الوثنيين تأثروا بذلك فقيل: "أن من خالط البيض وتخصص أتخذ لباسه من الصوف والقطن، وأحياناً يقتصر على ستر العورة بأكسية جلدية"[٢].

وفي (القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) وجد ابن بطوطة حالات قليلة من العري بينهم فوصفها بقوله: "ومن مساوئ أفعالهم كون الخدم والجواري والبنات الصغار يظهرن للناس عرايا..."[٣]. وقد أستنكر ابن بطوطة هذا العري وأعتبره معارضاً لتعاليم الاسلام بطبيعة الحال ولكن أبن بطوطة وغيره ممن كان لهم رأي مماثل في هذا الصدد لا يدركون مدى تغلغل التراث الثقافي في نفوس قبائل ((الماندينغ)) والقبائل الافريقية بصورة عامة، فهذه العادات والتقاليد التي تتوارثها الاجيال المتعاقبة والتي تعد في عرفهم شيئاً طبيعياً ليس له محلاً من النقاش والجدال، ولهذا لم يكن من السهل على قبائل الماندينغ رغم اعتناقها الاسلام أن تهجر ما ورثته من عادات وتقاليد الآباء والاجداد منذ القدم[٤]. وأخذت هذه الظاهرة في الاختفاء تدريجياً و لم تعد تذكر في المصادر[٥] فقد بلغ من قوة التأثير أن اختفت ظاهرة العري التي كانت منتشرة في المجتمع السوداني وذلك بسبب احتكاكهم بالعرب والبربر مما حد من هذهِ الظاهرة بشكل تدريجي وفي هذا الصدد يقول ابن سعيد: "ومن خالط البيض أتخذ لباسه من الصوف

---

(١) القزويني، اثار البلاد، ص٢٦؛ عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي من خلال المصادر، ص٢٦٤.

(٢) أبن سعيد، الجغرافيا، ص٩١.

(٣) الرحلة، ج٢، ص٥٣٦.

(٤) جوان جوزيف، الاسلام في ممالك وامبراطوريات أفريقيا، ص٧٦؛ محمد فتحي، ابن بطوطة في بلاد السودان، ص٣٣٦.

(٥) محمد فتحي، أبن بطوطة في بلاد السودان، ص٣٤١.

والقطن وذلك مجلوب لهم"[1]؛ ولم تقتصر ملابسهم وازيائهم على ستر العورة فقط بل تمثلوا بالملابس العربية الإسلامية وحاكوها فقد تميزت الملابس الشائعة بينهم بأنها بيض جميلة حملتها القوافل التجارية إليهم من البلاد الإسلامية ولاسيما من مصر[2] وهي في طابعها العام مماثلة للملابس العربية بدليل أنها جاءتهم من مصر وتحمل الأسماء نفسها مثل الجباب والدراريع[3]. والطيلسانات[4]. والشاشيات[5]. وكانوا يلبسونها على طريقة المغاربة حتى العمائم العربية أعتمرها كثير من أفراد المجتمع السوداني[6]. فأصبح الزي وتقاليده في السودان الغربي من المظاهر الاجتماعية التي جاءت وليدة التأثيرات العربية الإسلامية. لاسيما التأثير العربي المغربي وقد أشار الى ذلك العمري واصفاً زي أهالي مالي بقوله: "....ولباسهم عمائم يُحبك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تزرع عندهم وينسج في نهاية الدفع واللطف يسمى الكميصي ومنهم شبيه بزي المغاربة جباب ودراريع بلا تفريج ويلبس أبطالهم الفرسان أساور من ذهب.."[7]. كما يلبس

---

(١) كتاب الجغرافيا، ص٩١؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي، ص٣٧٣.

(٢) أبن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص ٥٣٠-٥٣٣.

(٣) الدراعة جمع دراريع وتعرف بالجبة أو الفرجية وهي لباس مفتوح من النحر الى أسفل الصدر بها ازرار ويلبسها العلماء والقضاة وأرباب العمائم، ماير، الملابس المملوكية، تر: صالح الشيشي، الهيئة المصرية العامة، (القاهرة، د.س)، ص ٢٩-٣٠.

(٤) الطيلسان جمع طليسانات قطعة من القماش انيقة الشكل ومتناسقة الأطوال توضع على الرأس والأكتاف واكثر من يتزي بها العلماء والقضاة، ماير، الملابس المملوكية، ص٩٤.

(٥) الشاشة جمع شاشات وهو قماش يلف حول الرأس، ينظر، ماير، المرجع السابق، ص١٤٠.

(٦) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١٥؛ أبن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٣؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٧؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٧٠؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي، ص٣٢٣؛ أبراهيم طرخان، دولة مالي، ص١٦٤.

(٧) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١٥؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٧.

الفقهاء منهم عمامة على نسق العمامة الشرقية مع ترك عذبه تتدلى على ظهره[١] ومن مظاهر تشبههم بالعرب المسلمين هو لبسهم للملابس البيضاء ولاسيما في المناسبات الدينية كعيدي الفطر والأضحى وأثناء خروجهم بصلاة الجمعة وقد شاهدهم على هذهِ الأحوال ابن بطوطة فقال عنهم: "... وحضرت بمالي عيدي الأضحى والفطر فخرج الناس الى المصلى وهو قريب من قصر السلطان عليهم الثياب البيض الحسان وركب السلطان وعلى رأسه الطيلسان.."[٢]. ويضيف أبن بطوطة حرص أهالي السودان الغربي على ضرورة الخروج لصلاة الجمعة في ملابس بيضاء وفضفاضة ونضيفه بقوله: "...ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة"[٣]. ويضيف القلقشندي الى ذلك بقوله: "وأهل هذهِ المملكة يركبون السروج وهم في غالب أحوالهم في الركوب كأنهم العرب"[٤]؛ وبذلك صار الناس الذين كانوا عراة تماماً ولا يغتسلون يتأنقون بملابسهم من أجل الصلاة ويغتسلون يومياً لأن الشريعة الإسلامية تأمرهم بالطهارة وتعتبرها شرطاً أساسياً لصحة أداء الشعائر الدينية مثل الصلاة والصوم وغيرها من العبادات كما أصبح المسلمون السودانيون يباهون الوثنين بملابسهم البيضاء النظيفة[٥].

ووصف الحسن الوزان أهالي منطقة السودان الغربي الذين زارهم وتعرف على أحوالهم بأنهم يرتدون لباسا حسنا ويتلثمون بلثام كبير من قطن اسود وأزرق يغطون به على رأسهم ولكن الأئمة والفقهاء يتلثمون بلثام أبيض[٦].

(١) طرخان، دولة مالي، ص١٦٤.

(٢) رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٥٣٢..

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج٢، ص٥٣٥.

(٤) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٧.

(٥) نعيم قداح، أفريقيا الغربية، ص١٧٣؛غيث، أمطير، التأثير العربي الإسلامي، ص٢١٠-٢١١.

(٦) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣.

كما لبس الأهالي على أيام الأساكي القميص الأسود والقلنسوة الحمراء وملحفة سوداء وقد شاع استعمالها بين الناس أما لباس الفقراء فكان مصنوع من الجلد المدبوغ فضلاً عن الملابس الصوفية والقطنية[١].

كما أن كثيراً من النساء التزمن الزي الإسلامي الذي يستر عورتهن ويبعدهن عن الوقوع في الفتن بتأثير انتشار الإسلام في بلادهن حتى أن الحجاب الإسلامي شاع بينهن في تلك المدة[٢]. ومما يؤكد أن الحجاب قد وجد أرضاً تقبل عليه وتشجع استمراره فيها أن الحسن الوزان عندما زار السودان الغربي بعد ذلك أثنى على نسائه لأنهن لم يزلن محافظات على ارتداء الحجاب[٣].

٢-اكل لحوم البشر:-

لقد أورد المؤرخون كثيراً من النصوص التي تؤكد على أن بعض السودانيين كانوا يأكلون بعضهم بعضاً[٤]. وقد وصف العمري جماعة كانت تدخل ضمن سيادة لملك من اكلة لحوم البشر حيث يقول عنهم: "كذلك في طاعته قوم من الكفار ومنهم من يأكل لحوم بني أدم ومنهم من أسلم ومنهم من هو باق على هذا"[٥]. وقد شاهد ابن بطوطة ذلك عندهم وقالوا لهُ أن أطيب ما في لحوم الأدميات الكف والثدي كما انهم كانوا لا يأكلون الأدميين البيض لأنهم يقولون: "إن أكل الابيض مضر لأنه لم ينضج والأسود هو النضج بزعمهم"[٦]. ونتيجة

---

(١) كعت، تاريخ الفتاش، ص٩٦-٩٧؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٧٠.

(٢) المهندس، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٥.

(٣) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦.

(٤) الانصاري، نخبة الدهر، ص١٦٨؛ ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٧؛ أبن خلدون، المقدمة، ص٤٦٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٧.

(٥) مسالك الأبصار، ج٤، ص١١٠.

(٦) الرحلة، ج٢، ص٥٣٧.

للمؤثرات العربية الاسلامية فقد اختفت الكثير من هذهِ العادات مثـل اكـل لحـوم البشر وتقديم الأنسان قرباناً ووأد الاطفال أحياء[١].

٣-دفن الموتى:-

عرف أهل السودان عدم دفن موتاهم وقد فسر البكري هذهِ الظاهرة بقوله أنهُ اذا مات لهم ميت وهم في سفر ولم يتمكنوا من مواراتــهُ نظــراً لصــلابة الأرض وامتناعها على الحفر فإنهم كانوا يسترونهُ بالحطام والحشيش أو يقذفونهُ في البحر[٢]. وإذا تأملنا طريقة الدفن هذهِ التي ذكرها البكري لوجدنا أنها كانت اضطرارية وذلـك بسبب صلابة الأرض وبسبب الطبيعة الجبلية حيــث كــانوا لا يســتطيعون الحفــر بالصخور[٣]. ولكن العمري يرجح عدم دفن الموتى الى أنهُ كان من عادة أهل مــالي أن لا يدفن عندهم ميت إلا إذا كان ذا قدر وحشمة بقوله: "ومن عادتهم أن لا يــدفن عندهم ميت الا إذا كان قدر وحشمة والا فكل من كان سوى هؤلاء ممن لا قدر لــه والفقراء والغرباء فأنهُ يرمي رمياً في الفلاة مثل ما ترمي باقي الميتات"[٤].

وقد أستشعر مسلمو السودان الغربي حرمة المسلم حياً وكرامته ميتاً انطلاقاً من تأكيد الإسلام بذلك فتخلوا عن بعض العادات الوثنية السائدة في بلادهم التــي تتعلق بدفن الموتى أو التخلص من جثثهم[٥]. وكانت أيضاً للأهالي عادات تتعلــق بتقديم القرابين والذبائح والخمر لموتاهم[٦]. بيد أن كثيراً من هذهِ العادات قد زالت عندما أعتنق الأهالي الإسلام فقد شاهد ابن بطوطة قبراً للشاعر الأندلســي ابــي أسحاق الطويجن في مدينة تمبكتو[٧]. فلم يُرم في الفلاة جرياً على عــادتهم فــي التخلص من جثث الغرباء كما شارك أبن بطوطة في جنازة لأبن شيخ المغاربة في

(١) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص٢١٠؛ المهندس، فريد، العلاقات بين الدولة المرينيــة ومملكة مالي، ص٣٨١.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٦٧.

(٣) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي، ص٣٦٧.

(٤) مسالك الابصار، ج٤، ص١١٧.

(٥) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٦.

(٦) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٣.

(٧) الرحلة، ج٢، ص٥٣٨.

مدينة تكدا وأثناء أقامته في عاصمة مالي كان يسكن في منزل مجاور لمقبرتها[١].
وكل ذلك يظُهر أن مراسيم دفن الموتى في السودان الغربي اعتمدت على التعـــاليم الإسلامية ولم يعد للتأثير الوثني أثر فيها[٢]. وأقيمت المقابر قرب المساجد لــدفن موتاهم وأصبحت من تقاليدهم المنقولة اليهم من البلاد الإسلامية بحســب روايــة السعدي[٣]. فقد كانت هناك مقابر خاصة بالعائلة الحاكمة قرب المسجد الكبير فــي كاو وأخرى للعامة والفقهاء والعلماء[٤].

٤-الوسم:-

هو الكي بالميسم أي المكواة التي تحمى بالنار ثم يكــوى بهــا[٥]. وهنــاك نصوص تؤكد على وسم سكان السودان الغربي وجوههم فيقول الإدريسي في ذلك: "... والغالب عليهم الكفر أو الجهالة وجميع أهل لملم أذا بلغ أحدهم الحلــم وســم وجهه وصدغاه بالنار وذلك علامة لهم"[٦]. وذكر أبن خلدون أيضاً عــنهم قــائلاً: "ويكتوون في وجوههم وأصداغهم..."[٧].

ولم يكن الهدف من الوسم للتميز بين قبيلة وأخرى فحسب بل كانوا يعتقدون أنهُ يمكن التخلص من الآثام وتطهير النفس من الذنوب بوساطة الكي بالنار وكانت أيضاً تحمل لدى بعض النسوة معنى جمالياً[٨].

---

(١) الرحلة، ج٢، ص٥٤٠.

(٢) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص٢٦٧.

(٣) تاريخ السودان، ص٥٦؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٧١.

(٤) كعت، تاريخ الفتاش، ص١١٩؛ زبادية، مملكة سنغاي، ص١٢٨؛ قداح، أفريقيا الغربية، ص٦٤.

(٥) ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٩٢٧.

(٦) نزهة المشتاق، ج١، ص١٩.

(٧) المقدمة، ص٤٤٥.

(٨) حسن، يوسف فضل الله، الشلوخ أصلها ووظيفتها في الســودان، (الخرطــوم، ١٩٧٦م)، ص٣٢.

وقد رسم السودانيون أيضاً الشلوخ[١]. علماً بأنها كانت تزين وجه الرجال والنساء على حد سواء[٢]. ألا أن هذا العمل قد خف بالتدريج وذلك بسبب التقدم الحضاري الذي شهده السودان الغربي بفضل الإسلام[٣].

٥-السحر:-

اشتهر أهل السودان الغربي بأيمانهم بالسحر ويعود ذلك الى عوامل نفسية والهامات تجمعت على مدى الأيام لجهل السودان الحضاري وكذلك افتقارهم الى معتقد ديني واضح فكانوا دائماً يخافون من المستقبل ولم يكن لهم ملاذ غير السحرة[٤]. حيث كان هناك من يمشي بين الناس ويناجي كل من يلقاه ألا أريك رقية العين من أجل المحبة والنكاح ودخلة القلوب والقبول عند السلاطين وغير ذلك من أمور السحر والشعوذة فقد كان أهل السودان يذهبون للسحرة والكهان ويصدقونهم[٥]. وكثيراً ما مارست النسوة السحر فمثلاً نساء كاو كن مشهورات بالسحر وقد وصفهم الادريسي: "ينسب اليهن السحر ويقال أنهن به عارفات وبه مشهورات وعليه قادرات..."[٦]. فهناك من يعلل هذهِ الظاهرة بأن المراءة كان لها مركز مادي كما للرجل وتقوم بدورها الاقتصادي والاجتماعي كالرجل تماماً فاكتسبت بذلك حق المساواة في التمتع بالقوة السحرية وممارسة السحر ولهذا يرث الأبناء من أباءهم وأمهاتهم هذهِ القوة الفطرية[٧]. وذكر القلقشندي عن أنتشار

---

(١) الشلخ وهي تعني رسم علامات هندسية على الخدود بالسكين وشلخهُ شلخاً بالسيف أي هبره، أنظر ابن منظور، المصدر السابق، ج٢، ص٢٥١.

(٢) حسن، يوسف فضل الله، الشلوخ، ص٣٧.

(٣) الألوري، موجز تاريخ نيجريا، ص١٢٤.

(٤) نوري، دريد عبد القادر، تاريخ الإسلام، ص٤٥.

(٥) السيوطي، الحاوي للفتاوي، ص٣٤٣.

(٦) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٧.

(٧) باسبليوس، السحر، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٢٦، ج١، ص٧٣.

السحر في مملكة مالي أن: "أهل هذهِ المملكة كثير فيهم السحر ولهم به عناية حتى أنهم كانوا يصيدون الفيل بالسحر حقيقة لا مجازا..."[١].

كما ظهر بين أهل مالي أيضاً من أدعي أنهُ يعلم الغيب وذلك عن طريق ضرب الرمال ورصد النجوم[٢]. أو استحضار الجن من العالم الأخر أو أصوات الطير وحركتها وترجمتها الى أشياء معينة ومنهم من كان يزعم أنهُ يكتب لجلب المنافع كسعة الرزق والمحبة والانتصار على الاعداء في الحروب[٣].

إلا أن المؤثرات الإسلامية ساهمت في تخليهم عن كثير من العادات المحرمة مثل السحر الذي كان له شأن كبير في الحياة السودانية لأن السحرة كانوا يشرفون على المعابد[٤]. وقد تغيرت تلك النظرة للسحر والسحرة فحاكم إقليم مالي الذي أسلم في (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) عرف عجزهم عندما فشل سحرة بلاده في الاستسقاء بالقرابين فأمر "بكسر الدكاكير وإخراج السحرة من بلاده"[٥].

وبقيت اثار السحر في السودان الغربي على الرغم من محاربة الإسلام له حتى في عهد دولة سنغاي حين حكم أسكيا محمد قضى على كل ما يتعلق بالسحر واعتبرها أوهاماً لا تتفق مع ما جاء به الإسلام ويعود ذلك الى اتصاله بالعلماء والفقهاء في المناقشات التي كانت تدور بينه وبين الفقهاء[٦]. فقد قام فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي بمحاربة بعض السلوكيات والعادات التي كانت منتشرة في مملكة مالي وسنغاي فقد كان لهم موقف صارم تجاه السحرة ومن يتعاملون

---

(١) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٠.

(٢) الدالي، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص٧٦-٧٧.

(٣) المغيلي، محمد بن عبد الكريم، أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، ١٩٧٤م)، ص٦٢.

(٤) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٢-٨٧٦؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٧.

(٥) البكري، المصدر السابق، ج٢، ص٨٧٦.

(٦) كعت، تاريخ الفتاش، ص٦٨-٦٩.

معهم فكانوا يحاولون أقناعهم بالبعد عن السحر فإذا فشلوا في أقناعهم لجأوا الى الحكام لتحريضهم على هؤلاء السحرة ويطالبونهم بقتل هؤلاء السحرة نظراً لخطورتهم ونفوذهم لدى الأهالي(١).

٦-الزواج:-

كان الزواج في المجتمع الافريقي قبل مجيء الإسلام الى تلك البلاد غير منظم ويستند الى مواريث فوضوية بعيدة عن التنظيم فليس للرجل والمرأة زوج معين بذاته بل أن حياتهم أشبه بحياة حيواناتهم التي يرعونها(٢). أذ أن قبائل السودان الغربي لم يكن لدى الكثير منهم معرفة احترام للعلاقات الزوجية المبنية على الزواج ولم تعره أهمية فالعلاقات الزوجية بين رجالهم ونسائهم كانت عبثية تقوم على إرضاء الغريزة الجنسية الخالية من رباط الزوجية(٣). فادت هذه الفوضى في العلاقات غير مرتبطة بقانون معين الى تكاثر أفرادهم فالعلاقات بين الجنسين مشاعة وليس لها نظام يحكمها أو قانون يضبطها(٤).

فقد كان الزواج محصوراً داخل العشيرة الواحدة حفاظاً على تماسكهم وكان الرجل في تلك المناطق يسمى بأسم أمه ثم بأسم عائلة أمه أو قبيلتها فقد كانت الأم هي المسيطرة على النظام العائلي(٥). بحيث أصبحت القاعدة المتبعة هي الوراثة من ناحية الأم وقد علق القلقشندي على هذا الموضوع بقوله: "على قاعدة العجم في تمليك البنت وأبن البنت"(٦).

---

(١) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص٧٥؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٠؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين دولة بني مرين ومملكة مالي، ص٣٥٢.

(٣) الادريسي، نزهة المشتاق، ص١٩-٢٢؛ الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٥٩-١٦٠؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٢.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص١٩-٢٢؛ الدالي، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص٤٦؛ الدالي، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٢.

(٥) حسين مؤنس، ابن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، (القاهرة، د.ت)، ص٢٣٠؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص٢١٤؛ المهندس، فريد، العلاقات بين دولة مرين، ص٣٥٢.

(٦) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٢.

إلا أنهُ عندما شاع الإسلام بينهم واحتكوا بالمسلمين المقيمين بينهم تغيـــرت الأحوال وضبطت العلاقات الزوجية مما أدى الى تكوين الأسر المترابطـــة التـــي يحرص أفرادها على الالتزام بالحقوق والواجبات الزوجية(١). ومع مرور الـــزمن بدأ اضمحلال هذه العادات وترك الأهالي المسلمون أســـمائهم الســـابقة واكتســـبوا أسماء عربية وأصبح الفرد ينسب الى أبيه(٢). فالإسلام بإلغاء انتساب الفرد الـــى الام لم يقلل من شأن المرأة بل جعل لها مكانه لائقة في المجتمـــع وانتشـــلها مـــن الضياع والتقسيم الأسري ويمكن القول أن أسم الام أصبح نادراً في سنغاي وليس له سوى تأثير معنوي وأصبح خط الأبوة هو الشائع وكانت التأثيرات الاجتماعية العربية الاسلامية في مجال عادات الزواج ونظام الاسرة اكثر وضوحاً فقد تقيـــد مجتمع السودان الغربي الى حد كبير بضوابط الشرع الإسلامي في عدد الزوجات فقد رفع الإسلام من مكانة المرأة وأحاط الأسرة بسياج من الحصانة وكفل لأبنائها التربية الصحيحة ووضع نظاماً عادلاً لتوزيع الثروة بين افراد الأسرة جميعـــاً أذا مات أحد أفرادها(٣). لأنهم كانوا يورثون الابن الاكبر فقط جميع التركـــة ويحـــرم بقية الابناء منها(٤).

٧-الاحتفالات بالأعياد الاجتماعية والدينية:-

كان للقبائل السودانية قبل إسلامها شعائر وأنظمـــة دينيـــة متعـــددة، فلهـــم احتفالات دينية مهيبة لألهتهم وأسلافهم سنوية وموسمية وفـــي هـــذه المناســـبات يشربون الخمور ويرقصون ويتلون الأدعية ويقدمون الضـــحايا والقـــرابين، وقـــد تطول مدة هذه والاحتفالات أو تقصر حسب أهميتها، فكانوا عند جني المحصـــول يقيمون احتفالا لأله الحصاد، وعند المطر يقيمون احتفالا لألـــه المطـــر وهكـــذا،

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٦٩٥؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، الســـودان الغربـــي، ص٢٦٢.

(٢) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية، ص٩٤؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٣٥٣.

(٣) المهندس، فريد، العلاقات بين دولة بني مرين ومالي، ص٣٥٣.

(٤) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٦.

وهناك أيضاً احتفالات الولادة وتلقين الاسرار والدفن والجنائز يدعون فيها أرواح أسلافهم تبركا واتقاء لشرهم[١].

كما كان لمجتمع السودان الغربي نظم دينية دقيقة فهناك الكاهن الاكبر وهو الزعيم الروحي وغالباً الدنيوي أيضاً للقبيلة فيقوم بتوجيه الحياة الدينية لها وهو وسيط بين الأحياء وبين أسلافهم الموتى[٢].

وقد غير الاسلام شعائرهم وأنظمتهم الدينية و أبقى بعضها لكن الاسلام غير مظهرها وغاياتها وصبغها بصبغته الراقية، فألغى احتفالات الآلهة والأسلاف إذ لا معبود سوى الله وبدل التأثير الاسلامي تلك الاحتفالات بعيدي الفطر والأضحى والمناسبات الدينية كالاحتفالات بالمولد النبوي وليلة القدر وليلة النصف من شعبان. وعاشوراء فوجدوا فيها خير بديل عما تركوه، وأبقى الإسلام على حفلات الزواج والولادة ألا أنهُ جردها من طابعها الوثني شكلاً ومضموناً ونبذ فكرة القربان وجعل الأضاحي والصدقات خير بديل عنها[٣].

فمن خلال الهجرات انتقلت مظاهر الاحتفال بهذه الأعياد سواء كانت الرسمية أو الدينية من بلاد المغرب الى بلاد السودان الغربي بحيث أصبحت الاحتفالات والأعياد متشابهة بين المنطقتين حيث كان الناس يرتدون أحسن ثيابهم في الأعياد والمناسبات[٤].

فكانت الموسيقى والغناء والرقص وشتى صنوف الطرب هي من الفنون التي بلغ فيها أهالي السودان الغربي درجة معتبرة في الحذق والمهارة وقد لاحظ المؤرخون والجغرافيون العرب ولع الافريقيين الشديد بمثل هذه الفنون فقد وصفهم

---

(١) النقيرة، محمد عبدالله، التأثير الاسلامي في غربي افريقيا، ط١، (الرياض، ١٩٨٨م)، ص٢٤٣؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات بين الدولة المرينية، ص٣٣٧-٣٣٨؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٦٤.

(٢) المهندس، فريد عبد الرشيد، المرجع السابق، ص٣٣٨.

(٣) النقيرة، محمد عبد الله، التأثير الاسلامي، ص٢٤٤-٢٤٥؛ رشيد عبد الفتاح، العلاقات، ص٣٣٨.

(٤) رشيد عبد الفتاح، المرجع نفسه، ص٣٣٨.

القلقشندي بأنهم بارعون في الغناء والرقص والموسيقى[١]. وبترسيخ مفاهيم العقيدة الإسلامية اختفت بعض المظاهر الصاخبة وما تحويه من جلبة وضوضاء كانت تقترن بالحفلات الوثنية ولم يعد هناك أي مدلول لتلك العبارة الشهيرة التي عرفت عن افريقيا الوثنية "إذا غربت الشمس رقصت أفريقيا"[٢].

ومن هذه الاحتفالات نذكر:-

أ- الاحتفالات الدينية:-

كانت المناسبات الاجتماعية كالاحتفالات بالأعياد الدينية في بلاد السودان الغربي لاسيما الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى والاحتفال بشهر رمضان والمولد النبوي تشبه الى حد كبير في أسلوبها نظام الاحتفال السائد في الدول العربية الإسلامية[٣].

١. الاحتفال بالمولد النبوي:-

كان الاحتفال بالمولد من ضمن التأثيرات الاجتماعية التي انتقلت من المغرب الى بلاد السودان الغربي[٤]. حيث حرص أهلها على الاحتفال بالمولد النبوي يوم (١٢ ربيع الأول) من كل عام ويحظى هذا الاحتفال بمزيد من الاهتمام والتبجيل تقديراً وتبركاً بذكرى النبي محمد (صلى الله عليه واله وسلم) حيث يقوم الفقهاء في هذا الاحتفال بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد وكذلك الدروس الدينية حول سيرة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) في المساجد والجوامع، كما تنشد المدائح النبوية بأبيات عربية في ساحات المساجد حتى الثلث الأخير من الليل[٥].

---

(١) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٢٤؛ امطير سعد، التأثير العربي الاسلامي، ص٢١٢-٢١٣.

(٢) أمطير سعد، المرجع نفسه، ص٢١٣.

(٣) المهندس، فريد، العلاقات بين دولة بني مرين ومالي، ص٣٤٢.

(٤) المهندس، فريد، العلاقات بين دولة بني مرين ومالي، ص٣٤٣.

(٥) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٩؛ التنبكتي، نيل الأبتهاج، ص١٦؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٣٤٤؛ زمان عبيد، تنبكتو، ص١٦٥؛ محمد، سحر عنتر، فقها المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغاي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ٢٠١١م)، ص٢٢٢.

وكانوا يقومون على عادة أهل المغرب بتقديم الطعام للمادحين لشدة محبتهم لمدح الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) وكانوا في يوم المولد النبوي يتوجهون الى جامع سنكري لمشاركة الفقهاء في دعاء ختم القرآن الذي يختم أحياءً لذكرى المولد النبوي الشريف[١].

٢. الاحتفال بشهر رمضان:-

يظهر التأثير أيضاً في احتفال أهالي السودان الغربي بشهر رمضان فقد حرصوا على أحياء لياليه بالصلاة وقراءة القران والدعاء وكانوا يتوافدون من كل أتجاه صوب مدينة تنبكت حيث يلتقون في مسجد سنكري لأحياء ليالي رمضان حيث جرت العادة أن يكلف أحد الفقهاء بتدريس كتاب الشفاء للقاضي عياض في كل يوم من أيام رمضان[٢]. حيث يبقى معظم الناس مع رجال الدين حتى الصباح يقرأون القرآن ويفسرون الآيات مع أقامه الصلاة حتى طلوع الفجر[٣].

ويقول كعت ومن عادات أهل تمبكتو الاحتفال في شهر رمضان بأن يأدوا الصدقات والهدايا وتفرق بين الناس، واذا كانت ليلة القدر يطبخ بعض كبار الناس الطعام ثم يجعل الأكل في المائدة أي في القدح الكبير ويجعلها فوق رأسه وينادي قراء القرآن وصبيان الكتاتيب يأكلونه والقدح فوق رأسه وهو قاعد وهم قائمون يأكلون تعظيماً لهم[٤].

كذلك حرصوا على الاعتكاف في العشر الأواخر من شهر رمضان وكان الاعتكاف موجود في كل مساجد المملكة[٥]. وكان لشهر رمضان قدسية عندهم حيث كانوا لا يغيرون فيه ولا يتعرضون للقوافل في هذا الشهر[٦].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان ، ص١٠٢؛ سحر عنتر، فقهاء المالكية، ص٢٢٢.

(٢) السعدي، المصدر السابق، ص١٥١؛ سحر عنتر، المرجع السابق، ص٢٢٢.

(3) Trimigham. J.S, the in flounce of Islam upon Africa, (London: 1968), P67؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٦٦

(٤) تاريخ الفتاش، ص١٨٠؛ زامن عبيد، المرجع السابق، ص١٦٦.

(٥) سحر عنتر، فقهاء المالكية، ص٢٢٣.

(٦) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٤٢.

٣. الاحتفال بعيدي الفطر والأضحى:-

عرف السودانيون بحبهم الكبير للمرح والطرب لذا استثمروا عيدي الفطر والاضحى في أرواء ذلك الطابع والتعبير عن صدق إسلامهم، حيث كان الأهالي يُعدون لهذين العيدين أهتماماً خاصاً وقد شاركهم ابن بطوطة احتفالاتهم بهما فأثنى عليهم في الاستعداد لهما بالثياب الحسنة[١]. فقد أهتم السودانيون بعيدي الفطر والأضحى وكان الناس يخرجون الى الجوامع للصلاة ويحضر الملك الصلاة مرتدياً الملابس البيض وعلى رأسه الطيلسان ويحضر معه الصلاة عادة الفقهاء والعلماء وكبار رجال الدولة وعامة الناس ويلقي الخطيب الخطبة باللغة العبرية ويترجمها الترجمان الى اللغة المحلية[٢]. ثم يقوم الناس بتبادل التهاني بمناسبة العيد وفي عيد الأضحى تذبح الذبائح وتوزع الصدقات[٣]. حيث كان السودانيون في تلك المناطق لا يتكلمون اللغة العربية أما المسلمون فيها من العرب والبربر كانوا يتكلمون اللغة العربية، وقد أشار أبن بطوطة الى الدور البارز للمترجم في بلاط الملك والذي يتمثل في ترجمة الكلام بين السلطان والغرباء الذين لا يجيدون لغة البلاد فكان كالأمين الأول للملك، كما أشار الى تهافت السودانيون على المساجد في صلاة الجمعة وحرصهم على احتلال الصفوف الأولى، وعلى الرغم من ذلك كانوا عاجزين عن فهم خطبة الجمعة التي تلقى على مسامعهم باللغة العربية ولذلك كان الخطيب في كل مسجد من مساجد البلاد مضطراً الى الاستعانة بمترجم[٤]. وكانت الفعاليات مستمرة بمناسبة العيد فبعد الصلاة يقوم السودانيون بأداء الفعاليات التي تثير الضحك والفكاهة أمام السلطان فكان يأتي الصبيان فيلعبون ألعاباً بديعة تتسم بالخفة والرشاقة ويلعبون بالسيوف ثم يوزع السلطان

(١) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٢؛ محمد فتحي، ابن بطوطة، ص٣٢٤-٣٢٥؛ المهندس، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٦٦.

(٢) ابن بطوطة، المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٢؛ محمد فتحي، المرجع السابق، ص٣٢٦.

(3) Tirmmingham, the influence, P65.

(٤) الرحلة، ج٢، ص٥٣٥؛ احمد الشكري، الإسلام والمجتمع السوداني، ص٢٩١؛ محمد فتحي، أبن بطوطة، ص٣٢٦.

عليهم صرة فيها مائتا مثقال من التبر على حسب مراتبهم[١]. وكان الشعراء يلقون قصائد شعرية في صورة مضحكة ويرتدون الملابس التنكرية المصنوعة من الريش[٢]. وقد سادت هذهِ المظاهر في منطقة السودان الغربي حتى في عهد مملكة سنغاي فقد روى السعدي عن سلاطين سنغاي وحياتهم ومواكبهم وعاداتهم واحتفالاتهم واحترام الناس لهم[٣].

وكان من بين الأعياد الدينية الأخرى التي تجري فيها مراسيم الابتهاج هو رأس السنة الهجرية والتي تصادف في الأول من محرم من كل سنة[٤].

ب- الاحتفال بمراسيم الزواج:-

حيث كانت تقام الولائم وتجري الاحتفالات حسب الطريقة الإسلامية المتمثلة بالخطبة والقبول ثم الإعلان وقراءة سورة الفاتحة عند إعلان القبول، ثم تليها الاحتفال بليلة العرس فتقام ليلة الحنة تليها جلب الزوجة من بيت ذويها وهذهِ التقاليد الإسلامية انتقلت اليهم من المغرب الإسلامي وبعد جلب الزوجة تُقام الوليمة التي يشترك فيها جميع الأهل والأقارب والأصدقاء[٥].

ويقول ترمنجهام: إن المظاهر الإسلامية من أعياد ومناسبات ونظم اجتماعية وعادات قد رسخت في أفريقيا حتى في حفلات الزواج ومراسيم الطلاق ورعاية الأطفال والعلاقات المشتركة والاجتماعية بين العائلات[٦].

٨-المأكل:-

كان الطعام الذي يأكله الأهالي في بلاد السودان الغربي يختلف باختلاف طبيعة الموارد المتاحة، فقد كانت الأغذية الأساسية للعامة هي الذرة والرز وكان

---

(١) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٢-٥٣٣.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٣.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٨١؛ حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٢٠٥.

(٤) وناس، زمان عبيد، تمبكتو، ص١٦٦.

(٥) زمان عبيد، كاو، ص١٧٤؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص١٦٤.

(6) Trimingham, the flounce, P72-73.

شائعاً بين سكان الريف العيش على منتجات الماشية وأهمها الأغنام والماعز[(١)]. وأما سكان المناطق القريبة من مصادر المياه فكانوا يصيدون الأسماك والحيتان والسلاحف التي يقددون لحمها[(٢)].

وكان طعام كل مدينة من مدن بلاد السودان الغربي يختلف عن طعام المدن الأخرى حسب اختلاف البيئة ففي مدينة تنبكت التي كان تكثر فيها المواشي ومن ثم أعتمد طعام أهلها على اللحم والحليب وأستخدموا في طعامهم السمن واللبن بشكل كبير أما مدينة جني فقد كان يكثر فيها السمك نظراً لوفرته في نهر النيجر[(٣)]. وكان أهل جاو يأكلون الأرز واللبن والدجاج والسمك[(٤)].

إلا أن كثير من مناطق بلاد السودان كان يأكل أهلها الجيف والكلاب والحمير فيذكر أبن بطوطة في حديثه عن الخروج من السودان الى أنهُ عندما كان في قرية "قرى منسا" أخبره تابعه بأن الجمل الذي كان يركبه مات فخرج أبن بطوطة ينظر اليه فوجد السودان قد أكلوه كعادتهم في أكل الجيف[(٥)]. ولعل هذا كان في مدينة لا يسكنها مسلمون لأن ابن بطوطة كان يكثر من ذكر تدينهم وحرصهم على الصلاة[(٦)].

أما عن استخدام الملح في الطعام فقد كان غال الثمن ونادر ومعدوم لديهم وكانوا لا يضعونه على موائدهم ولكنهم عندما يأكلون الخبز كانوا يمسكون بقطعة من الملح في أيديهم ويلعقونها[(٧)].

---

(١) ابن الفقيه، البلدان، ص٨٤؛ العمري، مسالك الابصار، ص٦٢؛ أبن حوقل، صورة الأرض، ص٩٨.

(٢) الإدريسي، نزهة المشتاق، ص٢٠؛ مجهول، الاستبصار، ص٢٢٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٦.

(٣) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣٢٠.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٤٤٦.

(٥) الرحلة، ج٢، ص٥٣٦-٥٣٧؛ محمود الشرقاوي، رحلة مع ابن بطوطة، ص٤٠١؛ طرخان، دولة مالي، ص١٦٤؛ محمد فتحي، أبن بطوطة، ص٣٣٩.

(٦) محمود الشرقاوي، المرجع السابق، ص٤٠١.

(٧) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣٢١.

وقد نقل العرب والبربر الى مجتمع السودان الغربي العديد من عاداتهم في طريقة الأكل ولاسيما فيما يتعلق بوجبات الطعام اليومية وتتمثل في وجبة العشاء حيث كان السودان قبل ذلك يكتفون بشرب اللبن في العشاء، أما وجبة الإفطار فكانت تتميز بالأطعمة الدسمة مثل اللحوم(١). وكان طعامهم يعتمد أيضاً على صيد الجاموس البري والفيلة والتماسيح التي كانوا يصطادونها بالأسهم والرماح(٢).

ومن الأطعمة التي انتقلت الى بلاد السودان اكلة المعمول المغربي من القمح والشعير والذرة وهي الأكلة المفضلة والرئيسة على موائدهم فضلاً عن لحم الغنم المشوي أو الملفوف في شرائح من العجين ومعه أصناف من الأطعمة من دقيق القمح(٣).

وقاموا كذلك بصنع الأطعمة الطيبة مثل الجوزنيقات والقاهريات والكنافات والقطائف(٤). ويبدو أن هذه الحلويات قد جاءت الى بلاد السودان من المغرب والأندلس ومصر فالقاهريات والكنافات والقطائف الى اليوم تصنع في المغرب(٥).

٩-التصاهر وظهور جيل من المولدين:-

للهجرات المستوطنة في بلاد السودان الغربي نتائج عديدة ومتنوعة وإفرازات مهمة وذلك لأن المهاجرين عندما استوطنوا الحواضر والأرياف والبوادي السودانية لم يشعر كثيراً منهم بحنين الى مواطنهم الأولى فنفذوا الى بنية المجتمعات المحلية. وأقبل كثير منهم الى التصاهر مع المحليين فنتج عن ذلك أجيال جديدة من المولدين ذات خصائص جنسية داكنة اللون(٦). على أن التصاهر

---

(١) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، ص٦١٢.

(٢) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٣٢٢.

(٣) الأرواني، السعادة الأبدية، ص؛ الدالي، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص٢٨.

(٤) مجهول، الاستبصار، ص٢١٦؛ الادريسي، نزهة المشتاق، ص٣٠.

(٥) الدالي، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري، ص٣٢.

(٦) ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص٣٤٩، ج٢، ص١٩٢.

لم يحدث في فترة واحدة أو على وتيرة واحدة فقد كان له تاريخ طويل في السودان الغربي[١]. ساعدت عدة عوامل على تنشيطه وتشجيعه ومنها:-

١. يسر وسهولة التصاهر معهم فقد كان كثير من البربر المقيمين في السودان الغربي يرحبون بذلك الزواج ويرغبون فيه "فمن أراد التزوج منهن سكن بهن في أقرب البلاد إليهن"[٢]. كما شجع بعض ملوك وأعيان السودان الغربي هؤلاء المهاجرين على الزواج من قريباتهم[٣]. فأثمرت تلك المصاهرات عن سلالات جديدة تحمل في عروقها دماء المهاجرين[٤].

٢. على الرغم من الاعتقاد الشائع لدى الكثير من خلو السودان الغربي من النساء الجميلات، الا أن المصادر أثنت ومنذ فترة مبكرة على كثير من نسائه وعلى ما يتمتعن به من قوام متناسق وتقاسيم الوجه الجذابة التي تشد الناظر[٥]. فقد وصفت نساء كوكو بأنهن "كن يرقصن بالشعور الجثلة المسترسلة"[٦]. كما تميزت نساء وجواري إقليم غانة بالجمال[٧]. فقد "جعل الله فيهن من الخصال الكريمة في خَلقهن وخُلقهن فوق المراد من ملامسة الأبدان وتفتق السواد وحسن واعتدال الأنوف وبياض الأسنان وطيب الروائح"[٨]. فكان هذا الثناء عاملاً مهماً ومشجعاً للمهاجرين على الزواج من السودانيات.

٣. أرتبط كثير من الزائرين للسودان الغربي بالعديد من الأعمال التجارية والعلمية طويلة الأمد حيث أمضى العديد منهم عشرات السنين فيه[٩]. فقد ارتبط كل من

---

(١) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٥٥.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٤٠.

(٣) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٩؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٥٦.

(٤) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع نفسه، ص٢٥٦.

(٥) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع نفسه، ص٢٥٦.

(٦) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٨٣.

(٧) الغرناطي، تحفة الألباب، ص٤٢.

(٨) الشريشي، شرح مقامات الحريري، ج١، ص٣٣٤-٣٣٥.

(٩) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٥٦.

عبد الواحد وعلي أبناء يحيى المقري بأعمال تجارية متعددة في مدينة ولاته مما دفعهم الى الاستيطان فيها "فاتخذوا بهذهِ الأقطار الحوائط والتيار وتزوجوا النساء واستولدوا الإماء"[١]. وأقام الشيخ سعيد الدكالي في مالي "خمسة وثلاثين سنة واضطرب في هذهِ المملكة"[٢]. فقد اضطرت هذهِ الإقامة الطويلة هؤلاء الزائرين وغيرهم من المقيمين الى الزواج من نساء محليات أو التسري بالإماء منهن[٣].

٤. ونظراً لكون الإسلام يرسخ القيم النبيلة التي تدعو الى المساواة بين البشر "إذ لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى". وبذلك زالت الفوارق اللونية والطبقية بين العرب وأهل السودان الغربي وتزوج المهاجرين العرب والبربر من زنجيات من أهالي المنطقة[٤].

وقد ساهمت تلك العوامل في بروز عناصر جديدة لجيل من المولدين يحمل الخصائص الزنجية والعربية والبربرية، فالمصادر العربية ومنذ فترة مبكرة تتحدث عن تجمعات سكانية مهاجرة يسري في أبنائها الدم العربي والبربري والسحنة الزنجية حيث قيل عن أفراد أحدى القبائل البربرية المقيمة في السودان الغربي بأنهم: "سودان بربر قد أحرقت الشمس جلودهم وغيرت ألوانهم ولسانهم لسان البربر"[٥]. وقد تأثرت قبيلة لمطة البربرية فظهر فيها جيل من المولدين يحمل الاوصاف الزنجية فهم "أشبه البربر بالسودان"[٦]. والواقع أن كثيراً من المقيمين في السودان الغربي من عرب وبربر سرت فيهم السحنة المحلية ولم يعد يُعرف أصلهم الا باللغة التي ظلوا متمسكين بها أو الزي الذي حافظ عليه أحفادهم

(١) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص١٩٢.
(٢) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٩.
(٣) الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السودان الغربي، ص٢٥٧.
(٤) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي الإسلامي، ص٢١٥.
(٥) الادريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٧؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، المرجع السابق، ص٢٥٧.
(٦) الدمشقي، نخبة الدهر، ص٢٤٠.

فأحد امراء البربر في بلاد السودان وصفته المصادر بأنه "رجل طويل اسود اللون حالكه منقباً أحمر بياض العينين كأنهما جمرتان أصفر باطن الكفين كأنما صُـبغتا بالزعفران عليه ثوب مقطوط مُتلفع برداء ابيض"(١).

والواقع أن الأبناء الذين ولدوا من هذا الزواج المختلط ساهموا في تركيـز سلالات تجارية وعلمية عربية وبربرية وسودانية بالسودان الغربي وحتى سلالات شريفة فالشريف أحمد الصقلي ترك أبناء وأحفاد في السودان الغربي يعدون مثلـه شرفاء(٢). وذكر أبن بطوطة أن ابن الفقيه كان متزوجاً من أبنة عم السلطان المالي منسا سليمان(٣). وقد ذكر السعدي أن الفقيه محمد بغيغ هو الذي كان يفصل بـين المولدين والمسافرين(٤).

وقد ذاب مهاجرون كثر في السودان الغربي ولم تعد ملامحهـم الجنسـية تختلف عن المحليين فقد وصف ابن الخطيب أبناء الشاعر الأندلسي أبي إسـحاق الساحلي من زوجاته وإمائه المحليات بأنهم كالخنافسة لشدة سوادهم(٥). ولابـد أن العديد من المولدين انصهروا في المجتمعات المحلية التي ولدوا فيها ولم تعد تظهر فيهم السحنة العربية او البربرية، حيث قال أحد شعرائهم في فترة لاحقـة "نحـن عرب سودتنا الأمهات(٦). ولقد كان من أهم نتائج التصاهر انتساب كثير من هؤلاء المولدين الى العرب وذلك بدعوى ان أسرة عربية لهـا أهميتهـا تزوجـوا مـن المحليات ونتج عن ذلك التصاهر أسرة تزعم الأصل العربي(٧).

---

(١) ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص١٤٣؛ الهويمل، عبد العزيز بن سعد، السـودان الغربي، ص٢٥٧.

(٢) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٩٧.

(٣) الرحلة، ج٢، ص٥٢٩.

(٤) تاريخ السودان، ص١١٨.

(٥) الإحاطة، ج٢، ص٣٤٩.

(٦) الخليل النحوي، أفريقيا المسلمة، ص٢٤.

(٧) المرجع نفسه، ص٢٢.

ومن ثم تنامت في السودان الغربي نزعة الانتساب الى الأصـــل الشـــرقي نتيجة لهجرة القبائل الى بلاد السودان الغربي واقامتهم بين الأهالي لـــذا انتســـبت العديد من الأسر فيه الى أسر عربية وتكاثر اعداد المنتمين منهم الى أصل شريف ولاسيما بعد حج منسى موسى سنة ٧٢٤هـــ وجلبه عدداً من الأشـــراف بعـــوائلهم معه[١].

وفي المقابل فأن العديد من القبائل المحلية تأثرت ملامحها الجنســـية بـــذلك التصاهر فظهر في كثير منهم الصفات الحسنة مما أدى الى تميزهم عن الزنـــوج الجنوبين بالجمال والشعور المسترسلة[٢].

---

(١) كعت، تاريخ الفتاش، ص٣٧.

(٢) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٨٣؛ الغرناطي، تحفة الالباب، ص٤٢.

الفصل الرابع

((الأثار العمرانية والعلمية والدينية لهجرة القبائل العربية والبربرية إلى بلاد السودان الغربي))

المبحث الاول: الأثار العمرانية.

المبحث الثاني: الأثار العلمية.

المبحث الثالث: الأثار الدينية.

المبحث الاول

الأثار العمرانية

ان الفن المعماري الاصيل للسودان الغربي قبل خضوعه للمؤثرات العربية الاسلامية هو البناء المستدير المغطاة سطوحه دائما بالأخصاص أو القش على شكل هرمي(١)، وكذلك كانوا يبنون منازلهم من اغصان الأشجار وجلود الأبل على هيئة خيام(٢)، حيث كانت اهم الموارد المستخدمة في البناء هي الطين لصنع اللبن المجفف وطريقة البناء كانت تدعى البالستا(٣)، وهي ان تبنى بمقدار نصف ذراع بالطين وتترك الى ان تجف وبعدها يبنى عليه نفس المقدار وهكذا الى النهاية(٤). وكانت السقوف مغطاة بالقش(٥)، او بالخشب والقصب واغلبها على شكل "قباب او جملونات كالأقباء وأرضها تراب مرمل..."(٦). وقد وصف السعدي بيوتها بأنها كانت: "زريبات الأشواك وبيوت الأخشاش..."(٧). وكان السبب الذي دفع السودانيون الى بناء بيوتهم بهذا الشكل الهرمي هو عامل التكيف للمناخ ولاسيما في موسم سقوط الامطار بغزارة(٨).

وأما بيوت كبار رجال الدولة والأغنياء فكانت من الحجارة وخشب الأكسيا الغالي الثمن وكان لا يسمح في بلاد التكرور للجميع بالبناء "بالجبص والأجور الا ملك أو من أذن في ذلك من أهل الدقة والتخصص"(٩).

---

(١) زبادية، عبدالقادر، الحضارة العربية والتأثير الأوربي، ص٨٧- ٨٨؛ الدالي، الهادي المبروك، التاريخ الحضاري، ص٢٦؛ بولم، الحضارات القديمة، ص٢٢٤؛ أمطير سعيد، التأثير العربي، ص ٢٠.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٣٢٩.

(٣) القلقشندي، صبح الاعشى، ج٥، ص٢٧٣.

(٤) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١.

(٥) قداح، أفريقيا الغربية، ص ١٥٣.

(٦) العمري، المصدر السابق، ج٤، ص١١.

(٧) تاريخ السودان، ص٢١.

(٨) زبادية، مملكة سنغاي، ص١٦٥؛ غيث، أمطير، التأثير العربين ص٢٠٢.

(٩) أبن سعيد، الجغرافيا، ص٨.

ومع دخول العرب والبربر الى بلاد السودان الغربي أثروا في النواحي الفنية والمعمارية، حيث أن الطابع الفني المعماري كان واضحاً في المنشآت العمرانية المختلفة في المنظمة وبقول السعدي عن تنبكتو بأنها: "... ما انتها العمارة ألا من المغرب"[١].

وكان أوضح وصف للعمران في بلاد السودان الغربي ما ذكره البكري عندما وصف مدينة غانة العاصمة التي كانت تنقسم الى قسمين مدينة وثنية ومدينة اسلامية كان فيها أثنا عشر مسجداً وتشير التنقيبات التي أجريت في مناطق عدة الى أن المدينة كانت مأهولة بالسكان بحيث المنازل كانت متجاورة ومتقاربة جداً وفيها فضاءات واسعة وأما شوارعها فكانت ضيقة[٢]. وهناك بعض البنايات التي اكتشفت والتي لم تكن صغيرة بمقاييس ذلك الزمان حيث تتكون من تسع غرف[٣]. ولكن بعد سقوط غانة على يد المرابطين قام ملوكها المسلمين من السوننك ببناء الابنية على الطراز العربي الاسلامي فقد زين قصر الملك الذي بني في عام (٥١٠هـ/ ١١١٦م)" بضروب من النقوش والأدهان وشمسيات الزجاج"[٤]. وتم العثور في هذه المنطقة على ثلاث وخمسين قطعة حجرية عليها آيات قرآنية باللغة العربية وأربع وعشرون قطعة برسوم مختلفة[٥].

ولكن يمكن القول بأن التطور الذي حدث في العمران في السودان الغربي كان واضحاً بشكل كبير في دولة مالي واكثر مما هو في دولة غانة، وذلك بسبب مهارة المهندسين المغاربة والأندلسيين ويأتي على رأسهم المهندس الأندلسي أبو اسحاق الساحلي الغرناطي، والذي أتخذه منسى موسى وزيراً للإنشاءات المعمارية

(١) تاريخ السودان، ص٢١؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص٢٠٣.

(٢) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١- ٨٧٢؛ Levtzion, Nehemiah: Ancient Ghana and Mali, Methuen and Go, (Londonk1973), p24P؛ فوزية يونس، التأثيرات العربية، ص٢٣٧.

(٣) دافدسن، أفريقيا، ص١٤٠.

(٤) الإدريسي، نزهة المشتاق، ج١، ص٢٣.

(5) Levizion, Ancient Ghana, p24.

ومستشاراً سلطانياً للعمارة الأندلسية المغربية حيث بنى بمجرد وصوله مع مساعديه العديد من المساجد في كل من تنكبت وجاو و ولاته[١]. فأحدث ثورة عظيمة في فن البناء[٢].

فقد كان المهندس أبو أسحاق أبراهيم الساحلي أثر كبير في تطور العمارة في السودان الغربي وذلك لأنهُ أستخدم الطوب المحروق وأدخل المأذنة الهرمية الشكل في المساجد وأستحدث لسقوف المسطحة للمنازل وكانت المباني قبل ذلك تدعى "بالبالستا"[٣] وسقوفها قباب أو جملونات كالأقباء[٤]. فقد أحدث نقلة كبيرة في البناء السوداني فأخذت البيوت تتحول الى الشكل المربع والمستطيل المسقف بالتراب. وأهم المواد التي أستخدمها في البناء الحجر والطابوق الأحمر الذي كان سائداً في شمال افريقيا والكلس والأصباغ المنمقة[٥]. وقد أستغرب أهل السودان الغربي "لفقدان صنعة البناء بأرضهم"[٦]. وتحول أهل مالي من بناء الزريبات الى الصناجين ثم تحولوا الى بناء الأسوار القصيرة. بحيث الذي يقف في خارجها يرى من في داخلها[٧]. وأستمر التأثير الساحلي في الفن المعماري حتى عهد

(١) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٦٠٠؛ الجمل، شوقي وعبد الرزاق، عبدلله، تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، (القاهرة، ١٩٩٦م)، ص١١٧؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٣٣٢.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٣٣٢؛ مسعود، خالدي، أبو أسحاق الساحلي، ص١٣٣-١٣٤.

(٣) الباليستا: وهي تسمية تطلق على طريقة البناء المتبعة في بلاد السودان الغربي حيث كان يبنى تقدير نصف ذراع بالطين ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله ثم يترك حتى يجف ثم يبنى عليه مثله هكذا حتى يتناهى وسقوفها الأخشاب والقصب، ينظر العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١١؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٧٣.

(٤) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٠؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٧٣؛ ابراهيم طرخان، دولة مالي، ص ١٠٥-١٠٦، خالدي مسعود، ابو اسحاق، ص١٣٥.

(٥) ابن بطوطة، المصدر السابق، ج٢، ص٥٣٠؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٨.

(٦) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٨.

(٧) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٢.

الأسقيين[١]. وكان من أتقن المباني التي بناها ابو أسحاق الساحلي هو قصر السلطان منسى موسى وقد وصفه أبن خلدون بقوله: ".... فأراد أن يتخذ بيتاً، بمقعد سلطانه محكم البناء مجللاً لغرابته فأطرفه أبو اسحاق الطونجق ببناء قبة مربعة الشكل أستفرغ فيها أجادته وكان صناع اليدين واحتفى عليها من الكلس ووالي عليها بالأصباغ المشبعة فجاءت من أتقن المباني ووقعت من السلطان موقع الاستغراب لفقدان صنعة البناء بأرضهم"[٢]. وقد شاهد أبن بطوطة خلال زيارته للمنطقة هذهِ القبة وقال أن بابها بداخل قصر السلطان وأنهُ يجلس فيها أكثر الأوقات[٣]. وكان من المهندسين المعماريين الذين رافقوا أبي أسحاق الساحلي المهندس عبدالله الكومي الموحدي الغدامسي وقد شارك مع الساحلي في تشييد بعض المنشاءآت المعمارية بالمنطقة ومنها جامع سنكري الشهير الذي شيداه على الطراز المغربي الاندلسي وما يزال قبرهما موجودان حتى الان في مقبرة بشمال تمبكتو[٤]. وقد برز اسم اخر في دولة مالي وهو المهندس المغربي (ادريس المراكشي) الذي بنى جامع جني في منتصف القرن الثامن هجري الرابع عشر ميلادي[٥]. وعلى الرغم من ان البيوت في السودان الغربي تميزت بانها متفرقة[٦]. فقد اخذت تتجمع هذه البيوت حول بيت رئيس العائلة وتحاط البيوت عموما بسياج من الاجر المجفف[٧]. اي ان السودان الغربي لم يعرف الالتصاق في البيوت الا في عهد دولة سنغاي[٨]. واخذ السكان في السودان الغربي يبنون بيوتا ذات مساحة واسعة جدا بسبب ترك باحة في وسط المنزل وفي بعض

---

(١) مسعود، خالدي، أبو اسحاق، ص١٣٥.

(٢) العبر، ج٦، ص٢٦٨.

(٣) الرحلة، ج٢، ص٥٣٠.

(٤) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٧؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص٢٠٤.

(٥) قداح، افريقيا الغربية، ص١٤٧؛ زبادية، مملكة سنغاي، ص١٠٧.

(٦) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١١٠.

(7) murphy, history, p96-97.

(٨) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٢.

الاحيان كانت البيوت تتألف من عدة طوابق تقليدا للقصور المغربية[١]. وقام السكان ايضا ببناء حوش او زريبة امام المنزل لغرض ايواء الحيوانات فيه او لستر المنزل[٢]. وقد لوحظ في هذه الفترة بروز اطراف الاعمدة الخشبية المتبقية من السقف وكانت عادة تربط بها المزاريب الفخارية لتصريف ماء السطح الى مجرى محفور في طرف اوسط الزقاق وعادة كانت توضع هذه المزاريب في الجهات الاربع للبيت[٣]. ولم يقتصر التأثير العمراني العربي الاسلامي على القصور الملكية والمساجد والمساكن بل أمتد الى المتاجر وقام التجار العرب الذين سكنوا المنطقة ببناء حوانيتهم على الطريقة المغربية حيث بنوا مخازن البضاعة في اسفل دور السكن وقلدهم الأهالي في ذلك[٤]. ولعب المعماريون العرب والبربر دورا كبيرا في تخطيط المدن حيث كان لكل مدينة مسجدها الكبير الذي يجتمع فيه سكانها وقد نظمت المدن الإسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية وفقا للأغراض الاقتصادية ومن ذلك بناء وتنظيم المخازن والمتاجر والحوانيت التي بنيت حول المسجد والتي كانت تبيع العطور والكتب ثم تستدير الابنية الاخرى حول المسجد لتقوم فيها أعمال التجارة والصناعة وتأتي في نهاية هذه الأبنية حوانيت الحدادين[٥]. ومن اشهر المدن التي تأسست في بلاد السودان الغربي هي:-

١-مدينة كونبي صالح:-

وهي مدينة قام بتأسيسها الادارسة من أل صالح في غرب نهر النيجر وجعلوا منها عاصمة سياسية لمملكة غانة[٦]. وتشير الدراسات الحديثة التي

---

(١) الغربي، محمد، بداية الحكم المغربي، ص٦٢٧-٦٢٨.

(٢) زبادية، مملكة سنغاي، ص١٦٦.

(٣) الغربي، المرجع السابق، ص٦٢٧.

(٤) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص٢٠٤-٢٠٥؛المهندس، فريد، العلاقات، ص٣٣٧.

(٥) قداح، نعيم، افريقيا الغربية، ص١٤٥؛ غيث، أمطير، المرجع السابق، ص٢٠٥.

(٦) محمد، الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٢٣٧؛ الدهماني، سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٢.

اجريت على مدينة كونبي صالح بأن تلك المدينة هي شبيهة بالمدن الإسلامية في بنائها حيث وجدت فيها مقتنيات أثرية من مسامير وأسلحة من الحديد في غاية الدقة، وموازين لوزن الذهب وصفائح مزخرفة بآيات قرآنية والى غير ذلك من الأدوات التي اشتملت على النقوش والكتابات العربية، وهو ما يؤكد قدوم جاليات عربية إسلامية منذ وقت مبكر[١].

اذ لم يحل القرن (السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي) حتى كان ال صالح العرب الاشراف الطالبيون يحكمون عاصمة غانة الاولى كونبي صالح بعدما محا المرابطيون كل اثرا للوثنية فيها وفي هذه الفترة أضيفت كلمة صالح الى أسم تلك المدينة الأصلي كونبي ليصبح أسمها الجديد (كونبي صالح) كما تعرف به حتى اليوم[٢].

ويذكر الحميري أنهُ كان لملوك آل صالح في كونبي صالح أبهة عظيمة[٣]. ويحدثنا الإدريسي عن حدود غانة في عهده فيعرفها بأنها "تتصل من غربيها ببلاد مقزارة ومن شرقيها ببلاد ونقارة وشمالها بالصحراء المتصلة التي بين أرض السودان وأرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللملمية"[٤]. وظل هذا القسم من غانة تحت يدي آل صالح حتى سنة (٦٠١هـ/١٢٠٣م) حيث تمكن الصوصو من احتلالها وضمها الى بلادهم فصارت تابعة لهم الى أن تمكنت قبائل الماندينغ من هزيمة الصوصو وإلحاق غانة بإمبراطورية مالي سنة (٦٣٨هـ/١٢٤٠م)[٥].

---

(١) الدهماني، سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٢.

(٢) محنض، الحسن، تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ط١، دار الفكر، (موريتانيا، ٢٠١٠م) ص٨٩-٩٠.

(٣) الروض المعطار، ص٤٢٥.

(٤) نزهة المشتاق، ج١، ص٢٤.

(٥) ولد ايده، أحمد مولود، الصحراء الكبرى مدن وقصور، دار المعرفة، (الجزائر، ٢٠٠٩)، ص١٠٧؛ محنض، الحسن، تاريخ موريتانيا، ص٩٠.

ولم تقضِ كل هذهِ المحاولات على وجود آل صالح وإن انتقلت سلطتهم الى حكم ذاتي فقد ذكر الصفدي نقلاً عن أبن سعيد المغربي (ت٦٨٥هـ) في كنوز المطالب للصالحين: "أنهُ للصالحين في [عهده] ملك متوارث الى الآن بغانة من بلاد السودان في أقصى غرب النيل"[١].

٢- تنبكتو:

تعد تنبكتو أهم وأشهر المراكز الاسلامية التي ازدهرت في السودان الغربي وتقع على نهر النيجر، وهي مدينة اسلامية أسسها المسلمون أواخر القرن (الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي) ولذا قال السعدي عنها: "ما دنستها عبادة أوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن"[٢]. ويرجع بناء هذهِ المدينة الى الطوارق الذين هاجروا من الصحراء الى السودان الغربي واتخذوا بعض المراكز التجارية ومنها تنبكت وقد اتخذوها في أول الأمر مستودعاً لبضائعهم وعهدوا بحراستها الى عبد يدعى تينبوتو فعرفت باسمه ولفظها العرب تونبكتو[٣]. وسرعان ما تحولت تنبكت الى مركز تجاري يؤممها التجار من كل مكان وتوسعت بسرعة كبيرة وأقتفى العلماء أثر التجار فاتخذوها مسكناً لهم أيضاً واستمر تدفق المهاجرين إليها من المغرب ومصر والأندلس وبرنو وكانم والهوسا وبقية البلاد الاسلامية "وقامت فيها العمائر الحسنة وبنيت حولها الأسوار كما بني فيها مسجد كبير وآخر في شماليها عرف باسم جامع سنكري"[٤]. إذ تقع مدينة تمبكتو في مكان استراتيجي هام وفي مفترق عدة طرق تجارية في منطقة الصحراء الغربية مما أدى لازدهارها ونموها السريع فتضاعف عدد سكانها

---

(١) الوافي بالوفيات، ج١٦، ص١٥٢؛ محنض، الحسن، تاريخ موريتانيا، ص٩٠.

(٢) تاريخ السودان، ص٢١؛ زمان عبيد، تمبكتو، ص٢٧؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة الاسلامية، ص٨٠.

(٣) الحسن الوزان، وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٥؛ السعدي، المصدر السابق، ص٢٢؛

(٤) السعدي، المصدر السابق، ص٢٧؛ حسن احمد محمود، الاسلام والثقافة، ص٢٤٨، الشناوي، دائرة المعارف الاسلامية، ج٥، ص٤٦٥.

وكثرت بها المساكن المشيدة من الطوب المحروق[1]. وقد ظل الطوارق يحكمــون تنبكت حتى عاد منسى موسى ملك مالي من الحج فاتجه الــى عاصــمة ســنغي واحتلها ثم اتجه نحو تنبكت وأخضعها لحكمة سنة (٧٣٠هـ) تقريباً ومنــذ ذلــك التاريخ ظلت تنبكت تحت سيادة دولة مالي الاسلامية[٢].

وفي عهد دولة سنغاي أصبحت تمبكتو العاصمة الثانية للإمبراطورية فــي ميداني الاقتصاد والثقافة معاً ففي ميدان الثقافة تتفق مراجع تلك الفتــرة علــى أن تمبكتو لم يكن يجاريها في ذلك الوقت مدينة أخرى لكثرة العلماء والطــلاب بهــا ونشاطهم المتزايد أما في ميدان الاقتصاد فأن أمراء السنغاي كانوا حينما يحتاجون للمال في أوقات الشدة يلجؤون للاقتراض من تجار تمبكتو كما أن بعضــهم زوج بناته بأغنياء التجار في تمبكتو ولم يحصل هذا مع غيرهم وقد تأثر الحســن بــن محمد الوزان بالنشاط التجاري الذي كانت عليه المدينة وكثرة بضائعها مما جعلــه يعدها أمارة قائمة بذاتها[٣]. وأصبحت مدينة تمبكتو خلال القرن (العاشر هجــري /السادس عشر ميلادي) محطة القوافل الأولى في كل بلاد السودان فسكنها كثيــر من التجار وقصدها عدد غفير من العلماء والطلاب ووصفت في تلك الحقبة بــأم مدائن السودانيين سواء في العلم والحضارة أو في العمران والتجارة[٤].

---

(1) dubois, F: Timbucto the mysterious (translated by Dion White: London 1982) p231-234.

(٢) كعت، تاريخ الفتاش، ص١٢١، دائرة المعارف الاسلامية، ج٥، ص٤٦٥؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة، ص٧١.

(٣) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٦؛ السعدي، تاريخ الســودان، ص٢٢؛ أحمــد بابــا، نيــل الابتهاج، ص٤١.

(٤) زبادية، عبد القادر، القرن ١٦ وحركة التعليم في تمبكتو، مجلة المؤرخ العربي، عدد١٤، بغداد، ١٩٨٠م، ص٢٠٨- ٢٠٩.

٣- مدينة جني:

تقع الى الجنوب الغربي من مدينة تنبكتو وقد تأسست حوالي عام (٤٩٤هـ/١١٠١م) وذلك في عهد الدولة المرابطية[١]. وقد بنيت هذه المدينة كما يذكر السعدي في أواسط القرن (الثاني للهجرة/ الثامن الميلادي)[٢]. ويعود الفضل في بنائها لبرابرة صنهاجة الذين ارادوا أن تكون مركزاً تجارياً يلتقي فيه تجار الملح بتجار الذهب[٣]. ولكن سرعان ما غلب عليهم الزنوج الوثنيين وسرعان ما انتشر الاسلام بينهم بفضل جهود الدعاة المسلمين وكذلك التجار المسلمين وأيضاً نتيجة الهجرة التي كان لها الأثر البالغ في نشر الاسلام حيث أن كثيراً من القبائل البربرية قد ارتحلت من الصحراء الى المناطق الجنوبية واستقرت بها واندمجت مع السكان المحليين[٤].

وقد ذكر السعدي حادثة اسلام ملك جني كنبر بقوله: "أن السلطان كنبر هو الذي أسلم أهلها بإسلامه ولما عزم على الدخول في الاسلام أمر بحشد جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة فحضر منهم أربعة آلاف ومائتان عالماً فأسلم على أيديهم وأمرهم أن يدعوا الله مدينته تلك ..."[٥]. ومع أن رواية السعدي قد تكتنفها بعض المبالغة في تقدير عدد العلماء الا أن لذلك دلالة على مدى انتشار الاسلام في جني في القرن (السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي) ثم أن وجود هذا العدد أو ما يقاربه من العلماء دليل على أنها قد أصبحت تنافس تنبكت في مركزها العلمي والثقافي[٦]. فقد كان موقع هذه المدينة بأرض خصبة كثيرة الأشجار وكانت كما اوردها السعدي: "مدينة عظيمة ميمونة مباركة ذات سعة

---

(١) حسن، حسن علي، أنتشار الاسلام في القارة الافريقية، ص٢١٧؛ الدالي، الهادي، التاريخ الحضاري، ص١١٠.

(٢) تاريخ السودان، ص١٢؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة، ص٧٧.

(٣) محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٥٨٠.

(٤) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة، ص٧٧.

(٥) تاريخ السودان، ص١٢-١٣.

(٦) العبيدي، عبد العزيز بن راشد، المرجع السابق، ص٧٧.

وبركة ورحمة جعل الله ذلك في أرضها خلقاً وجبلة وطبيعة أهلها التراحم والتعاطف والمواساة"[1]. وربما كان هذا سبباً في جذب الناس اليها.

وقد ظلت هذه المدينة محتفظة باستقلالها أيام مملكة مالي الاسلامية وفترة من حكم سنغاي حتى عام (٨٨٥هـ/١٤٨٠م) وأشتهر من ملوكها الملك آدم وهو الذي أنتهى استقلال جني في عهده حينما أستولى عليها سن علي ملك سنغاي بعد أن حاصرها مدة سبع سنين الا أن سقوطها في يد ملك السنغاي لم ينه حكم هذه الأسرة فقد أستمر الملك أدم في حكمها وقد توطدت العلاقة بينه وبين سن علي بعد أن تزوج بوالدة آدم ثم أبقاه نائباً له على جني[2].

وقد زار الحسن الوزان هذه المدينة زمن الأسكيا محمد الكبير ووصفها وذكر أنها مركز تجاري مهم وأن أهلها يجنون أرباحاً كبيرة من خلال تعاملهم مع البربر في الأقمشة القطنية وكذلك الاقمشة الاوربية والأسلحة والنحاس وذكر أن الذهب هو العملة المستعملة في البلاد وذكر وجود العلماء والفقهاء والتجار الذين يسكنون مع الملك في حي خاص وامتدح أهل هذه المدينة لما يمتازون به من حسن هندام وذكر أنهم يصنعون لثاماً من القطن الازرق أو الأسود يغطون به حتى رؤوسهم أما العلماء فيصنعون لثاماً أبيض[3]. كما ازدهرت الحياة العلمية في هذه المدينة الإسلامية وحسب رواية السعدي فأن عدد العلماء فيها قبل إسلام ملكها كان يتجاوز الأربعة الاف[4]. ولاشك أن الحياة العلمية قد زادت نشاطاً وأزدهاراً بإسلام حكامها ثم بخضوعها لحكام مملكة السنغاي ولاسيما أيام الأسكيا محمد الذي أشتهر بتشجيع العلماء واهتمامه بنشر الاسلام ولذا فقد عين لهذه المدينة قاضياً لأول مرة وتوافد عليها العلماء من كل مكان[5]. وهكذا أصبحت جني مركزا مهماً من مراكز الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الغربي.

---

(١) تاريخ السودان، ص١١.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص١٤-١٥.

(٣) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٣-١٦٤.

(٤) تاريخ السودان، ص١٢.

(٥) كعت، تاريخ الفتاش، ص٥٩؛ حسن علي، تأثير الإسلام، ص٢٩٢.

اما عن المساجد فقد كان بنائها فن عربي إسلامي قائم بذاته وقد أنشأت المساجد في معظم المدن الواقعة على طريق القوافل وغيرها، ويصف السعدي ملوك السودان الغربي المسلمين بأنهم حريصون على بناء المساجد فمنسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) كان يبني مسجداً في كل مدينة تدركه فيها صلاة الجمعة[١]. ومن أشهر المساجد في بلاد السودان الغربي هي:-

١-مسجد جنجور بير (المسجد الكبير):-

وهو من أكبر المساجد في تنبكت، ويرجح أن يكون هو المسجد الذي بناه سلطان مالي منسا موسى أثناء عودته من الحج أوائل القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) حيث أناط مهمة بنائه للمهندس أبراهيم الساحلي الطويجن وعبدالله الكومي الموحدي الغدامسي[٢]. وقد بني من الحجارة التي جلبها العمال من الجبال وقد ثبت بالطين وكان قد بني بطريقة حديثة أبتكرها هذان المهندسان لأول مرة في السودان الغربي غير تلك التي كانت سائدة في المنطقة وهي تعتمد على الفن المعماري المغربي الذي تميز بالقبة المرتفعة المربعة المزخرفة[٣]. وفي عهد دولة سنغاي قام لفقيه القاضي العاقب بن محمود بتوسيع المسجد الكبير وذلك لاستيعاب المصلين الذين أصبحوا في ازدياد مضطرد وقد تم ذلك بأمر (الأسكيا داوود) (٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م). وبمساهمة من ماله الخاص حيث ساهم بحوالي أربعة الاف خشبة لإنجاز هذا المشروع[٤].

(١) تاريخ السودان، ص٧؛ غيث، أمطير، التأثير العربي، ص٢٠٥.

(٢) السعدي، المصدر السابق، ص٨؛ أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٠١.

(٣) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٥؛ الشيخي، حسن علي، تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، (السودان، ٢٠٠٩م)، ص٢٨٣.

(٤) السعدي، المصدر السابق، ص١٠٩-١١٠.

٢-جامع سنكوري:-

وهو أحد المساجد التي بنيت في مدينة تنبكت والمعروف باســم "ســنكري" ومعناه عند السودان المسجد الكبير ويقول عنهُ السعدي أن هذا المسجد بنته ســيدة تعرف باسم سنكري وهي سيدة ثرية لكن ليس معروف تاريخ بنــاء هــذا البنــاء الأول[١].

وقد بني على الطراز المغربي وكان صغيراً في بدايته ثم تطور، وفي عهد منسى موسى أقتصر هذا الأخير على بناء مأذنته وأشرف على بنائها أبو أســحاق أبراهيم الساحلي وكان شكلها يشبه الطراز المعماري المغربي والاندلسي وجعــل القبور ملاصقة له من جهتي اليمين والمغرب ويقــول الســعدي "وتلــك عمــارة السودان أهل المغرب لا يدفنون موتاهم الا في رحاب مساجدهم وجوانبها"[٢].

وقد أورد كعت بأن الفقيه القاضي العاقب بن محمود بن عمر أقيت قام عام (٩٨٩هـ/١٥٨١م) بأعاده بناء هذا المسجد بعد عودته من أداء فريضة الحــج[٣]. وعندما كان بمكة أستأذن حراسها يأخذ قياسات الكعبة طولاً وعرضاً فــأذنوا لــهُ فكالها بالحبل وجاء بالحبل الذي كال به الى تنبكت ولما أراد الشروع فــي بنــاء المسجد أخرج ذلك الحبل وبني المسجد على المقاييس نفسها[٤].

وقد أورد السعدي أن أول من قام بإمامة الصلاة في هذا المسجد هــو أبــو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت ثم تولاها من بعده ابن خاله الامــام أندعمحمد بن الفقيه المختار النحوي[٥].

وقد أصبح هذا الجامع فضلاً عن وضعيته الدينية ملتقى يجتمع فيه العلمــاء والمثقفون للمناقشة فقد اصبح بمثابة جامعة علمية تشــع منــه الثقافــة العربيــة

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٦٢-٦٣؛ خالدي مسعود، أبو إسحاق، ص١٣٥.

(٢) تاريخ السودان، ص٥٧؛ الوزان، وصف افريقيــا، ج٢، ص١٦٥؛ الاروانــي، الســعادة الأبدية، ص٧١.

(٣) تاريخ الفتاش، ص١٢١؛ الارواني، المصدر السابق، ص٧١-٧٢.

(٤) كعت، تاريخ الفتاش، ص١٢١.

(٥) تاريخ السودان، ص٦٣؛ الأرواني، السعادة الأبدية، ص١٣١.

الإسلامية ومن أشهر المراكز الثقافية في مدينة تنبكت، تعلم به العديد من العلماء والفقهاء وألفت به العديد من المؤلفات إذ أصبح يشبه في وجوه كثيرة الجامع الأزهر في تراثه ومكانته العلمية(١).

وقد ذكر المؤرخ الفرنسي ديبوا أن القرن (العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي) كان أزهى عصور تمبكتو بصفة عامة وجامع سنكري بصفة خاصة فقد وصل فيه الجامع الى أوج عظمته ومجده الادبي والعلمي واصبح حاضرة الثقافة وأتصل بمصر وكان يؤممه العلماء والكثيرون من طلاب العالم العربي(٢).

٣-مسجد سيدي يحيى التادلسي:-

وهو من أهم مساجد تمبكتو التي أشتهرت بضخامة عمارتها والتي لعبت دوراً دينياً وحضارياً وثقافياً هاماً في تاريخ هذه البلاد(٣).

ويعتقد بعض المؤرخين أن مسجد سيدي يحيى من أقدم مساجد تنبكت وقد بناه أحد الطوارق الذين حكموا تنبكت في القرن (الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي)(٤). وقد شيد على ضريح رجل من الصالحين قدم من المغرب الأقصى لنشر تعاليم الدين الإسلامي(٥). ويورد السعدي أن حاكم تنبكت أيام الطوارق (كي محمد نض) وهو صنهاجي من قبيلة أجر هو الذي بنى مسجد سيدي يحيى وكلف صاحبه سيدي يحيى التادلسي أماماً فيه الى أن توفي عام (٨٦٨هـ/١٤٦٣م)(٦). وقد جدد بنائه القاضي العاقب بن محمد أقيت الذي قام بتوسيعه عام (٩٧٦هـ/١٥٨٦م)(٧).

---

(١) محمود، حسن أحمد، الإسلام والثقافة، ص٢٧٠؛ ماهر عطية، جامعة سنكوري، ص٤.

(2) Dubois, Tumicto, p310; ماهر، عطية، المرجع السابق، ص١١.

(٣) ماهر، عطية، جامعة سنكوري، ص٥.

(٤) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٣؛ الأرواني، السعادة الأبدية، ص١٢٩.

(٥) الدالي، الهادي، التاريخ الحضاري لأفريقيا، ص١٥٥.

(٦) السعدي، المصدر السابق، ص٢٣؛ الدالي، الهادي، المرجع السابق، ص١٥٥.

(٧) السعدي، المصدر السابق، ص٦٢؛ الدالي، الهادي، مملكة مالي الإسلامية، ص١٠٥.

٤-المسجد الجامع:-

وهو أول مسجد أسس في مدينة جني والذي قام بأنشائه السلطان كنبر بعد إسلامه حيث هدم قصره وحوله الى مسجد عرف بجامع جني[١]. ولاتزال أطلاله باقية الى الآن وتفيد الرواية أن الذي بناه رجل عربي يدعى ملوم ادريس وهو الذي علم أهل جني كيف يبنون منازلهم ويزخرفونها بأساليب عربية إسلامية[٢].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص١٢.

(٢) الشناوي، دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص١٤٦؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة، ص٧٨.

المبحث الثاني

الاثار العلمية

أن الاسلام بالنسبة للوثنية الافريقية صنو للرقي والتقدم والحضارة لذا كان خطوة بناءة في تطور المجتمع الافريقي في كثير من نواحيه وساعد على نشوء ونمو كثير من المدن التجارية وساهم في التقدم السياسي للدول والامارات الافريقية وفي ظهور المراكز الثقافية وأظهر الاسلام أيضاً تفسيراً اساسياً في العادات والاخلاق(١).

وبظهور الاسلام ودخوله في السودان الغربي أصبحت العلاقة بين المسلمين والوثنين علاقة دينية ثقافية في الدرجة الاولى وجاءت هذه العلاقة الدينية لتجعل هذه الشعوب أمة واحدة تلتمس نظم حياتها وقيمها الاخلاقية من مصدر واحد هو الاسلام, بجوانبه الشاملة للحياة وكان من الطبيعي أن يهرع أهل السودان الغربي الى تعلم لغته ليتمكنوا من اداء شعائرهم على أتم وجه(٢).

كان للثقافة نصيبها في مرحلة نشر الاسلام في افريقيا جنوب الصحراء عقيدة وطريقة حياة، وتمثل ذلك بتعليم القرآن الكريم ولغته أولاً، ثم أحكام العقيدة ومبادئها(٣)، إذ أن ثقافة تلك المرحلة ارتكزت على تعليم السودانيين العقيدة الاسلامية بما فيها من احكام وسلوك(٤)، وهكذا أخذ التعليم العربي الإسلامي يخطو خطوات حثيثة نحو التقدم والازدهار الى أن وصل الى أوج قمته وازدهاره في مملكة صنغاي أيام الأساكي(٥). فقد أدى انتشار الاسلام واللغة العربية والخط العربي بين المسلمين الجدد لاسيما في المدن والمراكز التجارية الى تركز استعماله في بداية الامر في

---

(١) قداح، نعيم، التأثير العربي الاسلامي في مجتمع افريقيا الغربية، مجلة المعرفة، دمشق، عدد ١٤، ١٩٦٣م، ص٤٥.

(٢) عبدالله، عبدالصمد، اثر اللغة العربية والشعر العربي في البناء الحضاري بغرب أفريقيا، ندوة كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، (مكة، ٢٠١٣م)، ص٣.

(٣) الشيخلي، صباح، ملاحظات حول أنثار الإسلام، ص٢٢.

(٤) محمد الغربي، الحكم المغربي، ص٥٠٩.

(٥) عبدالصمد عبدالله، اثر اللغة العربية، ص٥.

العلوم الاسلامية, ثم امتد الى سائر المعارف كالأدب والتاريخ والجغرافيا وأدب الرحلات واصبح تبادل الكتب والاتجار فيها من أهم مظاهر التواصل (الافريقي-العربي) بين مراكز الاشعاع الاسلامية القديمة كالقاهرة ومكة والمدينة ودمشق وبغداد والقيروان وجامع القرويين وفاس ومراكز الاشعاع الافريقية مثل تمبكتو وجني وجاو, ولعل عملية التبادل هذه احدى مقومات ما يعرف (بطريق الحبر) وتنقسم الكتب المتداولة في ذلك الحين الى نوعين اولها بأقلام مؤلفين عرب أو مسلمين من المشرق الاسلامي والشمال الافريقي وثانيهما بأقلام أفارقة سودانيين[١].

ويتجلى الاثر العلمي الاسلامي في تبني شعوب السودان الغربي أماكن وأساليب التعليم والتدريس العربية الاسلامية في كل تفاصيلها ومنها:-

اولا- أماكن التدريس:-

حرص علماء السودان الغربي سواء كانوا من المغاربة او السودانيين أن يلقوا دروسهم العلمية اينما تيسر لهم اللقاء مع طلابهم ولهذا تعددت أماكن التعليم والثقافة في بلاد السودان الغربي فالصبيان يتعلمون في الكتاتيب وطلاب العلم في المساجد والمدارس ومنازل العلماء وغيرها من الاماكن التي أسهمت في ازدهار الحركة العلمية في السودان الغربي[٢]. ومن هذهِ الأماكن نذكر ما يلي:-

١-الكتاتيب[٣]:-

يبدأ التعليم في الكتاتيب والتي وجدت في كل مدينة وقرية إسلامية، وكانت عبارة عن غرفة أو غرفتان ملحقة بالمسجد[٤]. أو في أحدى غرف بيت الفقيه أو الأرض المسيجة من بيته، أما في القرى فكانت عادة في العراء أو تحت ضلال الأشجار[٥]. وتعد الكتاتيب من أهم المراكز العلمية التي تقوم بتربية الأطفال وتعليمهم

---

(١) حسن، يوسف فضل الله، الاسلام في افريقيا، (الخرطوم، د.س)، ص٣٣، بهاء موسى, انتشار الإسلام، ص٩.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٩.

(٣) الكتاتيب مفردها كتاب وهي موضع تعليم الصبيان وأحياناً يطلق عليها المكاتب، أنظر: ابن منظور، لسان العرب، ج٣، ص٢١٧.

(٤) نعيم قداح، حضارة الإسلام، ص١٥٨.

(٥) المرجع نفسه، ص١٥٩.

حيث يتعلم الأطفال فيها مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعض الفروض الدينية[١]. فقد أهتم المجتمع السوداني بالكتاتيب لاسيما في تنبكت التي وصل عدد الكتاتيب فيها الى ما يناهز مائة وخمسين وفي ذلك يقول كعت: "وفيها مدارس تعليم الصبيان الذين يقرؤون القرآن مائة وخمسين أو ثمانين مكتباً"[٢].

٢-المساجد:

يعد المسجد أول معهد في تاريخ التعليم في الإسلام وهو أفضل مكان للتدريس لأنهُ أعم في توصيل الأحكام وتبليغها للأمة إذ كانت المساجد من أهم المراكز التي قامت بنشر الإسلام وثقافته في السودان الغربي[٣]. ولا يختلف حال المساجد في السودان الغربي عما كان عليه في البلدان الأخرى، ويذكر البكري أن عاصمة غانة وحدها كان فيها: "أثنا عشر مسجداً أحدها يجتمعون فيه ولها الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم..."[٤]. وحتى مدينة الملك كان فيها مسجد يصلي فيه من يزور الملك وكان قريباً من مجلس الملك[٥]. وتذكر صباح الشيخلي أن وجود أثنا عشر مسجداً في مدينة سودانية وثنية عدد كبير بالتأكيد والذي يهمنا أن هذهِ المساجد كانت تؤدي رسالتها الثقافية في المدينة وربما في المنطقة كلها من خلال وجود الفقهاء والعلماء في هذهِ المساجد وهذا دليل كاف على عناية العرب المسلمين بالثقافة العربية الاسلامية ونشرها في بلاد السودان الغربي[٦].

ومن أشهر المساجد التي قامت بدور تعليمي بارز في بلاد السودان الغربي هي مساجد مدينة تنبكت ومنها المسجد الجامع الكبير الذي قام بدور تعليمي وثقافي

---

(١) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٦١.

(٢) تاريخ الفتاش، ص٢١٩.

(٣) المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٤٥٩.

(٤) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٧١.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٨٧١.

(٦) ملاحظات حول انتشار الإسلام، ص٢٢-٢٣.

كبير في تنبكت[١]. وكذلك مسجد سنكري الذي كان من المساجد والمعاهد التي نهضت بدور التعليم في مدينة تنبكت وكان التعليم فيه على مستوى عال فقد كان بمثابة جامعة تدرس فيه المواد بشكل تخصصي وأصبح قبلة للطلبة في السودان الغربي فهو شبيه بجامع الأزهر في القاهرة وجامع القيروان والقرويين بفاس وجامع قرطبة بالأندلس[٢].

وكذلك من المساجد التي قامت بدور مهم في نشر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة مسجد سيدي يحيى التادلسي[٣]. ومسجد جني الذي بقي يؤدي دوره في نشر العلم والثقافة الإسلامية الى سقوط دولة السنغاي[٤].

٣-المكتبات:-

عرف مجتمع السودان الغربي المكتبات التي تقوم عليها أية نهضة علمية أو فكرية حيث حرص علماء المنطقة وحكامها وأمراؤها على تكوين مكتبات علمية قامت بدور فعال في نشر العلم والثقافة العربية الإسلامية في المنطقة لا يقل دورها عن دور المساجد في النهضة العلمية التي شهدتها دول السودان الغربي[٥].

وكانت من أهم المكتبات في السودان الغربي تلك التي امتلكتها أسرة آل اقيت، وعلى رأسهم أحمد بن عمر بن محمد أقيت ثم أبنه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت[٦].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٧١؛ كعت، الفتاش، ص٨١؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٦٠.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص١٢٩ و ص٢٠٦؛ الطيبي، أمين توفيق، دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب، (د.م، ١٩٩٧م)، ص٤٠٨؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٤٦٠؛ عبدالله عبد الصمد، أثر اللغة العربية والشعر، ص٤.

(٣) الفالجالو، محمد، الحياة العلمية، ص١٥٣؛ كنان، محمد حمد، مظاهر الثقافة الإسلامية، ص٣٠.

(٤) الفالجالو، المرجع نفسه، ص١٥٦؛ كنان، المرجع نفسه، ص٣٠.

(٥) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٦٢.

(٦) السعدي، تاريخ السودان، ص٤٢.

وأهتم سلاطين السودان الغربي بالمكتبات ايضاً، فقد قال كعت: "كان الاسكيا داود سلطاناً مهيباً فصيحاً خليقاً للرئاسة كريماً جواداً ... وهو أول من أتخذ خزائن المال حتى خزائن الكتب وله نساخ ينسخون له كتباً وربما يهادي به العلماء"[١].

وكان العلماء لا يمتنعون عن إعارة أو إهداء ما لديهم من كتب مهما كانت نادرة الوجود ومرتفعة القيمة حرصاً منهم على نشر العلم[٢].

٤-بيوت العلماء:-

على الرغم من أن المساجد كانت أفضل مكان للتدريس، غير أنهُ قد وجد من العلماء من جعل من منزله مكاناً للتعليم، فقد أقام علماء السودان الغربي حلقات علمية في بيوتهم يحضرها الطلاب وكل من يريد أن يثقف نفسه لذا تعد منازل العلماء من أهم المراكز العلمية في السودان الغربي[٣].

وقد ذكر السعدي عن أحد العلماء أنهُ: "... يقرئ من صلاة الصبح أول وقته الى الضحى مدة وربما مشى للقاضي في أمر الناس بعدها أو يصلح بين الناس ثم يقرئ في بيته وقت الزوال ويصلي الظهر بالناس ويدرس الى العصر ثم يصليها ويخرج الى موضع آخر يدرس فيه للاصفرار أو قربه وبعد المغرب يدرس في الجامع الى العشاء ويرجع الى بيته..."[٤].

ثانيا- مراحل التعليم في السودان الغربي:-

أخذت مراحل التعليم في بلاد السودان الغربي تتشابه مع ما كان سائداً في الشمال الأفريقي، إذ انتقلت مراحل التعليم برمتها من الشمال الأفريقي الى بلاد السودان الغربي على يد العلماء العرب والبربر الذين حفلت بهم بلاد السودان الغربي مثل ابن الفقيه الجزولي وغيره[٥].

---

(١) تاريخ الفتاش، ص٩٤.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٦٢.

(٣) المهندس، فريد، المرجع نفسه، ص٤٦٣.

(٤) تاريخ السودان، ص١٧٤.

(٥) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٥؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٤٤٨.

فقد مر التعليم في بلاد السودان الغربي بثلاث مراحل هي:-

١-**المرحلة الأولى:** وفي هذهِ المرحلة يتعلم الصبي أسس القراءة والكتابة ويحفظ القرآن الكريم، وذلك من خلال التلقين والسماع من أساتذة، فعندما يبلغ الطفل السابعة من العمر يعهد به والده الى السيد بقصد تعليمه مبادئ القراءة والكتابة وتحفيظه النصف الاخير من القرآن ويجتهد السيد في تلقين الصبي الصلوات الخمس، ولكن أداءها لا يصبح إجباريا الا في سن العاشرة حيث يتعرض الصبي للضرب وأنواع العقاب إذا لم يواظب على تأديتها في أوقاتها ويكون الأب هو المسؤول عن مراقبته(١). وقد شاهد أبن بطوطة الذي زار مدينة مالي مظاهر هذا التعليم بقوله: "ومنها عنايتهم بحفظ القرآن العظيم وهم يجعلون لأولادهم القيود اذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه فلا تفك عنهم حتى يحفظوه..."(٢). ويصف الوزان طريقة التعليم في هذهِ المرحلة بقوله: "يعلمهم المعلم القراءة والكتابة وليس في كتاب معين بل الاستعانة بالواح خشبية كبيرة يكتب عليها التلاميذ ويقتصر الدرس كل يوم على آية من القرآن الكريم ويختم الطفل القرآن في سنتين أو ثلاث سنوات ثم يستأنف ذلك عدة مرات الى أن يُجيد الطفل تعلمه بصورة متقنة جداً ويحفظهُ عن ظهر قلب أو يدركه بعد انقضاء مدة سبع سنين ثم يعلم المعلم الأولاد بعد ذلك قليلاً من الخط"(٣).

وكان المعلم يحصل من اسر الأطفال على مبلغ مالي كل أسبوع وذلك بالاتفاق مع أهل القرية أو المدينة(٤). فقد أورد كعت أن عدد مدارس الصبيان كانت تتراوح ما بين مائة وخمسين ومائة وثمانين مكتباً، ويذكر كعت أنهُ قد حضر الى مكتب أحد الفقهاء وشاهد الصبيان وهم يأتون بخمس ودعات الى عشر حسب وضع أسرهم الاقتصادية، وقد حصل ذلك المعلم يومها على ألف وسبعمائة

---

(١) الدالي، الهادي، التاريخ الحضاري، ص١٦٣؛ المهندس فريد، المرجع السابق، ص٤٤٨.

(٢) الرحلة، ج٢، ص٥٣٥.

(٣) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٠.

(٤) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٢.

وخمسة وعشرين ودعة وكانت تلك الرسوم تدعى حق الأربعاء وأن عدد ألواح الطلاب مائة وثلاثة وعشرون لوحاً[١]. وكانت هذه المرحلة تتم في الكتاتيب[٢].

٢-**المرحلة الثانية:-** ويتخصص الطالب في هذهِ المرحلة بتعلم بعض المبادئ الفقهية وعلوم الحديث والفكر الإسلامي وكانت هذهِ المرحلة من التعليم تتم في المساجد ويحصل الطالب فيها على مجموعة من الدروس في اللغة العربية[٣]. وكانت مرحلة التعليم هذهِ تمتاز بأن الكتب التي تدرس فيها هي الكتب المبسطة وكان يتولى تدريسها غالباً من يسمون بالأشياخ[٤].

٣-**المرحلة الثالثة:-** كان هذا التعليم يتم على مستوى الجوامع ولم يكن مخصص للطلبة فقط بل يمكن لغير الطلبة الحضور وسماع الدرس، وكان الطلبة يجلسون على شكل نصف دائرة وفي مركزها الأستاذ[٥]. وكان يدرس فيها الطالب فناً معيناً أو علماً من العلوم يحصل به على إجازة علمية من شيخه تؤهله لكي يحتل مكانة مرموقة بين أقرانهُ وتكون هذهِ الإجازة دليلاً على قدرة الطالب لأن يكون معلماً[٦].

وفي هذهِ المرحلة يذهب عدد منهم الى المغرب الأقصى بهدف حضور مجالس العلم بفاس أو مراكش أو يتوجهون الى مصر والحجاز لدراسة وأداء الحج[٧].

---

(١) كعت، تاريخ الفتاش، ص٢١٩.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥١.

(٣) النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، ص١٩٠؛ محمد فاضل، تاريخ المسلمين، ص١٠٦؛ محمد الغربي، بداية الحكم المغربي، ص٥٥٢؛ سحر عنتر، فقهاء المالكية، ص٢٣٢.

(٤) زبادية، عبد القادر، ملامح الحركة العلمية في تمبكتو، ص١٣.

(٥) محمد الغربي، الحكم المغربي، ص٥٥٢.

(٦) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٣؛ كنان، محمد حمد، مظاهر الثقافة الإسلامية، ص٣٢.

(٧) الكانمي، احمد محمد، الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا، مطبعة الزهراء، (القاهرة، ١٩٨٧م)، ص٢١.

ثالثا- مناهج التعليم والمواد الدراسية:-

لقد وصفت الثقافة في غرب افريقيا عموماً وفي السودان الغربي خصوصاً بأنها ثقافة عربية إسلامية في أرض سودانية[١]. فلقد تأثرت مناهج التعليم في السودان الغربي عموماً بمنهج المغرب حيث كان العرف الجاري في التعليم أن يبدأ التلميذ بالكتاب فيتعلم القراءة فقط في أول امره فإذا وصل الى مرحلة يستطيع فيها أن يميز بين الحروف ويستطيع أن يقرأ باجتهاده يبدأ المؤدب بتعليمه الكتابة، وهذهِ هي مرحلة التعليم الاولي وفيها يحفظ التلميذ القرآن كله أو نصفه حسب قدرته وذكائه وقد يتعلم فيها بعض المبادئ الفقهية[٢]. وقد ذكر السعدي أن معلمي الكتاب في تمبكتو كانوا مجرد معلمي قرآن حتى الغزو السعدي[٣]. أما مناهج المرحلتين الثانوية والثالثة العالية فقد كانت واسعة حقاً، وكانت المواد الأساسية فيها هي: النحو وفقه اللغة والحديث والفقه والتفسير والتجويد والمنطق والحساب وكانت المناهج في المرحلتين مرتبطة ببعضها غالباً[٤].

ويذكر الوزان أن الكتب المغربية كانت تباع بأثمان عالية جداً في تنبكتو ووضح هذا بقوله: "ويباع هنا الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع"[٥]. ولقد كانت الكتب تُحمل من مختلف البلدان الإسلامية مثل المغرب ومصر الى بلاد السودان الغربي وتباع في أسواق المدن المالية مثل تنبكت وكانت هذهِ الكتب التي يغلب عليها الطابع المالكي نظراً لسيادة المذهب

---

(١) محمود، حسن احمد، الاسلام والثقافة العربية، ص٢٤٤؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٤.

(٢) كنان، محمد حمد، مظاهر الثقافة الإسلامية، ص٣١-٣٢؛ زبادية، عبد القادر، القرن١٦، ص٢١٥-٢١٦.

(٣) تاريخ السودان، ص١٨٠.

(٤) زبادية، عبد القادر، المرجع السابق، ص٢١٦.

(٥) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٠.

المالكي[١]. والكتب التي كانت تدرس في بلاد السودان الغربي[٢] هي موطأ الامام مالك[٣] ومدونة الأمام سحنون[٤] التي اشتهرت في غرب أفريقيا فتداولها العلماء والطلاب بالدراسة[٥]. وكتاب الشفا[٦] للقاضي عياض الذي نال شهرة كبيرة في غرب أفريقيا حيث كان يدرس في رمضان في مسجد سنكري[٧]. ومختصر خليل[٨] الذي نال شهرة عالية

---

(١) حسن أحمد، الإسلام والثقافة، ص٢٢٤.

(٢) المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٦.

(٣) هو أول كتاب ألف في تاريخ الاسلام ألفه الامام مالك بن أنس (ت ١٧٩هـ) بأمر من الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور حيث مكث في تأليفه ٤٠ سنه وقيل عنه انه أول كتاب أولف في شرائع الاسلام ونظراً لأهمية كتاب الموطأ في المذهب المالكي فقد اهتم به علماء المغرب الاسلامي واعتنوا به تفقهاً ودراسة وحفظاً، بروكلمان، تاريخ الادب العربي، تر: عبد الحليم النجار، ط٣، دار المعارف، (د.م، د.س) ج٣، ص٣٨١.

(٤) عبد السلام بن سعيد بن حبيب التنوخي المشهور ب(سحنون) (ت ٢٤٠هـ) اصله من الشام من اهل حمص من اهم كتبه المدونة الكبرى في الفقه المالكي التي تعد من اقدم الكتب بعد كتاب الموطأ، ينظر الخشني، ابو العرب محمد بن احمد (ت٣٣٣هـ) طبقات علماء افريقية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.س)، ص١٢٩- ١٣٠.

(٥) النحوي، الخليل، بلاد بشنقيط، ص١٨٤.

(٦) ابو الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي كان عالماً كبيراً تولى منصب القضاء وتوفيه سنة (٥٤٤هـ) ويعد كتابه (الشفا في التعريف بحقوق المصطفى) فهو في الحديث النبوي الشريف وقد نال شهره كبيرة في غرب افريقيا حيث كان يدرس في رمضان في مسجد سنكوري، ينظر المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (ت١٠٤١هـ)، ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقى واخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، (القاهرة، ١٩٣٩م)، ج٣، ص١١-١٢؛ السعدي، تاريخ السودان، ص ١٤٧.

(٧) السعدي، تاريخ السودان، ص١٤٧؛ رزق الله، مهدي، حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب افريقيا، ط١، مركز الملك فيصل، (الرياض، ١٩٩٨م)، ص٦٦٧-٦٦٩.

(٨) مؤلف هذا الكتاب هو خليل بن اسحاق بن موسى بن شعيب (ت ٧٧٦هـ) وهو حامل لواء المذهب المالكي في مصر ووضع هذا المختصر على مذهب ابن حاجب وسحنون ونال شهره كبيرة في معاهد التعليم في السودان الغربي، ينظر الجندي، خليل بن اسحاق (ت ٧٧٦هـ) مختصر العلامة خليل، تح: احمد جاد، ط١، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٥م)، ص٩-١٠؛ السعدي، السودان، ص١٥٦.

في معاهد التعليم في السودان الغربي[١]. ومختصر أبن الحاجب[٢].

والى جانب كتب الفقه كانت هناك كتب الحديث مثل الصحيحين صحيح بخاري الذي لقي رواجاً كبيراً في السودان الغربي وصلت الى حد التقديس في مدينة تنبكت فقد كان على رأس كتب الحديث التي أولاها علماء وطلاب السودان الغربي عنايتهم[٣]. وصحيح مسلم الذي أهتم به أهل السودان الغربي الى درجة أنهم كانوا يقسمون عليه مثل القرآن وكان من الكتب الدراسية المهمة[٤]. وفي النحو كانت تدرس ألفية أبن مالك[٥] التي نالت أهمية كبير في السودان الغربي[٦]. وفي السير والتاريخ كانت تدرس السيرة النبوية لأبن هشام[٧].

وقد حرص سلاطين مالي على اقتناء هذهِ الكتب والتأليف حيث يقول المقريزي عن السلطان منسى موسى: "وأشترى عدة كتب من فقه المالكية"[٨].

---

(١) السعدي، المصدر السابق، ص١٥٦؛ رزق الله، مهدي، حركة التجــارة، ص٦٧٧-٦٧٨؛ رزق الله، مهدي، المرجع السابق، ص٦٧٦؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٧-٤٥٨.

(٢) مؤلف هذا المختصر هو عثمان بن عمر بن يــونس جمــال الــدين المصــري (٥٧٠-٦٤٦هــ) اشتهر مختصره في المغرب وغربي افريقيا فهو يعد من اهم الكتب الفقهية التي حظيت باهتمام العلماء في القرن الثامن هجري، ميغا، عبد الرحمن محمد، الحركة الفقهية ورجالها، منشورات وزارة الاوقاف، (المملكة المغربية،٢٠١١م)، ص١٤٢.

(٣) السعدي، المصدر السابق، ص١٥٢؛ رزق الله، مهدي، المرجع السابق، ص٦٨٣-٦٨٤.

(٤) رزق الله، مهدي، المرجع السابق، ص٦٨٤-٦٨٥.

(٥) مؤلفها هو محمد بن عبدالله ابن مالك بدر الدين الشافعي الاندلسي (ت٦٧٢هــ) فقد جمــع هذا الرجل قواعد اللغة العربية في هذه التي عرفت بالخلاصة ولكنها اشــتهرت بالألفيــة لأنها مكونة من الف بيت وقد نالت اهمية كبيرة في غرب افريقيا، الخليل النحوي، بــلاد شنقيط، ص١٨٥.

(٦) النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، ص١٨٥؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٤٥٨.

(٧) السعدي، تاريخ الســودان، ص١٥٣؛ رزق الله، مهــدي، المرجــع الســابق، ص٦٨٥؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٤٥٨.

(٨) الذهب المسبوك، ص١٦٧.

رابعا- الكتابة:-

كانت طريقة الكتابة في بلاد السودان الغربي على طريقة المغاربة ويقول القلقشندي في ذلك: "وكتابتهم بالخط العربي على طريقة المغاربة"(١).

وقد برزت هذهِ الطريقة في الكتابة في النصوص العربية المصورة والكتب المنشورة والوثائق والمخطوطات، ومن خاصية هذهِ الكتابة أن حرف الفاء توضع النقطة أسفل الحرف هكذا (ف) كما يستبدل حرف القاف بنقطة واحدة وتوضع فوق الحرف هكذا (ف)(٢). فقد تأثرت طريقة الكتابة عند أهالي السودان الغربي بما هو معروف عند المغاربة في الهندسة ونقوشها والخط وأعجام الحروف وترتيبها ويظهر ذلك فيما تحفل به جدران المساجد بالمنطقة من خطوط مختلفة وتتحلى به من رسوم وآيات قرآنية حيث أن النقوش التي وجدت بالمساجد كان يستخدم فيها الخط الكوفي والخطوط الهندسية في كتابة الآيات القرآنية(٣).

خامسا- مراكز العلم والثقافة الإسلامية في السودان الغربي:-

لقد اشتهرت بلاد السودان الغربي بمراكزها العلمية والثقافية، واشتهرت أيضاً بعض المدن بمساجدها ومدارسها ومعاهدها العليا مثل تمبكتو وجني وغاو، وكانت المؤسسات الثقافية والتعليمية تعرف بمنارات العلم والعبادة وكانت هذهِ المنارات متعددة(٤). ومن أشهر هذهِ المراكز هي:-

١-مدينة تنبكتو:-

اضطلعت تمبكتو بدور مزدوج في أثراء الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا فهي منذ البداية مدينة إسلامية "ما دنستها عبادة الاوثان ولا سجد على أديمها قط لغير الرحمن"(٥). وكذلك كونها مركزاً تجارياً بحكم موقعها على

---

(١) صبح الاعشى، ج٥، ص٢٨٠.

(٢) غيث، امطير سعد، التأثير العربي، ص١٩٦؛ الدهماني سالم، الجاليات، ص٧٦٦.

(٣) شوقي عطاالله الجمل، أفريقيا الغربية، ص١٥١-١٥٢؛ غيث، أمطير سعد، المرجع السابق، ص١٩٦.

(٤) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦؛ مبخوت بودواية، أعلام من السودان الغربي، ص١٨٠.

(٥) السعدي، السودان، ص٢١.

طرق القوافل التي تربط شمال أفريقيا بالسودان الغربي[١]. وقد ازدهرت مدينة تمبكتو في مجال التعليم ونشر الثقافة الإسلامية إذ انتشر العرب والبربر فيها يعلمون القرآن الكريم والكتابة العربية وكان أبناء المشايخ يأتون الى تمبكتو لتحصيل العلم[٢]. وبذلك أصبحت تمبكتو مركزاً علمياً واقتصاديا ذائع الصيت بين مدن السودان الغربي وبرزت فيها دور العلم والعبادة وشيدت المساجد والجوامع التي أصبحت جامعات إسلامية ومعاهد علمية تضم المتشوقين للعلم من الطلبة والعلماء الذين يفدون اليها من كل مكان من العالم الإسلامي، وقفت هذهِ المدينة على قدم المساواة مع العواصم الاسلامية في المغرب ومصر والحجاز وبغداد والاندلس في مجال العلم والثقافة الإسلامية وقامت بدور ثقافي بارز في السودان الغربي كله ولا سيما في عهد مملكة سنغاي العهد الذهبي لتمبكتو وكانت زاخرة بالعلوم، يؤممها الطلاب والعلماء والفقهاء من كل حدب وصوب من شمال افريقيا والمغرب ومن المشرق الإسلامي ومن السودان[٣].

ولما زار الحسن الوزان تمبكت في حدود عام (٩١٧هـ/١٥١٢م) رأى بها عدداً كبيراً من العلماء والقضاة والائمة وأنهم يلقون التشجيع من الحاكم الذي يقدم لهم رواتب، كما أنهُ يكرم الادباء ويغدق عليهم الأموال ومما لفت نظر الوزان في هذهِ المدينة ازدهار تجارة الكتب المخطوطة التي يجنى من ورائها الباعة أرباحاً تفوق أرباح السلع الأخرى مما يدل على اهتمام الناس بالكتب وشغفهم بها[٤].

وفي عهد منسى موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) شهدت تنبكتو نشاطاً علمياً منقطع النظير وازدهرت فيها الثقافة العربية الإسلامية وبنى فيها

(١) فوزية يونس، التأثيرات الحضارية، ص٧٠.

(٢) بلولة، أبراهيم محمد أحمد، الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، مجلة دراسات دعوية، عدد٩، ٢٠٠٥م، ص٨١-٨٢.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٢١-٢٣؛ كعت، الفتاش، ص١٧٨-١٨٠؛ ميغا، أبو بكر أسماعيل، الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ط١، مكتبة توبة، (السعودية، ١٩٩٧م)، ص٥٢-٥٣.

(٤) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦٧؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، مراكز الحضارة، ص٧٢.

المسجد الجامع الكبير سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٤م)[١]. فقد كانت تمبكتو تضم ثلاثة مساجد هامة وهي المسجد الجامع الكبير ومسجد سنكري ومسجد سيدي يحيى وهذهِ المساجد الثلاثة أصبحت بمثابة جامعات ومعاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية وحققت هذهِ المساجد أهدافها التعليمية والثقافية والتربوية وتخرج منها القضاة والعلماء والأدباء والمؤرخون[٢]. وقد تحدث السعدي عن العلماء الاخيار والصالحين وذوي الاموال الذين وفدوا على تمبكتو وسكنوها من مختلف أنحاء العالم الإسلامي من مصر والحجاز وفاس والقيروان وبلاد الغرب وبين أن هؤلاء الأخيار من العلماء الذين سكنوا تمبكت أتخذوا مساجدها مدارس يحفظون الناس فيها القرآن الكريم ويفقهونهم في دينهم وينشرون الثقافة العربية الإسلامية[٣]. وقد كانت مدينة تمبكتو في عهد آل أسكيا ولاسيما في عهد أسكيا محمد (٨٩٨-٩٢٥هـ/١٤٩٣-١٥٢٩م) وأسكيا داود (٩٥٦-٩٩١هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) من أبرز مراكز الثقافة العربية الإسلامية في السودان الغربي ففي هذا العهد تكامل بناؤها في الالتصاق والالتئام بجوامعها ومعاهدها وكتاتيبها ومدارسها وتمتع العلماء فيها بمكانة مرموقة فقد درج ملوك وسلاطين سنغاي على إصدار مراسيم تجعل شخص العالم وولده وماله حراماً لا يمس بسوء طيلة حياته وكان لهذا الجو من الطمأنينة الذي وفره هؤلاء الحكام لعلماء تمبكتو اكبر الأثر في تقدم العلوم وازدهار الثقافة العربية الإسلامية في جامعة تمبكتو[٤].

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص٨ و ص٥٦-٥٧.

(٢) ميغا، أبو بكر، الحركة العلمية والثقافية والاصلاحية، ص٥٦.

(٣) تاريخ السودان، ص٢١-٢٢.

(٤) المصدر نفسه، ص٢١-٢٢؛ كعت، الفتاش، ص١٠٦؛ ميغا، أبو بكر، المرجع السابق، ص٦٢-٦٣.

٢-مدينة جني:-

تعد مدينة جني من أقدم المدن السودانية التي لعبت دوراً ثقافياً وتجارياً مهماً في منطقة السودان الغربي[١].

وقد ذكر السعدي أنهُ كان يوجد في هذهِ المدينة في القرن (السادس هجري/ الثاني عشر ميلادي) "أربعة الاف ومائتا عالم"[٢]. ورغم أن هذا الرقم مبالغ فيه الا أنهُ يؤكد لنا وجود أعداد كبيرة من الدعاة والعلماء العرب المسلمين الذين أسهموا بلا شك في الازدهار الثقافي والحضاري والعلمي وفي أيصال المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الى هذهِ المنطقة ونشر العقيدة الإسلامية في هذهِ البلاد منذ وقت مبكر[٣]. فقد أصبحت مدينة جني تنافس مدينة تنبكتو منذ (القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) من حيث الأهمية التجارية حيث أحتلت المكانة الثالثة من الناحية التجارية بعد تنبكتو وجاو، أما من الناحية الثقافية فقد أحتلت المرتبة الثانية بعد تنبكتو[٤].

ونظراً لكونها مركزاً مهماً من مراكز الثقافة في السودان الغربي فقد اشتهرت فيها أسواق العلوم والمعارف ورحل اليها العلماء والصالحون من كل مكان ويؤكد السعدي ذلك بقوله: "وقد ساق الله تعالى لهذهِ المدينة المباركة سكاناً من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى"[٥]. ولذلك حظيت مدينة جني بالعلماء الذين وفدوا عليها من المغرب الأقصى وتنبكتو وظهر دورها كمركز للإشعاع الثقافي في مالي حيث أنارت حلقات العلم مساجدها من منتصف الليل وحتى صلاة الصبح وبعد الصلاة يجلسون حول العلماء الى الزوال تتخللها

---

(١) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ص١٧١؛ محمد الغربي، الحكم المغربي، ص٥٨٠؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٥٠٨.

(٢) تاريخ السودان، ص١١٤.

(٣) المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٥٠٩-٥١٠.

(٤) الاحمر، أسماء أحمد، الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية، ط١، دار الكتب الوطنية، (سنغاي، ٢٠٠٨م)، ص١٣٣-١٣٤.

(٥) السعدي، المصدر السابق، ص١١٧؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٥١١.

فترة راحة يذهب فيها المعلم الى داره، وتبدأ الدراسة من جديد بعد صلاة الظهر الى صلاة العصر[١]. وقد قام هؤلاء العلماء بتأسيس المساجد واتخذوها مدارس لتعليم الصبيان القرآن والعلوم الإسلامية واللغة العربية وعلومها حتى أصبحت تضاهي تنبكت في ازدهارها الثقافي[٢].

وكان سلاطين آل أسكيا يهتمون بها ويعينون لها قضاة صالحين ويساعدون القاضي على بناء مأوى لطلاب العلم وبناء المساجد وكان فيها كثير من العلماء والفقهاء وطلاب العلم[٣].

وقد كان أشهر معهد لتعليم الثقافة العربية الإسلامية وسائر العلوم العربية الإسلامية هو المسجد الجامع الذي أصبح منذ تأسيسه مركزاً ومعهداً للدراسات الإسلامية واللغوية وكان يضاهي معاهد تنبكتو[٤].

٣-مدينة جاو:-

تمتعت مدينة جاو بقدر كبير من الثقافة والمعرفة جعلت الباحثين يصورونها على أنها كانت تناظر مدن الثقافة السودانية تنبكت وجني في تفوقهما العلمي فغدت بذلك عاصمة للفكر كما هي عاصمة للسياسية[٥].

حيث وفد عليها بعض العلماء الذين أخذوا ينشرون الإسلام وثقافته فيها واستمروا في نشر الإسلام بين الأهالي حتى أسلم على يد بعضهم ملك سنغاي في ذلك الوقت وهو زاكسي سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) ويقال له مسلم دم معناه أسلم طوعاً بلا أكراه[٦]. وتؤكد شواهد القبور التي عثر عليها رجال الاثار في مدينة غاو وعلى وجود شواهد رخامية لقبور ملوك السنغاي كتب على أحدها باللغة العربية الفصحى

---

(١) السعدي، تاريخ السودان، ص١١٧؛ المهندس، فريد، العلاقات، ص٥١١.

(٢) ميغا، أبو بكر أسماعيل، الحركة العلمية، ص٢١٨.

(٣) السعدي، المصدر السابق، ص١٦-١٧؛ ميغا، أبو بكر، المرجع السابق، ص٢١٨.

(٤) السعدي، المصدر السابق، ص١٢-١٣؛ ميغا، أبو بكر، المرجع السابق، ص٢٢٣.

(٥) الحسن الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١؛ السعدي، المصدر السابق، ص٦١-٦٢؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٥١٢؛ ميغا، أبو بكر، المرجع السابق، ص٤٨.

(٦) سينيكي مودي، السنغاي، ص٢٠٠؛ ميغا، أبو بكر أسماعيل، المرجع السابق، ص٤٨.

(هنا قبر الملك الذي أيد دين الله وأعزه أبو عبدالله محمد رحمه الله وتاريخ وفاته سنة (٤٩٤هـ/١١٠٠م)، وشاهد آخر مستطيل من حجر الكوارتز لقبر كتب عليه هذا قبر محمد أبن الجمعة رحمة الله عليه توفي يوم الجمعة السادس من شعبان (٤٩٦هـ/١١٠٣م)، وشاهد آخر من مدينة غاو من الحجر الأخضر والأصفر كتب عليه: كل من عليها فان وكل نفس مقبوضة الى بارئها هذا قبر حواء بنت محمد رحمة الله عليها توفيت ليلة الخميس الثاني عشر من رمضان (٥٣٤هـ/١١٤٠م)[١]. وأن هذهِ الشواهد من القبور التي كتبت عليها باللغة العربية الفصحى تؤكد لنا قوة الثقافة العربية الإسلامية وازدهارها في تلك المدينة وانتشار الإسلام واللغة العربية فيها قبل زمن أصحاب هذهِ القبور بوقت مبكر جداً[٢].

وقد أتخذ العلماء والفقهاء المساجد التي بنيت في مدينة غاو مدارس لتدريس القرآن الكريم وحفظه وتدريس سائر العلوم ويفقهون الناس في دينهم وعندما كانت مملكة سنغاي خاضعة لإمبراطورية مالي أهتم ملوكها بنشر الثقافة العربية الإسلامية في مدينة غاو بصفة خاصة فقد أمر السلطان منسى موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) المهندس المعماري أبا إسحاق الساحلي ببناء المسجد الجامع في غاو فبنى له مسجداً جامعاً عام (٧٢٥هـ/١٣٢٤م) صار جامعة إسلامية يؤممها العلماء والطلاب من كل مكان[٣].

وعندما زارها أبن بطوطة وصفها بأنها مدينة عظيمة من مدن السودان وأشار الى وجود عدد من المغاربة بها وذكر أن بها مسجداً للبيضان بقوله: "وهي مدينة كبيرة على النيل من أحسن مدن السودان وأكبرها وأخصبها ... وأضافني بها محمد بن عمر من أهل مكناسة وكان ظريفاً فاضلاً وتوفي بها بعد خروجي عنها وأضافني بها الحاج محمد الوجدي التازي ... والفقيه محمد الفيلالي أمام مسجد البيضان"[٤].

---

(١) سينيكي مودي، المرجع السابق، ص٢٠٠-٢٠٢.

(٢) ميغا، أبو بكر أسماعيل، الحركة العلمية، ص٤٩.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٦١-٦٢؛ المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٥١٣؛ ميغا، أبو بكر، المرجع السابق، ص٥٠.

(٤) الرحلة، ج٢، ص٥٦٠.

وفي عهد آل أسكيا بلغت مدينة غاو أقصى درجة من الازدهار في النشاط الثقافي والتجاري والصناعي لموقعها الجغرافي فقد وصفها الحسن الوزان بالمدينة الكبيرة وقال عنها: "وهذهِ المدينة مطمئنة بالأمان أكثر من تمبكت"[١].

٤-مدينة نياني:-

كانت مدينة نياني عاصمة مملكة مالي الإسلامية من المراكز الثقافية المهمة والتي يرجع الفضل في تأسيسها الى مؤسس مملكة مالي ماري جاطة (سندیانا كيتا) (٦٢٨-٦٥٣هـ/١٢٣٠-١٢٥٥م) لتكون عاصمة لدولته بدلاً من جارب وانتقل أليها عام (٦٣٨هـ/١٢٤٠م) وكان موقعها على نهر النيجر وعرفت باسم نياني أو مالي[٢]. وقد أشار العمري أيضاً الى هذهِ المدينة بقوله: "أعلم أن هذهِ المملكة في جنوب نهاية المغرب متصلة بالبحر المحيط قاعدة الملك بها مدينة نيني"[٣]. وأشار اليها في موضع آخر بقوله: "وإقليم مالي الذي به قاعدة الملك مدينة نيني"[٤].

فقد ازدهرت مدينة نياني أزدهاراً عظيماً في عهد منسا موسى الذي بنى لهُ المهندس المعماري أبو إسحاق الساحلي المساجد والقصور وأشترى عدداً كبيراً من الكتب في الشريعة الإسلامية الى مالي من مصر والحجاز[٥].

وأشار ابن بطوطة الى أنها كانت حافلة بالعلماء والفقهاء والقضاة والخطباء وذكر أن هؤلاء جميعاً كانوا يتمتعون بمكانة سامية ومن هؤلاء العلماء الذي حفلت بهم مدينة نياني القاضي عبد الرحمن ومحمد بن الفقيه الجزولي كبير جماعة البيضان في مالي والذي كان مصاهراً للأسرة المالية الحاكمة حيث كان متزوجاً

---

(١) وصف أفريقيا، ج٢، ص١٨٠؛ ميغا، الحركة العلمية، ص٥٠.

(٢) طرخان، دولة مالي، ص٤٢؛ زكي، عبد الرحمن، تاريخ الدول الإسلامية، ص٩٧؛ محمود، حسن أحمد، الاسلام والثقافة، ص٢٢١.

(٣) مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٠.

(٤) المصدر نفسه، ج٤، ص١٠١.

(٥) المهندس، فريد عبد الرشيد، العلاقات، ص٥١٥؛ غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص١٩٠.

من بنت عم السلطان(١). وأستمراراً للنهضة العلمية التي شهدتها مملكة مالي في عهد منسا موسى (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) حرص أخوة منسا سليمان (٧٤١-٧٦٢هـ/١٣٤٠-١٣٦٠م) على السير على نهجه في الاهتمام بالعلم والعلماء فقد قام بتشييد المساجد والجوامع التي يجتمع فيها الناس للعبادة كما أنهُ أستقدم الفقهاء على مذهب الأمام مالك الى بلاده ومن ثم أصبح من أشهر سلاطين مالي المهتمين بالعلوم الإسلامية والثقافة العربية الاسلامية(٢).

كما زارها أيضاً الحسن الوزان في مطلع القرن (العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) ووصفها بأنها كانت مسكنا للملك والحاشية وبها مساجد كثيرة وأئمة ومعلمون يعلمون القرآن الكريم وعلوم الدين وأطلق اسمها على سائر المملكة(٣). وبهذا فأن نياني قد لعبت دوراً ثقافياً هاماً لا يقل عما لعبته غيرها من حواضر الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة(٤).

٥-مدينة ولاتة:-

وهي مدينة من المدن التجارية التي تستقبل القوافل التجارية القادمة من المغرب الأقصى الى السودان الغربي وهي حالياً من مدن موريتانيا وتقع على بعد ٤٥٠كم غرب تمبكتو ولا يعرف بالضبط سنة تأسيها الا أنها كانت قبل تمبكتو وقد اكتسبت بفضل موقعها على الطرق التجارية مركزاً مهماً(٥). وقد جعلتها قبائل مسوفة عاصمة لهم فجاء اليها الكثير من تجار البربر(٦).

وقد انتعشت الحركة الثقافية في ولاتة بسبب موقعها الجغرافي المهم على الطرق التجارية أكسبها مركزاً مهماً الى القرن (السابع الهجري/الثالث عشر

---

(١) الرحلة، ج٢، ص٥٣٩؛ المهندس، فريد، المرجع السابق، ص٥١٥.

(٢) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٠؛ عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الافريقي، ص٤٠.

(٣) وصف افريقيا، ج٢، ص١٦٤.

(٤) غيث، أمطير، التأثير العربي، ص١٩١.

(٥) النحوي، الخليل، بلاد شنقيط، ص٦٩؛ فوزية يونس، التأثيرات الحضارية، ص٧٧-٧٨.

(٦) الوزان، وصف أفريقيا، ج٢، ص١٦١.

الميلادي)[١]. وكذلك انتعشت بفضل العلماء المهاجرين أليها من مختلف المناطق ومن هؤلاء يحيى الكامل المحجوب جد قبيلة المحاجيب وهو من علماء القرن (السادس الهجري/الثاني عشر ميلادي) الذي ذكر بأنه كان معاصراً للشيخ عبد القادر الكيلاني[٢].

وقد أشار اليها أبن بطوطة الذي زارها في القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) باسم أيوالاتن بقوله: "ثم وصلنا الى مدينة أيوالاتن في غرة ربيع الأول بعد سفر شهرين كاملين من سجلماسة وهي أول عمالة السودان"[٣]. وذكر أبن بطوطة أنها تحت سلطان مالي المباشر إذ يحكمها نائب عنه "نائب السلطان بها فربا حسين"[٤].

ومما يشير الى أهميتها كمركز ثقافي مهم في مالي ما ذكره ابن بطوطة عن أهلها وإكرامهم له وكذلك قاضيها بقوله: "وكانت إقامتي بإيوالاتن نحو خمسين يوماً وأكرمني أهلها وأضافوني منهم قاضيها محمد بن عبدالله بن ينومر وأخوه الفقيه المدرس يحيى"[٥].

ومما يدل على ازدهارها ثقافياً حديث أبن بطوطة عن أهل مسوفة المقيمين بإيوالتن وحرصهم على الصلاة وتعلم الفقه وحفظ القرآن فيقول: "وأما هؤلاء فهم مسلمون محافظون على الصلوات وتعلم الفقه وحفظ القران"[٦]. وهذا يدل دلالة واضحة على أهميتها كمركز ثقافي وتعليمي لتحفيظ القرآن وعلوم الفقه[٧].

---

(١) فوزية يونس، المرجع السابق، ص٧٨٠.

(٢) النحوي، الخليل، المرجع السابق، ص٦٩.

(٣) الرحلة، ج٢، ص٥٢٥.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٢٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٢٥.

(٦) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٢٦.

(٧) المهندس، فريد، العلاقات، ص٥١٦.

سادسا- العلماء:-

حظي العلماء في بلاد السودان الغربي بمنزلة كبيرة جداً فقد أعتقد أهالي السودان الغربي الولاية والصلاح في العلماء والفقهاء ونسبوا إليهم الكرامات وكانوا يقيمون الأضرحة لمن مات منهم ويتقدمون بالذبائح الى تلك المقامات(١).

وقد أهتم سلاطين السودان الغربي كثيراً بالعلماء حيث ساهموا في تدعيم ودفع الحركة الثقافية والعلمية في بلادهم وشجعوا واحترموا العلماء والفقهاء وأسقطوا عنهم تكاليف السلطنة(٢) وغراماتها ومنعوا عنهم ظلم أمراء الأقاليم بحيث كان للأسكيا في دولة سنغاي وحده حق النظر في أية شكوى ضد عالم أو فقيه(٣).

وقد ساهم وجود العلماء من العرب والبربر في ازدهار الحياة العلمية في بلاد السودان الغربي، إذ تميزت قبيلة كنتة بكثرة التأليف وكانت تجارة أبنائها هي العلم وطلب المعرفة وكانوا معروفين بالتنافس في سبيل العلم ومحبتهم له وشغفهم باقتناء المخطوطات ولعل من أبرز الأسباب التي جعلت هذهِ القبيلة تمتلك كل هذا الكم، الهائل من المخطوطات هي حركة التأليف التي امتازت بهِ هذهِ القبيلة وما توارثوه كابر عن كابر وخلف عن سلف من ولوع وشغف بالعلم، حيث ألف الكنتيون في التاريخ والفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة والصرف. كما أن حبهم للعلم وأهله جعلهم يسرفون على أنفسهم في التنافس في نسخ المخطوطات وشرائها بأغلى الأثمان بل كان فيهم من يطلب الناسخ ويمكث عنده لنسخ المخطوطات لفترة تزيد عن العام وأن دل هذا على شيء فإنما يدل على ولوع هذهِ

---

(١) محمد الغربي، الحكم المغربي، ص٥١٤؛ غيث، أمطير سعد، آل بغيغ الونكرين ودورهم الثقافي في السودان الغربي، مجلة جامعة الزيتونة، ليبيا، ٢٠١٤م، عدد ١١، ص١٦.

(٢) هي عبارة عن مجموعة من الأعمال تقع على كاهل الرعية تجاه السلطة الحاكمة أو الدولة أو المجتمع مثل شق الترع وإقامة الجسور وضيافة جيش الدولة عند مروره بأحد أقاليم السلطنة وكذلك ركب السلطان أو العمل بمزارعه، كعت، تاريخ الفتاش، ص١٨.

(٣) كعت، المصدر نفسه، ص٧٣؛ غيث، أمطير سعد، المرجع السابق، ص١٦.

القبيلة بالعلم والمخطوط[١]. وقد عرف الكنتيون بتنميقهم للمخطوطات حفاظاً عليها من التأكل إذ استعملوا التسفير والتجليد بحيث يكون من جلد الضأن أو الماعز المدبوغ دبغاً جيداً ثم يصبغ بالأحمر ويبطن بالورق المقوى والثياب القطنية[٢].

ولقد كان لعائلة أقيت دور بارز في مجال التعليم فقد ظهر منهم علماء بارزون في مجال التدريس[٣]. وكان لهذه العائلة أثر واضح في التعليم والتدريس فقد قاموا بتدريس عدد من العلوم المختلفة سواءٍ العربية او الفقهية وظهر منهم من ذاعت شهرته داخل تنبكت أو خارجها[٤]. فقد كان لهم دور في مرحلة التعليم العالي الذي كان يعتمد أساساً على الكتب المهمة والشروح وعلى الأستاذ الذي كان يحيط بكل جزيئات الموضوع الذي يُدرسه فقد كان جوهر التعليم في هذه المرحلة يعتمد على شرح النصوص واستيعابها والتعليق عليها وفقاً للأسلوب التعليمي التقليدي[٥].

وأما عن أهم العلوم التي قاموا بتدريسها فنجد أن علوم اللغة والنحو كانت من أهم هذهِ العلوم لان تعلم القرآن والعربية من أهم الضروريات، وقد أرتبط الإسلام باللغة العربية واحتلت عندهم مكانة القداسة لأنها لغة القرآن وعن طريق معرفتها يتم التعرف على علوم الدين جميعها فأصبح أساس التعليم هو حفظ القرآن وتفسيره ودراسة اللغة العربية والعلوم الإسلامية[٦]. وقد حظي علم الحديث باهتمام علماء هذه العائلة فقد كان الفقيه احمد اقيت (ت٩٩١هـ/١٥٨٤م) يدرس صحيح

---

(١) آل المغيلي، الصديق الحاج أحمد، من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي، دار الغرب، (د.م، د.س)، ص٢٤؛ خديجة عنيشل، التراث الكنتي المخطوط، ص١٠٧-١٠٨.

(٢) آل المغيلي، المرجع السابق، ص٢٥؛ خديجة، المرجع السابق، ص١٠٨.

(٣) محمد، سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٤٧.

(٤) المرجع نفسه، ص١٥٠.

(٥) محمد الغربي، الحكم المغربي، ص٥٤٩؛ مودي سيسوكو، الصنغاي، ص٢٢؛ محمد، سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٥٠-١٥١.

(٦) طرخان، أبراهيم، الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي الأوسط، مجلة جامعة ام درمان، عدد٢، ١٩٦٩م، ص٣١-٤١.

البخاري ومسلم مدة طويلة في مسجد سنكري[١]. وقد أهتمت هذهِ العائلة كذلك بعلم التفسير والفقه وخصصوا دروسهم الرئيسة فيه فكان لزاماً عليهم أن يستوعبوا الكتب الفقهية المصدرية وكتب النوازل الهامة ثم يقوموا بتدريسها على تلاميذهم وتطلب منهم هذا أن يكونوا ملمين بكل شيوخ المذهب[٢]. وكذلك اهتموا بدراسة السيرة النبوية وكانت دراستها ضرورة لمن يريد أن يكون معلماً فكان الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت يحافظ على سنة رسول الله (صلى الله عليه وأله وسلم) وكان يداوم على قراءة كتاب الشفا لعياض في مسجد سنكري[٣]. ومن العلوم التي قامت هذهِ العائلة بتدريسها علم التوحيد والمنطق فقد قام بتدريسه وتفوق في ذلك الفقيه محمود بن عمر (ت٩٥٥هـ/١٥٤٨م) الذي أشتهر بأنهُ أحيا العلم في تنبكت وزاد عدد طلابه وكثروا وقاموا بتدريس علوم مختلفة لمدة خمسين عاماً[٤]. وهكذا تعددت العلوم التي قام بتدريسها أفراد عائلة أقيت ونبغوا فيها ولم يقتصر دورهم التعليمي على طلاب العلم فقط بل كان لهم دور في تعليم عدد من العلماء الذين ذاعت شهرتهم سواءً في تنبكت أو خارجها فنجد مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (ت٩٤٠هـ/١٥٣٣م) وهو من العلماء المشهورين وقد أخذ العلم على يد عبدالله بن عمر محمد أقيت (ت٩٢٩هـ/١٥٢٢م) ثم قراء عليه الرسالة ثم قام بالتدريس في تنبكت[٥].

---

(١) أحمد بابا، نيل الابتهاج، ص١٤٢؛ السعدي، السودان، ص٣٢-٣٣؛ سوزي أباظة، عائلة أقيت، ص١٥١.

(٢) سوزي أباظة، المرجع السابق، ص١٥٢.

(٣) السعدي، المصدر السابق، ص٣٣-٣٧؛ الولاتي، فتح الشكور، ص٣٠.

(٤) التمبكتي، نيل الأبتهاج، ص٦٠٧؛ السعدي، السودان، ص٣١-٣٨؛ عبد القادر زبادية، مملكة سنغاي، ص١٣٨.

(٥) التمبكتي، المصدر السابق، ص٦٠٨؛ البرتلي، فتح الشكور، ص١٤٦.

أما علماء هذه الأسرة الذين يعتبرون من أعظم العلماء الذين لهم أثر بارز في الحياة العلمية والثقافية في بلاد السودان الغربي ويمثلون العنصر الغالب في الحركة الفكرية والثقافية في السودان الغربي كله[١]. نذكر منهم:-

١-الفقيه عبدالله بن عمر المولود سنة (٨٨٦هـ/١٤٨٤م) والمتوفي سنة(٩٢٩هـ/١٥٢٢م) كان من الفقهاء الحفاظ الذين قاموا بالتدريس في تمبكت ونشروا الثقافة الإسلامية في ربوعها فقد نبغ في النحو والفقه واللغة وكان ضليعاً بها[٢].

٢-الفقيه أحمد بن عمر بن محمد اقيت (ت٩٤٢هـ/١٥٣٥م) الذي ذاعت شهرتهُ في علوم اللغة وآدابها فكان ذا فصاحة في الادب وقد أشتغل بالتدريس وكان مداوم على تدريس مدونة الأمام سحنون طوال حياته حتى توفي سنة (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) عن نحو ثمانين سنة[٣].

٣-الفقيه أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت: لقد أثر هذا العالم في الحركة العلمية والثقافية التي ازدهرت في تمبكت وسائر بلاد السودان الغربي كثيراً وذلك بسبب تأليفه الكثير من الكتب منها شرح مخمسات العشرينيات الفازارية لأبن مهيب في مدح النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وشرح منظومة المغيلي في المنطق وألف في الأصول وغيره الكثير وجلس لتدريس صحيح البخاري ومسلم في رجب وشعبان ورمضان حتى توفي سنة (٩٩١هـ/١٥٨٤م)[٤]. ولما مرض في غاو عاصمة السنغاي كان السلطان أسكيا داود (٩٥٦-٩٩٠هـ/١٥٤٩-١٥٨٢م) أعظم سلطان في السودان الغربي (يزوره ويأتيه

---

(١) ميغا، أبو بكر أسماعيل، أشهر علماء تمبكت وجني، ص٢١٥.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٧؛ التمبكتي، نيل الابتهاج، ص١٦١.

(٣) التمبكتي، نيل الابتهاج، ص١٣٨-١٤٣؛ السعدي، المصدر السابق، ص٣٢-٣٣؛ البرتلي، فتح الشكور، ص٢٧-٣٠؛ الهادي الدالي، التاريخ الحضاري، ص٢١.

(٤) التمبكتي، نيل الابتهاج، ص١٤٢؛ السعدي، السودان، ص٣٢-٣٣؛ البرتلي، فتح الشكور، ص٢٩-٣٠.

بالليل ويسمر عنده حتى برئ احتراما له وكان جامعاً للكتب واخر الخزانة محتويه على كل علق نفيس سموحاً بإعارته..."[١].

٤-القاضي أبو البركات الفقيه محمود بن عمر بن محمد أقيت (٨٦٨-٩٥٥هـ/١٤٦٣-١٥٤٨م): قال عنه أحمد بابا التمبكتي: "هو قاضي تمبكت وأبو المحاسن عالم التكرور وصالحها ومدرسها وفقيهها وأمامها بلا مدافع..."[٢]. فقد كان الى جانب توليه منصب القضاء يقوم بالتدريس وأشتهر بذلك حتى كثر طلبته في حلقة التدريس وكان اكثر ما يدرس المدونة والرسالة ومختصر خليل والالفية وغيرها من الكتب المالكية الشائعة وكان طلبته يسجلون دروسه عن مختصر خليل فأخرجوها شرحاً في مجلدين وأنتشر هذا الشرح، وعنه أنتشر قراء ومعلموا مختصر خليل في غربي افريقيا[٣].

٥-القاضي محمد بن محمود (٩٠٩هـ-٩٧٣هـ/١٥٠٣-١٥٦٦م) تولى القضاء بعد وفاة أبيه محمود بن عمر وصفه التنبكتي بأنه: "ذا فهم ثاقب وذهن صاف فهاما دراكا من دهاة الناس"[٤]. فقد كان عالماً جليلاً ولم يكن له نظير في عمره في الفهم والدهاء ورجاحة العقل[٥].

٦-القاضي العاقب بن محمود بن عمر (٩١٣-٩٩١هـ/١٥٠٧-١٥٨٣م): تولى القضاء بعد وفاة أخيه وقال عنهُ السعدي: "كان عالماً جليلاً ثاقب الذهن قوي القلب صلباً في الحق ... قد ملأ أرضهُ بالعدل حيث لا يعرف لهُ نظير في وقته وكان الى جانب توليه القضاء يقوم ببناء المساجد وترميم القائم منها وتوسعته..."[٦]

---

(١) السعدي، السودان، ص٤٢-٤٣.

(٢) نيل الابتهاج، ص٦٠٧-٦٠٨؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٣٨.

(٣) التمبكتي، المصدر السابق، ص٦٠٧-٦٠٨؛ السعدي، المصدر السابق، ص٣٨-45.

(٤) نيل الابتهاج، ص٦٠٨-٦٠٩.

(٥) المصدر نفسه، ص٦٠٩؛ ميغا، أبو بكر إسماعيل، اشهر علماء تمبكت، ص٣٢٣.

(٦) تاريخ السودان، ص٤٠-٤١؛ كعت، الفتاش، ص١٢١؛البرتلي، فتح الشكور، ص٣٠.

٧-أحمد بن سعيد سبط محمود بن عمر (ت٩٧٦هـ/١٥٦٨م) فقد اشتهر بأنه كان عالما بالفقه ومطلعا عليه فكان يقرأ في دروسه الموطأ والمدونة ومختصر خليل وغيرها من الكتب الفقهية(١).

٨-بابكر بير (٩٣٢-٩٩١هـ/١٥٢٥-١٥٨٣م):- هو الفقيه أبو بكر المعروف ب(بابكر بير بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت) وهو نموذج حي للعلماء الذين يبذلون النفس والنفيس في سبيل العلم وطلابه وكان يقوم بالتدريس في تمبكتو وينفق على تلاميذه المحتاجين وعلى الأيتام وعلى كل تلميذ متغرب(٢).

أما عن عائلة الفقيه (أبو عبدالله أندغمحمد) فقد وصف السعدي والولاتي اندعمحمد بأنه معدن العلم والفضل والصلاح ومنهُ تنسل كثير من شيوخ العلم والصلاح فقد كان أندغمحمد من شيوخ جامع سنكري وعلمائه الذين قاموا بدور بارز في تمبكت التي تمثل أحدى المنارات للتقدم الفكري والثقافي في العالم(٣).

وكان من أولاده الكثير من العلماء نذكر منهم:-

١-عمر بن أحمد وكان عالماً صالحاً من علماء تمبكتو الذين درسوا في جامع سنكري وقاموا بأثراء الثقافة الإسلامية واللغة العربية في المنطقة كلها لا في تمبكتو وحدها(٤).

٢-المختار النحوي: وهو أبن عمر بن أحمد لقب بالنحوي لشهرته في هذا الفن وكان عالماً بكل فن من فنون العلم وعاصر هو وأبوه الفقيه يحيى التادلسي وقد توفي المختار سنة (٩٢٢هـ/١٥١٦م) وكان من شيوخ جامع سنكري وعلمائها الذين ساهموا في بناء قواعد النهضة الثقافية وازدهارها في غرب أفريقيا بصفة عامة وفي السودان الغربي بصفة خاصة(٥).

---

(١) التنبكتي، نيل الابتهاج، ص١٤٣؛ تاريخ السودان، ص٤٣؛ البرتلي، فتح الشكور، ص٢٨.

(٢) التنبكتي، المصدر السابق، ص١٠٢؛ السعدي، المصدر السابق، ص٣٢-٤١.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٦؛ البرتلي، فتح الشكور، ص١١٢.

(٤) السعدي، المصدر السابق، ص٢٨؛ أحمد بابا، كفاية المحتاج، ص٢٧.

(٥) السعدي، المصدر السابق، ص٢٨-٢٩؛ البرتلي، المصدر السابق، ص١١٣؛ ميغا، أبـو بكر إسماعيل، أزدهار الحركة العلمية، ص٢١٦.

٣-الفقيه العالم عبد الرحمن بن عمر وأخ المختار النحوي وكان من الفقهاء المتخصصين في تدريس كتاب التهذيب للبرادعي وقد وصفه السعدي بالتقوى والحلم[١].

٤-أبو عبدالله بن المختار النحوي وكان هذا عالم تقي ورع متواضع وله صيت في العلم بعلوم اللغة العربية وهو ممن تخصصوا في تدريس كتاب الشفا للقاضي عياض وسرده في شهر رمضان المبارك بمسجد سنكري وتقلد منصب الإمامة في المسجد وهو منصب علمي عظيم في ذلك الوقت[٢].

٥-الفقيه المختار بن محمد بن الفقيه المختار النحوي وكان مثل أسلافه في القيام بالتدريس ومدح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان معاصراً للأسكيا نوح بن داود (٩٩٩-١٠٠٠هـ/١٥٩٠-١٥٩١م)[٣].

٦-الفقيه أبو العباس أحمد بن أندغمحمد بن محمود بن الفقيه اندغمحمد الكبير وصفه السعدي بالذكي الفطن العالم بفنون العلم من الفقه والنحو والأشعار وغير ذلك[٤]. وهو من الذين ظهر لهم أثر بارز في ازدهار الثقافة العربية الإسلامية الى أبعد الحدود في طول البلاد. وعرضها في أيام ازدهار دولة سنغاي الإسلامية[٥]، ولم يقتصر النشاط العلمي الذي اثرى بلاد السودان الغربي على علماء اسرة ال اقيت واسرة اندغمحمد وانما كان هناك عدد من العلماء الذين ذاع صيتهم في بلاد السودان الغربي ومنهم:-

١-الشيخ العاقب بن عبدالله الأنصمي المسوفي وكان من علماء تكدة النابهين الذين أشتغلوا بالعلم والتأليف[٦].

---

(١) تاريخ السودان، ص٢٩.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٢٩؛ البرتلي، فتح الشكور، ص١٠٧.

(٣) السعدي، المصدر السابق، ص٢٩؛ البرتلي، المصدر السابق، ص١٠٧؛ كعت، الفتاش، ص١٦٧-١٦٨.

(٤) تاريخ السودان، ص٣٠.

(٥) كعت، المصدر السابق، ص١٧٨-١٨٠.

(٦) عبدالله عباس، التأثيرات الحضارية، ص١٠٠.

٢-الشيخ أبو القاسم التواتي وكان من أشهر أئمة جامع سنكري وكان محل احترام وتقدير الجميع حتى أن السلطان (أسكيا الحاج موسى) (٧١٢-٧٣٨هـ/١٣١٢-١٣٣٧م) كان يحرص بعد كل صلاة على الملاقاة به للتسليم عليه والتبرك[١].

٣-الفقيه الحاج وكان من علماء جامعة سنكري تولى القضاء بتنبكت في أواخر دولة مالي فقد هاجر الى بلاد السودان الغربي للمشاركة في النهضة الثقافية التي ازدهرت في ذلك الوقت والتدريس في جامع سنكري[٢].

٤-الفقيه يحيى التادلسي (ت٨٦٦هـ):- وهو من أشهر العلماء الذين دخلوا الى تنبكت وكان يقوم بالتدريس الى جانب المامه في المسجد وكان يدرس في مسجده وبيته وجامع سنكري[٣].

سابعا- أنتشار اللغة العربية:-

لقد ارتبطت الدعوة الإسلامية باللغة العربية لغة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية وسار الإسلام واللغة العربية جنب الى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية[٤].

فمن العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في بلاد السودان الغربي هي هجرة القبائل العربية والبربرية الى تلك البلاد واستقرارها فيها ثم أن مصاهرة العرب والبربر مع القبائل الافريقية ساعد على أنتشار اللغة العربية بجانب الإسلام[٥]. فقد لعبت هذهِ القبائل المهاجرة دوراً كبيراً في ميدان التعريب فقديما كانت تسود في المنطقة لغات زنجية وبربرية ولم يكن للعربية حضوراً ذو

(١) السعدي، المصدر السابق، ص٢٢٢.

(٢) ميغا، أبو بكر إسماعيل، المرجع السابق، ص٢١٣.

(٣) السعدي، المصدر السابق، ص٤٩-٥١.

(٤) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص١٩٤؛ الدهماني، سالم، الجاليات العربية، ص٧٦٣.

(٥) غيث، أمطير سعد، المرجع نفسه، ص١٩٤-١٩٥؛ شعيب، أبو بكر عبدالله، اللغة العربية في أفريقيا الواقع والتطلعات، مجلة قراءات افريقية، عدد٥، ٢٠١٠م، ص٩٨.

شأن وبعد دخول الإسلام بقرون عرفت اللغات البربرية تراجعاً حتى كادت تنقرض فأحتضن أهلها العربية بشغف وأيمان وأن لم يهجروا لهجاتهم فقد كان لدخول القبائل العربية والبربرية المهاجرة دوراً حاسماً في نشر العربية فقد نشرت الفصحى وغرست حبها في النفوس وثبت معارفها بين الناس ومضت تنشر اللغة العربية وثقافتها[١]. وقد أحترم مسلمو تلك البقاع اللغة العربية احتراما يقرب من التقديس لأنها لغة القرآن الكريم بها يؤدي المسلم صلاته ويتلو القرآن الكريم وبها يلم بعلوم الدين[٢]. وحرص كثيرون على تعلم اللغة العربية لاسيما بعد أن أجمع أغلب أئمة المسلمين بعدم جواز ترجمة القرآن الكريم وعدم جواز قراءته بغير العربية فكان لابد لمن يريد معرفة اسرار الدين أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها[٣]. وكذلك من العوامل التي ساعدت في أنتشار اللغة العربية هو أدعاء معظم أهالي وحكام السودان الغربي كما هو حال معظم المجتمعات الافريقية المسلمة أنهم ينتسبون الى أصول عربية شريفة[٤]. فقد تميزت اللغة العربية عن اللغات الأفريقية بأنها لغة الإسلام من ناحية ولغة التجار والثقافة من ناحية أخرى[٥]. وبتعلم اللغة العربية أصبح مسلمو السودان الغربي يمثلون الطبقة المفكرة الراقية في تلك المنطقة حتى أن خبراء الإدارة والتخطيط في الممالك الوثنية لم تجد بداً من الاستعانة بهم في أمور الدولة. وهنا بدأت رحلة اللغة العربية في البناء الحضاري لمنطقة السودان الغربي حيث أحتل المسلمون مناصب الترجمة والإدارة

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٩؛ قدوري عبد الرحمن، الوجود المغربي، ص١٠٨؛ عباس عبدالله، التأثيرات الحضارية لإقليم توات، ص١٠٧.

(٢) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص١٩٤؛ عشي، علي، أبعاد الحضور المغرب أوسطي في أفريقيا جنوب الصحراء الجانب الثقافي، مجلة حروف للدراسات الثقافية، عدد١، ٢٠١٤، ص٢٥.

(٣) غيث، أمطير سعد، المرجع السابق، ص١٩٥؛ شعبان، ماهر عطية، جامعة سنكري في تمبكتو ودورها الحضاري والثقافي، مجلة دراسات أفريقية، عدد٢٤، ٢٠٠٢م، ص٧.

(٤) غيث، أمطير سعد، المرجع السابق، ص١٩٥؛ أبو بكر عبدالله، اللغة العربية، ص٩٨.

(٥) نوري، دريد عبد القادر، انتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة كلية الآداب، عدد٣٠، موصل، ١٩٩٧م، ص٩٨؛ زمان عبيد، الحياة الاجتماعية، ص١٠٥.

في امبراطورية غانة الوثنية قبل أن تصبح امبراطورية مسلمة[١]. وأستمر الحال على ذلك حتى بعد إسلام الإمبراطورية وسقوطها وقيام دولة مالي المسلمة على أنقاضها وقد وصف أبن بطوطة هذه الإمبراطورية الاسلامية ومدى حرص أهلها حكومة وشعباً على تعليم أولادهم الدين واللغة العربية وتحفيظهم القرآن الكريم[٢].

فأصبحت اللغة العربية لغة التخاطب في المراسلات الرسمية للدول الأفريقية الإسلامية فضلاً عن أنها كانت اللغة المستعملة في التجارة التي كانت بأيدي العرب فقد كان للعرب في عاصمة غانا القديمة (كومبي صالح) أثنا عشر مسجداً وقد ألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم اللغة والفقه الإسلامي ثم أصبحت اللغة العربية لغة التدوين في شتى أنحاء القارة. ولقد توسعت اللغة العربية وامتزجت بلغات السودان وقد أتجه حملة العلم من الافارقة نحو الكتابة لتبليغ أحكام الإسلام وعلومه فكتبوا باللغة العربية واستخدموا الحرف العربي لكتابة لغتهم وساعدت اللغة العربية والإسلام في أنتشار الشعر في اللغات الأفريقية المكتوبة بالعربية[٣]. فقد اتخذت اللغة العربية لغة السياسة والإدارة في بلاد السودان الغربي فضلاً عن كونها لغة التعامل التجاري ولغة العقيدة والشريعة وقد أهتمت الطبقة المثقفة في بلاد السودان باللغة العربية وكذلك حكام تلك البلاد الذين أتقنوها قراءةً وكتابة فكانت مراسلاتهم مع الحكام العرب بأسلوبها وخطها دليلاً كافياً على هذا التبني[٤]. وقد أهتم سلاطين السودان الغربي بالعلم والعلماء ويذكر أن سلطان مالي منسى موسى وولي عهده كانا يتقنان العربية قراءة وحديث وقد عملا على جعل اللغة العربية اللغة الرسمية الى جانب اللغة المحلية[٥]. وقد أهتم سلاطين مالي بنشر

---

(١) البكري، المسالك، ج٢، ص٨٧٢؛ عبد الصمد، عبدالله، اثر اللغة العربية والشعر، ص٣.

(٢) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٥؛ عبد الصمد، عبد الله، اثر اللغة العربية، ص٣.

(٣) الخليل النحوي، بلاد شنقيط، ص٢٦٢؛ عباس عبدالله، التأثيرات الحضارية، ص٩٨.

(٤) القلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص٢٨٧؛ الشيخلي، صباح، ملاحظات حول أنتشار الإسلام، ص٢٥.

(٥) قداح، نعيم، أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، ص١٥٧؛ مبخوت بودواية، أعلام السودان الغربي، ص١٧٩.

الإسلام واللغة العربية وأسسوا مراكز كثيرة للتعليم[1]. وقد أعتمد الاساكي في ديوان الأنشاء على عدد من الكتاب المغاربة لإجادتهم الانشاء والكتابة بالخط العربي المتقن[2].

ويقول توماس أرنولد حول ذلك: "وقد بلغت اللغة العربية لغة الديانة الإسلامية حداً يفوق الوصف بل أنها أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة السوداء وهي الى ذلك لغة الشريعة المكتوبة وهذا تقدم هائل في الحضارة الأفريقية"[3].

---

(١) يعقوب، علي، اللغة العربية في النيجر بين الماضي والحاضر، مجلة قــراءات أفريقيــة، عدد٤، ٢٠٠٩م، ص٣٣.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٦٨-١٣٨؛ كعت، الفتاش، ص١٥؛ زمــان عبيــد، الحيــاة الاجتماعية، ص١٠٥.

(٣) الدعوة الى الاسلام، ص٣٥٠

المبحث الثالث

الآثار الدينية

لقد كان للهجرات سواء كانت فردية أم جماعية دور كبير في نشر الإسلام وإدخال العقيدة الإسلامية الى بلاد السودان الغربي فقد أتسمت بأنها سلمية فلم يكن القائمين عليها منشغلين بأمر الدعوة الإسلامية وفرضها بالقوة أو بالجهاد الإسلامي بل كان مجرد مجيئهم وبقائهم في تلك المناطق هو الكفيل بالتجمع حولهم وزيادة دخول الأفارقة في الإسلام(١). فقد كان لهجرات العرب الهلاليين الفضل في نشر الدم العربي واللسان العربي وكذلك نشر السلام(٢).

فقد كان لأهالي السودان الغربي نظم دينية دقيقة قبل إسلامهم فهناك الكاهن الأكبر وهو الزعيم الروحي وغالباً الدنيوي أيضاً للقبيلة فيقوم بتوجيه الحياة الدينية لها وهو الواسطة بين الأحياء وبين أسلافهم الموتى بل بينهم وبين الله ويمكنه التنبؤ بما سيحدث وهناك في القبيلة رجال يشتغلون بالسحر والكهانة ويقومون بتوجيه الحياة الروحية للناس وعمل الاحجية والتمائم وكانت لهم مكانة رفيعة، وفوق هؤلاء أرواح أسلافهم إذ الموتى هم الرؤساء الفعليون للأسرة والقبيلة كلها(٣). غير أن انتشار الإسلام وتأثيره الاجتماعي قد هذب كثيراً من تلك الشعائر والطقوس الدينية الوثنية حتى أن بعضها الغي بالكامل فيلاحظ أن الاحتفالات الخاصة باللهو والاسلاف قد الغيت إذ لا معبود سوى الله واستبدلوا هذه الاحتفالات بالاحتفال بعيدي الفطر والاضحى وغيرها من المناسبات الدينية وقد أبقى الإسلام على احتفالاتهم بالولادة والختان، ألا أنهُ جردها من طابعها الوثني ونبذ كذلك فكرة

---

(١) الشيخلي، صباح، عوامل أنتشار الإسلام، ص٧٦؛ العبيدي، عبد العزيز بن راشد، وسائل انتشار الإسلام، ص٤٤؛ الحبيب، موسى جمعة، طرق أنتشار الإسلام، ص٤.

(٢) حسن أحمد محمود، الإسلام والثقافة العربية، ص٦٠.

(٣) هوبير ديشان، الديانات في افريقيا السوداء، ص٦٤-٦٨؛ غيث،امطير ، التأثير العربي، ص٢٢١.

القربان وجعل من الأضاحي والصدقات خير بديل عنها[١]. ومن طقوسهم الدينية توجههم الى ظواهر الطبيعة عند اختلالها فوجدوا في شعائر الإسلام صلاة الاستسقاء عند تأخر هطول المطر وصلاة الكسوف والخسوف التي يتضرعون فيها الى الله كما وجدوا في صلاة الاستخارة خير بديل عن الكهانة[٢]. وحرمت العقيدة الإسلامية السحر فلجأوا الى كتابة التمائم بآيات قرآنية وأستبدل الإسلام عباداتهم المؤسسة على الفصول بالتقويم الهجري وهو أثنا عشر شهراً هلالياً في السنة الواحدة وذلك لارتباطه بالعبادات التي يمارسها المسلمون، وكان لقبولهم التقويم الهجري والتاريخ أثر كبير في قطع صلاتهم بعباداتهم الوثنية القديمة واصبح المسجد الجيد البناء النظيف بما فيه من آذان وصلاة مركزاً للقرية بدلاً من دار عبادة الأوثان ذات المنظر البشع[٣]. وقد أهتم أهالي السودان الغربي كثيراً بأداء الصلاة ويصف أبن بطوطة حرصهم على ضرورة الخروج الى الصلاة في ملابس بيضاء ونظيفة بقوله: "... ومنها لباسهم الثياب البيض الحسان يوم الجمعة ولو لم يكن لأحدهم الا قميص خلق غسله ونظفه وشهد به الجمعة"[٤]. وقد أهتموا كذلك أهتماماً كبيراً بتعلم اللغة العربية وحفظ القران الكريم وقد شهد ذلك ابن بطوطة عندما كان بينهم فقال: "ولقد دخلت على القاضي يوم العيد وأولاده مقيدون فقلت له الا تسرحهم؟ فقال: لا أفعل حتى يحفظو القرآن. ومررت يوماً بشاب منهم حسن الصورة عليه ثياب فاخرة وفي رجله قيد ثقيل فقلت لمن معي: ما فعل هذا؟ أقتل؟ ففهم عني الشاب وضحك وقيل لي: أنما قيد حتى يحفظ القرآن"[٥].

---

(١) الجمل، شوقي، دور العرب الحضاري في أفريقيا، كتاب العرب في أفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر، دار الثقافة العربية، (القاهرة، ١٩٨٧)، ص١٥٩؛ غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص٢٢١-٢٢٢.

(٢) غيث، امطير سعد، المرجع نفسه، ص٢٢٢.

(٣) توماس ارنولد، الدعوة الى الإسلام، ص٣٩٨.

(٤) الرحلة، ج٢، ص٥٣٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٥-٥٣٦.

١- المذاهب الدينية في بلاد السودان الغربي:-

أما عن التواجد المذهبي في بلاد السودان الغربي فأن هؤلاء المهاجرون دخلوا الى بلاد السودان الغربي بمذاهبهم التي يعتنقونها فعلى الرغم من أن التاريخ الإسلامي لبلاد السودان الغربي قد أرتبط بالذهب المالكي حيث مثل هذا المذهب المسلك الإسلامي الذي رافق أنتشار الإسلام في الغرب الافريقي بعد إتمام فتح المغرب الا أنهُ لم يكن هو المذهب الوحيد الذي عرفه السودانيون فكما أنتقل الإسلام ومعه الثقافة العربية الاسلامية الى ما وراء الصحراء، انتقلت اليه التيارات المذهبية السائدة في المشرق الإسلامي بعد أن أصبح السودان الغربي جزء من العالم الإسلامي[١]. ومن أشهر المذاهب التي عرفها السودانيون هي:

أ- مذهب الخوارج (الإباضية):-

فقد كان أول مذهب تعرف عليه السودانيون هو المذهب الإباضي[٢] فلقد أدى استقرار الإباضية على أطراف الصحراء في واحات المغرب الاوسط منذ القرن (الثاني الهجري/ الثامن الميلادي) الى ارتباطهم القوي بتجارة الصحراء وعزز من ذلك الارتباط اعتناق مجموعات من قبيلتي هوارة وزناتة للمذهب الإباضي وتخصص كثير منهم بالتجارة عبر الصحراء[٣]. وتوسعت تجارة الصحراء بقيام الدولة الرستمية الإباضية في تيهرت (١٦٠هـ/٧٧٦م) فقد أشرفت هذهِ الدولة على المنطقة الصحراوية[٤]. وأن الوضع السياسي للدولة الرستمية جعلها في عداء مع الدولة العباسية في المشرق ومع الأغالبة في أفريقية وخلافها مع دولة الأدارسة في المغرب كل ذلك فرض عليها الاتجاه الى جنوب الصحراء للبحث عن مصادر للمواد الخام التي تحتاجها وكسب مراكز تجارية لتصريف منتجاتها وبضائعها الاتية من

---

(١) شعباني، نور الدين، التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر للهجرة، دورية كان التاريخية، عدد١٨، ٢٠١٢م، ص٣٥.

(٢) المرجع نفسه، ص٣٥

(٣) ابن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٨٦؛ علي عشي، ابعاد الحضور المغرب، ص٢٣.

(٤) دبوز، محمد علي، تاريخ المغرب الكبير، (القاهرة، ١٩٦٣م)، ج٣، ص٣٤٩.

أوربا وتحويلها الى بلدان غرب ووسط أفريقيا[١]. وعلى أثر هذهِ العلاقات الاقتصادية تنقل عدد كبير من العلماء والتجار الى بلاد السودان واستوطنوا هناك وعملوا على نشر الإسلام والثقافة العربية[٢]. فالمصادر الإباضية في جبل نفوسة في مؤلفات الوسياني والشماخي والدرجيني تؤكد على هجرة عدد من التجار والعلماء الى بلاد السودان الغربي[٣]. فقد تمكن الاباضية من تجار وفقهاء وعلماء من تقوية اتصالاتهم بالسودان الغربي ولعل كثير من تلك المناطق قد اعتنقت الإسلام على يد الإباضية منذ ذلك الوقت، فقد ذكر الشماخي أن "بلاد السودان بغانة وما يليها كانت تدين بالمذهب الإباضي حتى تسامعت بهم المخالفون فقصدوها من كل صوب فردوهم الى مذاهبهم"[٤]. ويفهم من هذه الإشارة أن الاباضية هم أول من قام بتركيز الدعوة الإسلامية في السودان الغربي قبل وصول الأعداد الكبيرة من فقهاء المذاهب الأخرى[٥]. إذ أن العلاقة بين الدولة الرستمية والسودان الغربي أستمرت حتى بعد سقوط الدولة الرستمية سنة (٢٩٦هـ/٩٠٩م) حيث فر العديد من الرستميين وأنصارهم من سكان تاهرت الى ورجلان وتادمكة وجوا وغانا وبلاد التكرور وكانم وبرنو وغيرها من مدن بلاد السودان[٦].

وقد ظلت بقايا الاباضية حية في امبراطورية مالي حتى القرن (الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي) حيث لاحظ ذلك ابن بطوطة فقال: "...وصلنا الى قرية زاغزي وهي قرية كبيرة يسكنها تجار السودان ويسمون ونجرات ويسكن معهم جماعة من البيض يتمذهبون مذهب الإباضية من الخوارج..."[٧].

---

(١) الدهماني، سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٥؛ الحرير، إدريس صالح، العلاقات الاقتصادية، ص٧٨؛ الأحمر، احمد مصباح، أفريقيا والعرب، ط١، (طرابلس، ١٩٩٦م)، ص١٨٧.

(٢) أرنولد، توماس، الدعوة الى الإسلام، ص٣٩١.

(٣) الدهماني، سالم، المرجع السابق، ص٧٥٥.

(٤) السير، ص٤٥٧-٤٥٨؛ بهاء موسى، انتشار الإسلام في مالي، ص٨.

(٥) بهاء موسى، المرجع نفسه، ص٩؛ علي عشي، ابعاد الحضور المغرب الأوسط، ص٢٣.

(٦) الدهماني سالم، الجاليات العربية، ص٧٥٦؛ الحرير، ادريس، العلاقات الاقتصادية، ص٨٧.

(٧) الرحلة، ج٢، ص٥٢٧.

ب- المذهب الشيعي:-

لقد ارتبطت بلاد السودان الغربي مع الدولة الفاطمية بعلاقات تجارية، وكذلك شهدت هجرة الأشراف كما ذكرنا سابقاً، فكان من المؤكد أن يترك اثراً مذهبياً في تلك الأراضي.

وقد ذكر البكري (في القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر الميلادي) بأنه في بلاد السودان وجدت قرية على ضفاف نهر السنغال تسمى بوغرات يسكنها قبيلة من بربر صنهاجة وقد أخبره الفقيه أبو محمد عبد الملك أنهُ شاهد في بوغرات هذه طائراً يشبه الخطاف يفهم من صوته كل سامع إفهاماً لا يشوبه لبس كلمة (قتل الحسين) يكرر هذه الكلمة تكراراً ثم يقول (بكربلاء) مرة واحدة وقال عبد الملك سمعتهُ أنا ومن حضر من المسلمين معي(١). فهذه الرواية التي نقلها البكري أنما تدل على وجود التأثير الشيعي في بلاد السودان الغربي خلال (القرن الخامس للهجرة/ الحادي عشر للهجرة).

وباستثناء هذه الإشارة التي زودنا بها البكري فأننا لم نجد في المصادر الاخرى المعاصرة لهُ أو التي جاءت بعده ما يشير الى المد الشيعي في بلاد السودان الغربي(٢).

ج- المذهب المالكي:-

انتشر المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وتفوق على بقية المذاهب الأخرى(٣). وأصبح هو المذهب الرسمي في بلاد السودان الغربي في عهد دولة مالي وكان معتنقيه يدعون "توري" بلغة الماندينغ(٤).

---

(١) المسالك والممالك، ج٢، ص٨٨٠.

(٢) شعباني، نور الدين، التواجد المذهبي، ص٣٨-٣٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٣٩.

(٤) أبن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٢٧؛ إبراهيم علي، دولة مالي، ص١٣٧؛ شعباني، نـــور الدين، التواجد المذهبي، ص٣٩.

فخلال وصول منسا موسى الى القاهرة أثناء رحلته الى الحج سنة (٧٢٤هـ/١٣٢٤م) أرسل السلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون[١] الى منسا موسى في طلبه وعندما دخل عليه طلب منه السجود وتقبيل الأرض فرفض منسا موسى ذلك وقال للترجمان الذي كان يكلمه: "أنا مالكي المذهب ولا اسجد لغير الله"[٢].

وهكذا ساد المذهب المالكي في بلاد السودان الغربي وانتشرت الثقافة المالكية وكذلك الكتب المالكية مثل كتاب الموطأ للأمام مالك. وكتب الونشريسي وغيرها ودرست هذه الكتب في مدن السودان جني وتنبكت وكانو[٣].

وبقي المذهب المالكي هو المذهب الرسمي في دولة سنغاي ايضاً فقد أورد السعدي بعض المؤلفات المالكية التي كان يدرسها محمد بن عمر بن محمد أقيت بالمنطقة مثل مدونة الامام سحنون ورسالة أبن ابي زيد القيرواني والفية بن مالك ومختصر خليل[٤].

وكان اكثر فقهاء المالكية في بلاد السودان الغربي من العرب والبربر[٥]. فمن أشهر فقهاء المالكية العرب في بلاد السودان الغربي هم عبد الرحمن التميمي

---

(١) هو السلطان الملك الناصر أبو الفتوح ناصر الدين محمد أبن السلطان المنصور سيف الدين قلاوون وهو تاسع سلاطين الدولة المملوكية الذين حكموا مصر ولد سنة(٦٨٤هـ) وتوفي (٧٤١هـ)، ينظر: أبن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي(ت٨٧٤هـ)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، (القاهرة، ١٩٦٣م)، ج٨، ص٤١؛ أبن أياس، محمد بن أحمد (ت٩٢٩هـ)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٤م)، ج١، ص٤٠١.

(٢) المقريزي، الذهب المسبوك، ص١٤٢؛ الشكري، احمد، امبراطورية مالي، ص٢٢٩.

(٣) السعدي، تاريخ السودان، ص٣٣-٣٩؛ علي عشي، ابعاد الحضور المغرب، ص٢٤.

(٤) تاريخ السودان، ص٣٥-٣٦؛ التمبكتي، نيل الأبتهاج، ج٢، ص٣٠٣.

(٥) سحر عنتر، فقهاء المالكية، ص١٨٨.

الذي سكن مدينة تنبكت وأصبح من كبار فقهاء هذه المدينة[١]. والفقيه يحيى التادلسي (ت٨٦٦هـ)[٢]. والفقيه أحمد الصقلي[٣].

ومن اشهر فقهاء المالكية البربر في بلاد السودان الغربي منهم أبو عباس سعيد الدكالي الذي أقام بمملكة مالي وكان من بين مصادر العمري عن مملكة مالي والذي كان يشغل إحدى الخطط الدينية بعاصمة مالي[٤]. وكذلك القاضي أبو عبدالله محمد بن وانسول وهو من أهل سجلماسة والذي أستقر في مدينة جاو وأشغله أهل المدينة في خطة القضاء وقد عاصر أبن خلدون وصادقه وأمده بالكثير من المعلومات عن إمبراطورية مالي[٥]. وكذلك الفقيه محمد الفيلالي إمام مسجد البيضان في مملكة مالي[٦]. والفقيه عبدالله البلبالي[٧]. والفقيه العاقب بن عبدالله الانصمني المسوفي[٨]. وأبو القاسم التواتي الذي بنى داراً بالقرب من المسجد الجامع بتنبكت وظل يعلم فيه الطلاب الى أن توفي بتنبكت عام (٩٢٢هـ/١٥١٦م)[٩]. وكذلك الفقيه عبد الرحمن بن علي بن أحمد القصري الفاسي الذي كان يعلم الحديث في بلاد السودان وحتى توفي فيها عام (٩٥٦هـ/١٥٤٩م)[١٠].

٢- الطرق الصوفية في السودان الغربي:-

صاحب أنتشار الإسلام في السودان الغربي انتشار الطرق الصوفية، وذلك أن أتباع هذه الطرق يدعون الى الإسلام عن طريق التصوف ويعرفون بشيوخهم

(١) الارواني، السعادة الأبدية، ص٩٣-٩٤.

(٢) السعدي، تاريخ السودان، ص٥٠.

(٣) كعت، تاريخ الفتاش، ص١٦-١٩.

(٤) العمري، مسالك الابصار، ج٤، ص١٠٩.

(٥) أبن خلدون، العبر، ج٦، ص٢٦٩.

(٦) ابن بطوطة، الرحلة، ج٢، ص٥٣٩.

(٧) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٣٨.

(٨) التمبكتي، نيل الابتهاج، ص٣٥٣؛ السعدي، تاريخ السودان، ص٤١.

(٩) السعدي، المصدر السابق، ص٣٦؛ البرتلي، فتح الشكور، ص١٥٥.

(١٠) السعدي، المصدر السابق، ص٣٦؛ البرتلي، المصدر السابق، ص١٥٥.

وفقهائهم الذين كانت لهم مكانة عظيمة في قلوب أتباعهم فالأفارقة الوثنيون كانت تتحكم في تفكيرهم الخرافات والاساطير وهذا ما سهل نقلهم الى الإسلام عن طريق التصوف(١).

وكانت من أهم الطرق الصوفية التي دخلت إقليم توات ومنه نحو السودان الغربي هي الطريقة القادرية(٢). فقد أرتبط أهل توات بالمذهب المالكي وبالطريقة القادرية فحملوا لوائها الى بلاد السودان فاستطاعوا بهما أن يزيدوا من توثيق الروابط بين سكان السودان الغربي وسكان الشمال من خلال الوحدة المذهبية(٣). وتعد قبيلة كنتة هي أحدى القبائل العربية التي كان لها نفوذ كبير في جنوب الصحراء وقد هاجرت من توات الى بلاد السودان الغربي فتطورت من نواة عربية الى قبيلة مغربية دينية كانت الأساس في نشر الطريقة القادرية في غرب أفريقيا(٤).

فقد كان لقبيلة كنتة مكانة مرموقة في بلاد السودان الغربي وذلك بما قامت به من مهام تعليمية أسهمت في نشر اللغة والحرف العربي وفي تأليف المصنفات اللغوية والفقهية والأدبية وفيما أنجبتهُ من علماء أفذاذ كان لهم الفضل في المحافظة على الثقافة الإسلامية ومشاركتهم في الدعوة للتصوف ونشر الطريقة القادرية التي عمقت الاحساس الديني وأثرت تأثيراً إيجابياً في المجال الثقافي لسكان بلاد السودان الغربي(٥).

وقد أسهمت الطرق الصوفية في غرب أفريقيا بشكل كبير في تشكيل تاريخ هذه المنطقة وفي تثبيت الإسلام بها حيث لعبت أدوار متعددة على عدة صعد، ففي

---

(١) عبد الله عباس، التأثيرات الحضارية لمنطقة توات في بلاد السودان الغربي، ص١١٣؛ علي عشي، ابعاد الحضور المغرب، ص٢٢.

(٢) عبد الله سالم بازينة، انتشار الإسلام، ص٢٣١؛ زبادية، عبد القادر، دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء، ص٢٣٠.

(٣) عبدالله عباس، المرجع السابق، ص١١٩؛ محمد مولاي، العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الافريقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، الجزائر، ٢٠١٤م، ص١٠٢

(٤) بول، مارتي، كنتة الشرقيون، ص٣٣؛ عبدالله عبد الرزاق، الطرق الصوفية، ص٣٢.

(٥) الجراري، عباس، ثقافة الصحراء، (تونس، ١٩٨٧م)، ص٤٣-٤٤؛ عبدالله عباس، التأثيرات الحضارية، ص١١٧.

الجانب الديني والتعليمي عملت من خلال كتاتيبها على نشر وترسيخ تعاليم الإسلام واللغة العربية فضلاً عن دورها الاقتصادي من خلال إدارتها للمشاريع الاقتصادية الزراعية في الغالب(١).

وقد ساعد على انتشار الطرق الصوفية تكيفها مع بيئة المجتمعات الافريقية وعاداتها وتقاليدها وكانت الطقوس واستعمال الدفوف والطبول في حلقات الذكر قد وجدت قبولاً لدى الأفريقيين لأنها تخلط بين العبادة والحركات الراقصة(٢). فقد كانت عند أهالي السودان الغربي عادة ضرب الطبول ولم يستطيعوا التخلص منها بسهولة ولكنهم طوعوها وذلك بإدخالها في حلقات الذكر التي كانت تمارسها الحركات الصوفية(٣).

ولقد قامت الطرق الصوفية بدور هام في نشر الإسلام ونقل المؤثرات الثقافية العربية الإسلامية الى السودان الغربي ورغم قلة المعلومات عن تاريخ الطرق الصوفية بالسودان الغربي فأن بعض المؤرخين ومن بينهم السعدي قد أشار الى وجود بعض الأشخاص المشهورين بالتقوى ولزهد ممن عاشوا بالمنطقة(٤). وقد وصف تمبكتو بأنها كانت: "...مألف الأولياء والزاهدين"(٥). كما قال عن مدينة جني: "...وقد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكاناً من العلماء والصالحين من غير أهله من قبائل شتى وبلاد شتى"(٦). ومن هؤلاء المتصوفة الفقيه العابد القطب ولي الله سيدي يحيى التادلسي(٧). ومنهم الشيخ الزاهد أبو القاسم التواتي الذي سكن بجوار المسجد وكان يعلم الأولاد(٨).

---

(١) علي عشي، ابعاد الحضور لمغرب، ص٢٢.

(٢) غيث، أمطير سعد، التأثير العربي، ص١٧٩.

(٣) المرجع نفسه، ص٢١٠.

(٤) المرجع نفسه، ص١٧٨.

(٥) السعدي، تاريخ السودان، ص٢١.

(٦) تاريخ السودان، ص١٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٣.

(٨) المصدر نفسه، ص٥٢.

ومما يميز رجال الطرق الصوفية أنهم يميلون الى سكن القرى والنجوع بينما يميل التجار الى الاستقرار بالمدن واذا كان التجار يسعون للربح فرجال الطرق الصوفية لا يكترثون بالمال ولا يسعون الا لما يسد رمقهم ويكفيهم ذل السؤال من هنا لقب المريدون بالفقراء(١).

والجدير بالذكر أنهُ كان لكل شيخ أتباع ومريدون يطيعونه طاعة عمياء ويمتثلون لأوامره ويقدرونه ويدعمونه مادياً حتى أصبح شيوخ الطرق الصوفية لهم القدرة الكافية لتوسيع دائرة نفوذهم ولتأسيس لمدارس والمساجد واستقطاب مزيد من العناصر الموالية لهم ولقد لعبوا دوراً بارزاً في توجيه الأهالي وإرشادهم الى أمور دينهم(٢).

وعملت الطرق الصوفية على غرس القيم الفاضلة وتجذيرها مثل حب الجار وحسن التعامل فضلاً عن ذلك ساهموا مساهمة فاعلة في توسيع رقعة الإسلام وانتشاره عن طريق الاكثار من بناء المساجد والمدارس ومصاهرة الوطنيين الأفارقة وشراء العبيد وعتقهم بعد تلقينهم أصول العقيدة الإسلامية وثقافتها حتى يتمكنوا من استيعابها ونشرها عند رجوعهم الى أوطانهم(٣).

---

(١) أحمد شلبي، الموسوعة التاريخية، ج٦، ص٢١٠.

(٢) حسن، حسن ابراهيم، انتشار الإسلام في القارة الافريقية، ص٤٢؛ غيث، امطير سعد، التأثير العربي، ص١٧٩.

(٣) حسن، إبراهيم، المرجع السابق، ص٤٣.



الاستنتاجات

نتائج البحث

في ختام البحث تم التوصل الى النتائج التالية:

١-كان العرب المسلمين اول من اطلق كلمة السودان على الاقوام التي تقطن جنوب الصحراء الكبرى، اذ اطلقت على ذلك الجزء الذي يمتد من المحيط الاطلسي غرباً الى مشارف النوبة على النيل شرقاً، وان تسمية السودان الغربي أسم اطلقه الاوربيون على منطقتي نهر السنغال والنيجر، اذ لم ترد عبارة "السودان الغربي ابداً في كتابات المؤرخين الجغرافيين والرحالة المسلمين، حيث ظهرت هذه التسمية في القرن التاسع عشر عندما تم اكتشاف منابع نهري النيل والنيجر وعرف حينئذ انهما نهران منفصلان عن بعضهما وليس نهراَ واحداَ كما كان يعتقد من قبل.

٢-جذبت بلاد السودان الغربي مجموعات عربية من التجار قبل الاسلام، وذلك لما تتمتع به هذه البلاد من ثروات طبيعية فضلاَ عن عدم وجود حواجز طبيعية كالمستنقعات والجبال بين شمال افريقيا وجنوب الصحراء اذ لم تكون الصحراء منطقة طرد وانما كانت منطقة جذب لكثير من التجار.

٣-تنوعت طرق ووسائل انتشار الاسلام في بلاد السودان الغربي وكانت الهجرات البشرية التي وفدت الى بلاد السودان الغربي من اهم هذه الطرق، فضلاَ عن ذلك اتسمت هذه الهجرات سواء كانت جماعية ام فردية بأنها سلمية، حيث لم يكن القائمين عليها منشغلين بأمر الدعوة الاسلامية وفرضها بالقوة أو بالجهاد الاسلامي بل كان مجرد مجيئهم وبقائهم في تلك المناطق كفيل بالتجمع حولهم وتشجيع مجتمع السودان الغربي على دخول الاسلام.

٤-شهدت بلاد السودان الغربي قيام عدد من الممالك السودانية والتي أدت دوراً حاسماً في مسرح الحياة السياسية والاقتصادية في القارة الافريقية، وكان لبعض هذه الممالك أصول وثنية غير انها بلغت الذروة والقوة في عهدها الاسلامي، وكونت لها علاقات قوية ومتنوعة مع الدول العربية الاسلامية المعاصرة لها، فضلاَ عن ذلك استطاعت هذه الممالك الافريقية أن تثبت

وجودها كجزء من العالم الاسلامي واستقطبت مجموعة كبيرة من العلماء المسلمين وشكلت حضارة اسلامية عريقة في عصور زاهرة.

٥-أسهمت هجرة القبائل العربية والبربرية في نقل الكثير من المؤثرات الحضارية الى بلاد السودان الغربي، برغم اختلاف دوافع الهجرة واختلاف انتمائهم واصولهم، في تطوير المنطقة حضارياً واقتصادياً، اذ ادخلوا دماء جديدة اندمجت مع السكان الاصليين وتقلدوا ارفع المناصب الإدارية والسياسية فضلاً عن استحداث وظائف عديدة كالمترجمين والوزراء والقضاة والكتاب.

٦-لم يقتصر التأثير العربي الاسلامي على الجوانب السياسية والاقتصادية وإنما شملت الجوانب الاجتماعية ايضاً، حيث تأثرت التركيبة الجنسية والعرقية لمجتمعات السودان الغربي بالهجرات الوافدة اليها، اذ شجع مجتمع السودان الغربي المهاجرين العرب والبربر على الاندماج و التصاهر فيما بينهم فنتج عن ذلك جيل من المولدين فضلاً عن تأثر مجتمع السودان الغربي بالعادات والتقاليد العربية الاسلامية وتخليهم عن كثير من العادات الوثنية الخاطئة، وقد اسهم هذه التأثر في تنظيم حياة المجتمع وضبط العلاقات بينهم وتنظيم حياة الاسرة على الطريقة الاسلامية الصحيحة.

٧-شمل التأثير العربي الاسلامي الفن المعماري، وتجلى ذلك في طريقة تخطيط المدن و بناء المدارس والمساجد والمنازل ومن خلال الاعتماد على مهندسين عرب وبربر في بناء وتخطيط المدن اذ اسهم هذا التأثير في تأسيس عدد من المدن التي اصبحت مراكز ثقافية اسلامية في السودان الغربي، وكان لها فضل كبير في نشر العلوم والثقافة والحضارة العربية الاسلامية، مثل مدينة (تمبكتو وكومبي صالح وجني وجاو)، اذ كانت هندسة منازلها وقصورها ومساجده واسواقها تشبه الى حد كبير هندسة وبناء المدن المغربية.

٨-اتضح من خلال الدراسة ان الطابع الثقافي والديني الذي ساد في بلاد السودان الغربي كان مغربي السمات اذ أن المدارس ومراحلها ومناهجها كان ذات طابع مغربي بدرجة كبيرة، فضلاً عن ذلك ترك الطابع المغربي أثره الكبير في بلاد السودان الغربي في طريقة تجويد القران وكتابة الخط والحروف وترتيبها

ونتيجة لذلك تركت اللغة العربية أثاراً واضحة في بعض اللغات المحلية السودانية والتي اصبحت تكتب بالحرف العربي وعلى الطريقة المغربية وذلك بفضل توافد عدد كبير من العلماء خلال القرن (٢هـ/٨م) اذ شهد هذا القرن توافد عدد كبير من العلماء مروراً بالقرن (٥هـ/١١م) الذي كثر فيه تواجد علماء من دولة المرابطين الى بلاد السودان الغربي وصولاً الى القرن (٩هـ/١٥م) الذي برز فيه دور علماء الطرق الصوفية الذين كان لهم دوراً اصلاحي كبير في بلاد السودان الغربي.



الملاحق

ملحق (١)

قائمة سلاطين مملكة مالي الإسلامية ومدة حكمهم

١-موسى ديجيو الأكوي	٥٩٧- ٦١٥هـ / ١٢٠٠- ١٢١٨ م
٢-ناري فامغان بن الأكوي	٦١٥- ٦٢٨هـ / ١٢١٨- ١٢٣٠م
٣-سندياتا كيتا أو ماري جاطة	٦٢٨- ٦٥٣هـ / ١٢٣٠- ١٢٥٥م
٤-منسا ولي ابن ماري جاطة	٦٥٣- ٦٦٩هـ / ١٢٥٥- ١٢٧٠م
٥-منسا واتي بن ماري جاطة	٦٦٩- ٦٧٣هـ /١٢٧٠- ١٢٧٤م
٦-خليفة بن ماري جاطة	٦٧٣- ٦٧٤هـ / ١٢٧٤- ١٢٧٥م
٧-أبو بكر بن بنت ماري جاطة	٦٧٤- ٦٨٤هـ / ١٢٧٥- ١٢٨٥م
٨-ساكورة (مغتصب للعرش)	٦٨٤- ٧٠٠هـ / ١٢٨٥- ١٣٠٠م
٩-قو بن ماري جاطة	٧٠٠- ٧٠٥هـ / ١٣٠٠- ١٣٠٥م
١٠- محمد بن قو بن ماري جاطة	٧٠٥- ٧١٠هـ / ١٣٠٥- ١٣١٠م
١١- أبو بكر بن أخت ماري جاطة	٧١٠- ٧١٢هـ /١٣١٠- ١٣١٢م
١٢- منسا موسى بن أبي بكر	٧١٢- ٧٣٨هـ /١٣١٢- ١٣٣٧م
١٣- منسا مغا الأول بن موسى	٧٣٨- ٧٤١ هـ /١٣٣٧- ١٣٤٠م
١٤- منسا سليمان	٧٤١- ٧٦٢هـ / ١٣٤٠- ١٣٦٠م
١٥- قنبتا بن سليمان	٧٦٢هـ / ١٣٦٠م
١٦- ماري جاطة الثاني	٧٦٢- ٧٧٦هـ / ١٣٦٠- ١٣٧٤م
١٧- موسى الثاني بن ماري جاطة الثاني	٧٧٦- ٧٨٩هـ/ ١٣٧٤- ١٣٨٧م
١٨- منسا مغا الثاني بن موسى الثاني	٧٨٩- ٧٩١هـ / ١٣٨٧- ١٣٨٨م
١٩- صندكي (مغتصب للعرض)	٧٩١- ٧٩٣هـ / ١٣٨٨- ١٣٩٠م
٢٠- مغا الثالث	٧٩٣هـ / ١٣٩٠م
٢١- محمود ولقبه منسا مغا	٧٩٥هـ/ ١٣٩٢م

ملحق (٢)

قائمة سلاطين مملكة سنغاي ومدة حكمهم

١-سن علي الكبير	٨٦٩ -٨٩٧هـ
٢-اسكيا محمد الأول او الكبير	٨٩٨ -٩٢٥هـ
٣-موسى بن محمد	٩٢٥ -٩٢٨هـ
٤-محمد الثاني بنكان	٩٢٨ -٩٤٣هـ
٥-إسماعيل	٩٤٣ -٩٤٦هـ
٦- إسحاق الأول	٩٤٦ -٩٥٦هـ
٧-داود بن محمد	٩٥٦ -٩٩١هـ
٨-محمد الثالث بن داود	٩٩١ -٩٩٥هـ
٩- محمد الرابع بن داود	٩٩٥ -٩٩٦هـ
١٠- إسحاق الثاني	٩٩٦ -٩٩٩هـ
١١- محمد غاو	٩٩٩ -١٠٠٠هـ

المصادر:

١-كعت، تاريخ الفتاش، ص٤٣-١٥٨.

٢-السعدي، تاريخ السودان، ص٨١- ١٣٣.

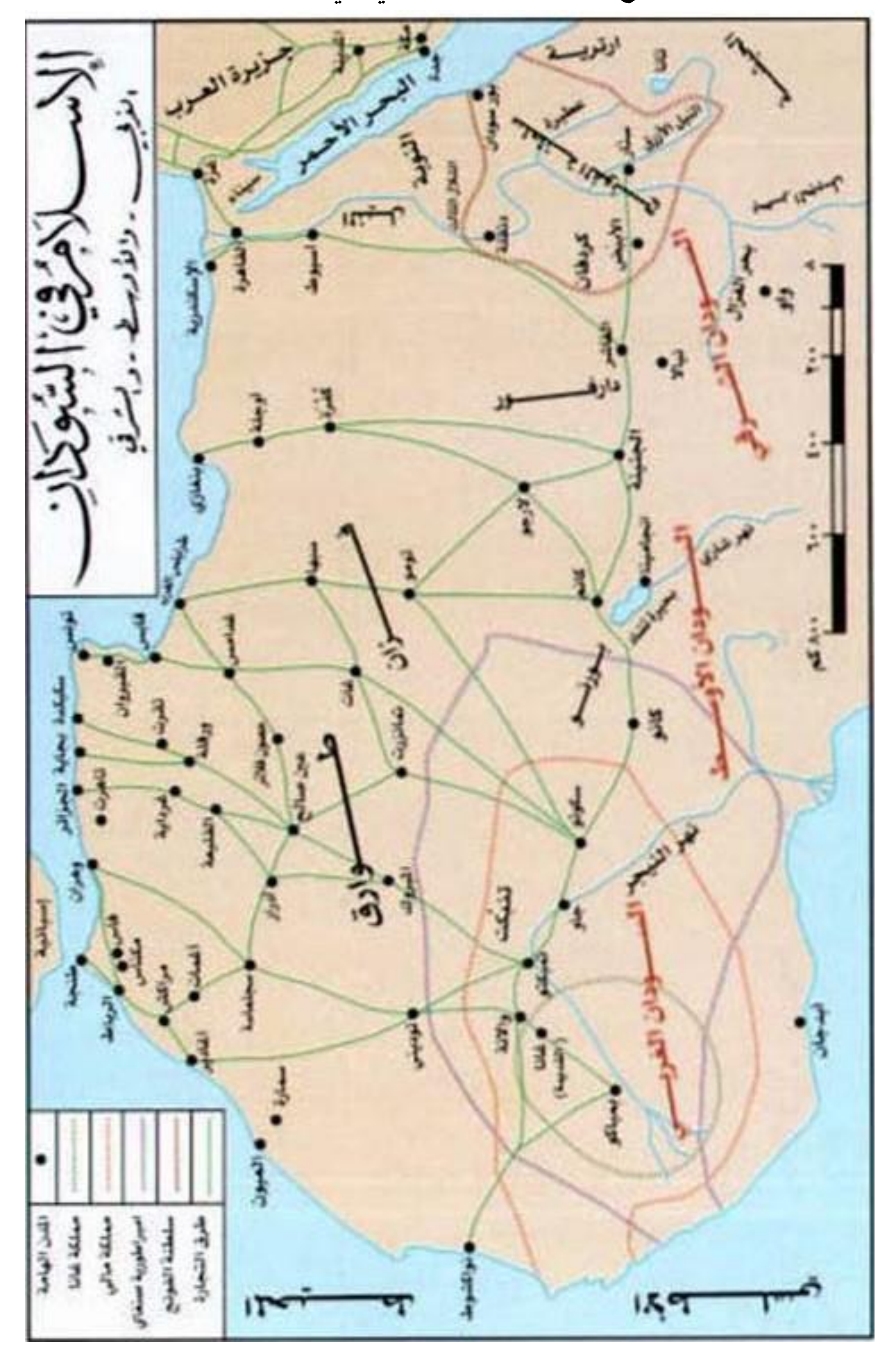
ملحق (٣)

صورة السلطان منسا موسى

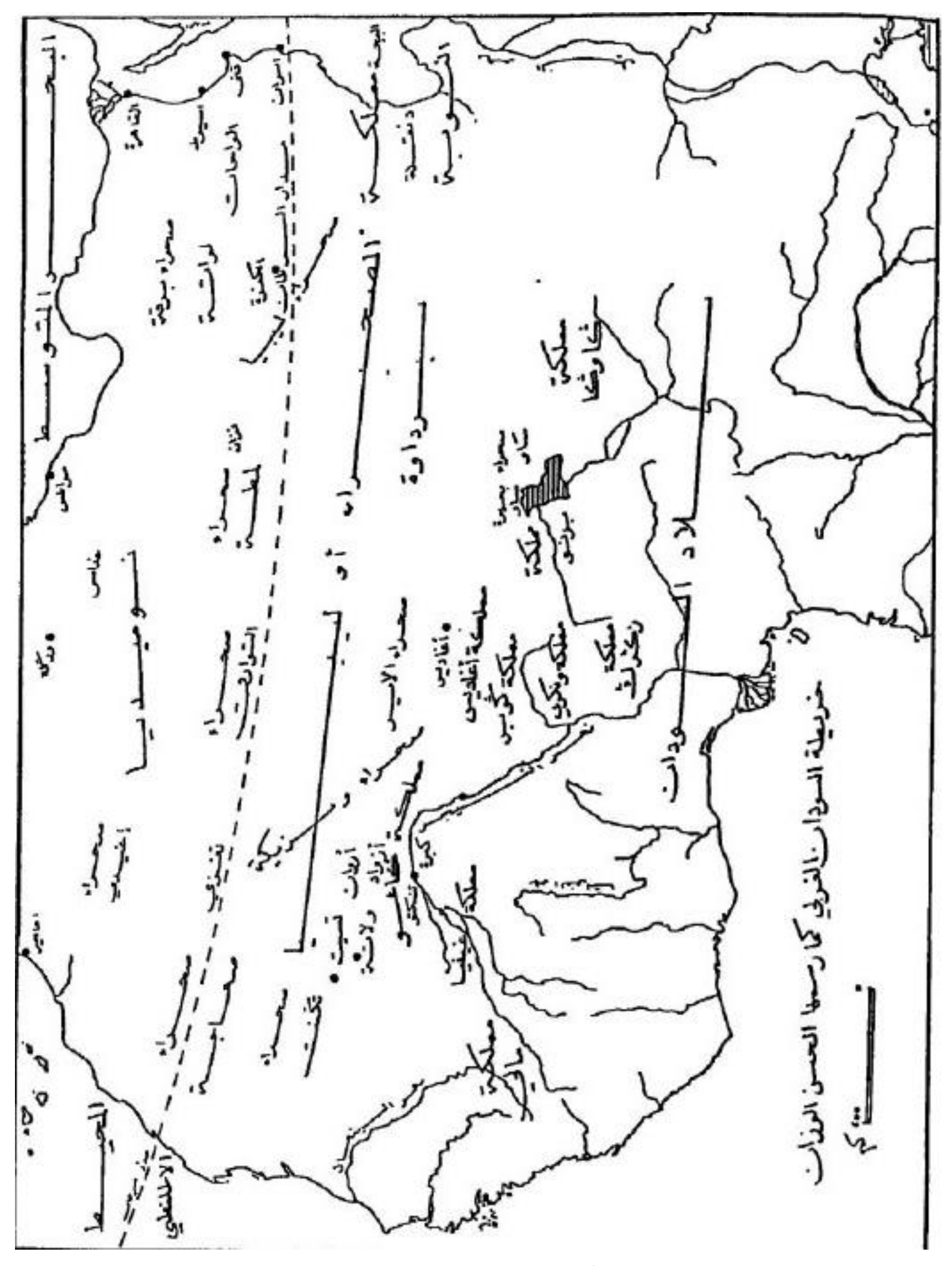


ملحق (٤)

موقع بلاد السودان الغربي في الخارطة

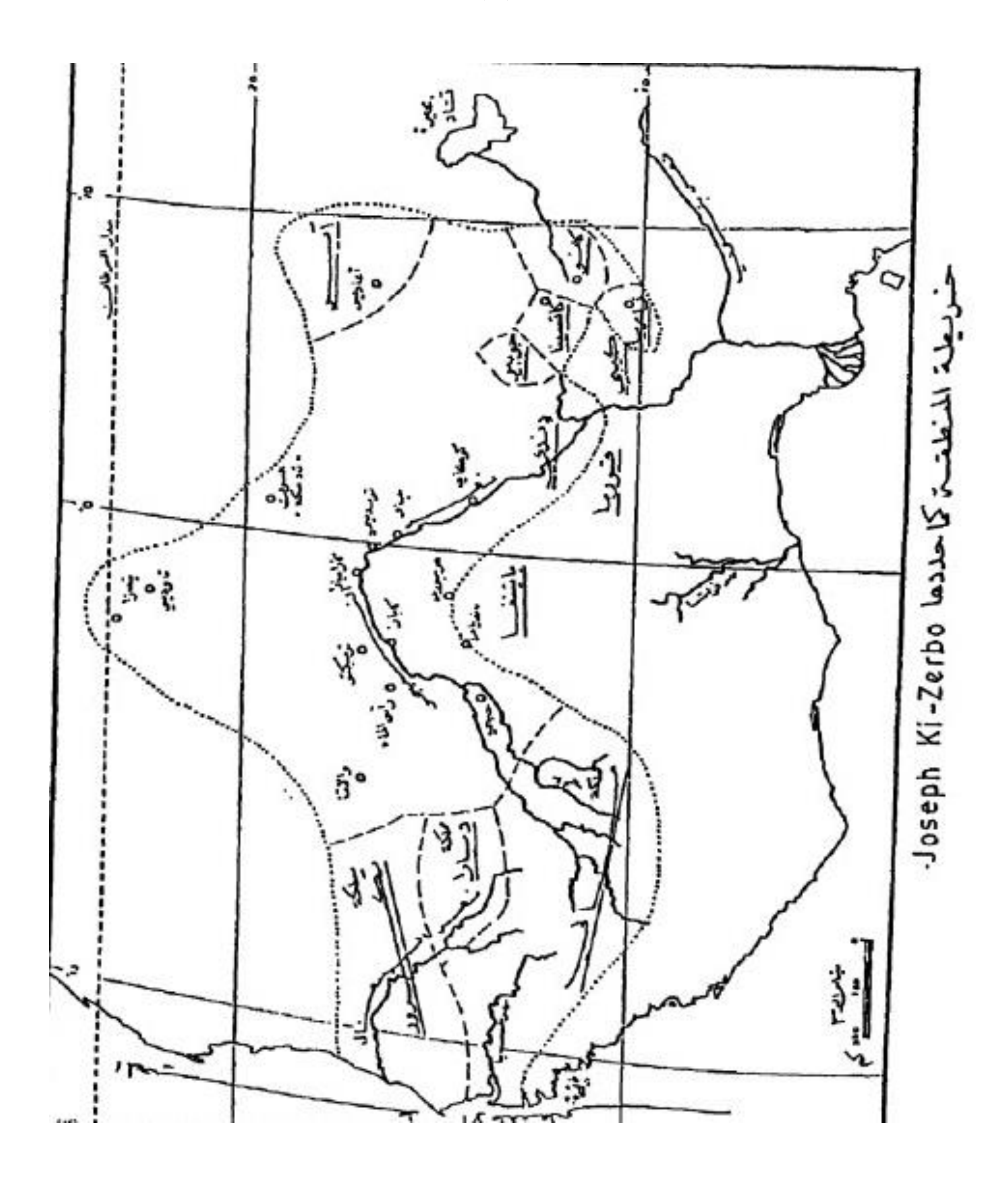


ملحق (٥)



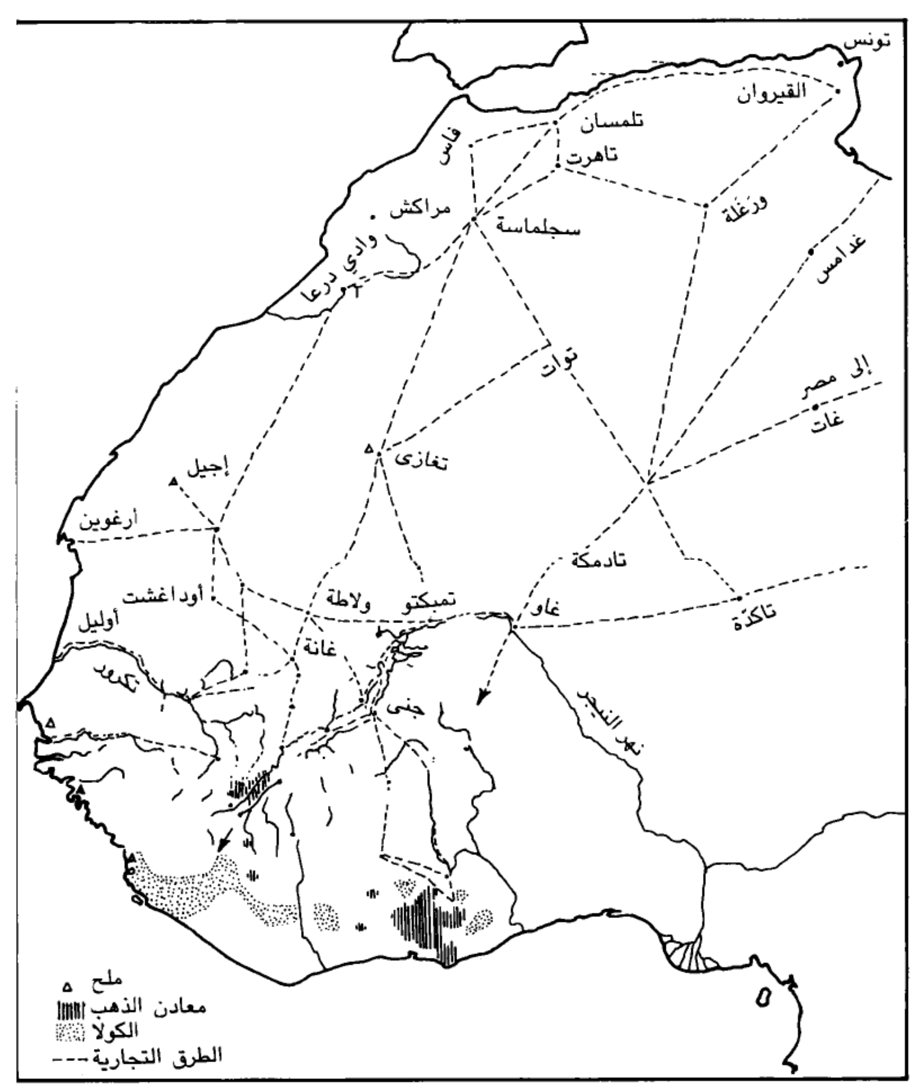
الهادي الدالي، افريقيا ما وراء الصحراء، ص٣٦١

ملحق (٦)



الهادي الدالي، افريقيا ما وراء الصحراء، ص٣٦٠

ملحق (٧)



خارطة (٣) الطرق التجارية في الصحراء الكبرى والسودان الغربي
بين ١٠٠٠ و١٥٠٠ م

نيقولا زيادة، افريقيات، ص٣٩٣

ثبت

المصادر والمراجع

أولاً :ـ المخطوطات
ثانياً :ـ المصادر الأولية
ثالثاً :ـ المراجع الثانوية
رابعاً :ـ المراجع الاجنبية
خامساً :ـ الموسوعات
سادساً :ـ المجلات والدوريات
سابعاً :ـ الرسائل والاطاريح الجامعية

- **القرآن الكريم**

أولاً: المخطوطات:-

- **السوقي، الشيخ العتيق بن سعد الدين الحسني الادريسي:**

١-مخطوط الجوهر الثمين في أخبار صحراء الملثمين ومن يجاورهم من السوادين، نسخة مصورة بمخبر مخطوطات شمال أفريقيا، كلية العلوم الإنسانية، جامعة وهران.

- **الكنتي، باي بن عمر:**

٢-مخطوط فتاوي المعروفة باسم "نوازل باي"، محفوظ بمسجد مصعب بن عمير، أدرار.

- **الكنتي، محمد الخليفة (ت١٢٤٢هـ):**

٣-مخطوط الطرائق والتلائد من كرامات الشيخين الوالدة والوالد، محفوظ بالخزانة العامة، الرباط.

ثانياً: المصادر الأولية:-

- **ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت ٦٣٠هـ):**

١-الكامل في التاريخ، تح: عمر عبد السلام، دار الكتب، (بيروت، ١٩٩٧م).

٢-اللباب في تهذيب الأنساب، مكتبة المثنى، (بغداد، د.ت).

- **ابن الأحمر، أبو الوليد أسماعيل بن يوسف (ت٨٠٧هـ):**

٣-نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان، تح: محمد رضوان، دار الثقافة، (بيروت، ١٩٦٧م).

- **الإدريسي، محمد بن محمد بن عبدالله الحسني (ت٥٦٠هـ):**

٤-نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، ط١، عالم الكتاب، (بيروت، ١٤٠٩هـ).

- **الأزهري، محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هـ):**

٥-تهذيب اللغة، تح: محمد عوض، ط١، دار أحياء التراث، (بيروت، ٢٠٠١م).

- **الاصطخري، أبو أسحاق أبراهيم بن محمد (ت٣٤٦هـ):**

٦-المسالك والممالك، تح: محمد جابر، الهيئة العامة للكتاب، (القاهرة، ٢٠٠٢م).

- **ابن أياس، محمد بن أحمد (ت٩٢٩هـ):**

٧-بدائع الزهور في وقائع الزهور، تح: محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (القاهرة، ١٩٨٤م).

- **الأيلاني، أبو علي صالح بن عبد الحليم (كان حياً عام ٧١٢هـ):**

٨-مفاخر البربر، تح: عبد القادر بوباية، ط٢، دار أبي رقراق، (الرباط، ٢٠٠٨م).

- **ابن بطوطة، أبو عبدالله اللواتي الطنجي (ت٧٧٩هـ):**

٩-تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الأقطار، طبعة دار الشرق، (د.م، د.س).

- **البغدادي، عبد القاهر بن طاهر (ت٤٢٩هـ):**

١٠- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، دار الافاق، (بيروت، ١٩٧٧م).

- **البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت٧٣٩هـ):**

١١- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، دار جيل، (بيروت، ١٤١٢هـ).

- **البكري، أبو عبيد عبدالله بن عبد العزيز (ت٤٨٧هـ):**

١٢- المسالك والممالك، دار الغرب الإسلامي، (د.م، ١٩٩٢م).

- **البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت٢٧٩هـ):**

١٣- أنساب الأشراف، تح: سهيل زكار، ط١، دار الفكر، (بيروت، ١٩٩٦م).

- **ابن تغري بردي، أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ):**

١٤- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، وزارة الثقافة والأرشاد القومي، دار الكتب، (القاهرة، ١٩٦٣م).

- **التمبكتي، أحمد بابا (ت١٠٣٦هـ):**

١٥- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، تح: محمد مطيع، وزارة الأوقاف، (المملكة المغربية، ٢٠٠٠م).

١٦- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبدالله، ط١، كلية الدعوة الإسلامية، (طرابلس، ١٩٨٩م).

- **الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ):**

١٧- كتاب فخر السودان على البيضان (رسائل الجاحظ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، (القاهرة، د.ت).

- **الجندي، خليل بن أسحاق (ت٧٧٦هـ):**

١٨- مختصر العلامة خليل، تح: أحمد جاد، ط١، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٥م).

- **ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ):**

١٩- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، دار المعارف، (حيدر أباد، ١٣٥٧هـ).

- **حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٨هـ):**

٢٠- كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون، مطبعة الاوفست، (بغداد، د.س).

- **ابو حامد، عبد الرحيم بن سليمان الغرناطي (ت٥٦٥هـ):**

٢١- تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تح: أسماعيل العربي، ط١، منشورات دار الآفاق، (المغرب، ١٩٩٣م).

- **ابن حبيب، أبو جعفر محمد (ت٢٤٥هـ):**

٢٢- مختلف القبائل ومؤتلفها، نشر مرديتلن فسنتلد، (غوتا، ١٨٥٠م).

- **ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت٨٥٢هـ):**

٢٣- أبناء الغمر بأبناء العمر، تح: حسن حبشي، أحياء التراث، (مصر، ١٩٦٩م).

٢٤- الأصابة في تميز الصحابة، تح: مركز هجر للبحوث، دار هجر، (د.م، د.ت).

- **ابن حزم، أبو محمد علي (ت٤٥٦هـ):**

٢٥- جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٣م).

- **الحكيم، أبي الحسن علي بن يوسف (توفي نهاية ق٨هـ):**

٢٦- الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تح: حسين مؤنس، الدراسات الاسلامية، (مدريد، ١٩٥٨م).

- **ابن حماد، أبو عبد الله محمد بن علي (ت٦٢٨هـ):**

٢٧- أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح: محمد التهامي نقرة وعبد الحليم عويس، دار الصحوة، (القاهرة، د. س).

- **الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت٦٢٦هـ):**

٢٨- معجم البلدان، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٥م).

٢٩- المقتضب من كتاب جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، الدار العربية، (بيروت، ١٩٨٧م)

- **الحميري، أبو عبدالله محمد بن عبدالله (ت٩٠٠هـ):**

٣٠- الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: أحسان عباس، ط٢، مؤسسة ناصر، (بيروت، ١٩٨٠م).

- **ابن حوقل، أبو القاسم محمد النصيبي (ت٣٦٧هـ):**

٣١- صورة الأراض، ط٢، دار صادر، (بيروت، ١٩٣٨م).

- **الخشني، أبو العرب محمد بن أحمد (٣٣٣هـ):**

٣٢- طبقات علماء أفريقية، دار الكتاب اللبناني، (بيروت، د.س).

- **ابن الخطيب، لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ):**

٣٣- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، دار الكتب، (بيروت، ١٤٢٤هـ).

٣٤- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط (القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام)، تخ: أحمد مختار العبادي، دار الكتب، (الدار البيضاء، ١٩٦٤م).

- **ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ):**

٣٥- العبر وديوان المبتداء والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الكبر، تح: خليل شحادة ومراجعة: سهيل زكار، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠٠م).

٣٦- المقدمة، دار البيان، (د.م، د.س).

- **ابن خلكان، أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ):**

٣٧- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: أحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٠٠م).

- **الدرجيني، أبو العباس أحمد بن سعيد (ت٦٧٠هـ):**

٣٨- طبقات المشائخ، تح: أبراهيم طلاي، مطبعة البعث، (الجزائر، د.س).

- **الدمشقي، شمس الدين محمد أبي طالب الأنصاري (ت ٧٢٧هـ):**

٣٩- نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، طبع في مدينة بطربورغ، ١٨٦٥م.

- **ابن ابي دينار، أبو عبدالله محمد بن ابي القاسم (ت١١١٠هـ):**

٤٠- المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تح: محمد شمام، المكتبة العتيقة، (تونس، ١٩٦٧م).

- **الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله بن أحمد (ت٨٤٧هـ):**

٤١- سير أعلام النبلاء، دار الحديث، (القاهرة، ٢٠٠٦م).

- **ابن رستة، أحمد بن عمر (ت٣٠٠هـ):**

٤٢- الاعلاق النفيسة، دار صادر، (بيروت، ١٧٩٢م).

- **الرقيق القيرواني، أبراهيم بن القاسم (ت٤٢٠هـ):**

٤٣- تاريخ أفريقيا والمغرب، تح: محمد زينهم، ط١، دار الفرجاني، (د.م، ١٩٩٤م).

- **ابن ابي زرع، أبو الحسن علي بن أحمد (ت٧٢٦هـ):**

٤٤- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: كارل تورتبورغ، دار المنصور، (الرباط، ١٩٧٣م).

٤٥- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور، (الرباط، ١٩٧٢م).

- **الزركشي، أبو عبيد الله محمد بن أبراهيم (كان حياً عام ٨٨٢هـ):**

٤٦- تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح: محمد ماضور، المكتبة العتيقة، (تونس، ١٩٦٦م).

- **الزهري، أبو عبدالله محمد بن أبي بكر (ت ق٦هـ):**

٤٧- كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة (بور سعيد، د.س).

- **السبتي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٦٣٣هـ):**

٤٨- أثبات ما ليس منهُ يد لمن أراد الوقوف على حقيقة الدينار والدرهم والصاع والمد، تح: محمد الشريف، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ١٩٩٩م).

- **ابن سعد، أبو عبدالله محمد بن سعد (ت٢٣٠هـ):**

٤٩- الطبقات الكبرى، تح: أحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٦٨م).

- **السعدي، عبد الرحمن بن عبدالله بن عمران، (ت١٠٦٦هـ):**

٥٠- تاريخ السودان، طبعة هوداس، (باريس، ١٩٨١م).

- **ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ):**

٥١- الجغرافيا، تح: أسماعيل العربي، ط١، المكتب الانصاري، (بيروت،١٩٧٠م).

- **ابن السماك العاملي، أبي القاسم محمد بن أبي العلاء (ق٨هـ):**

٥٢- الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، تح: عبد القادر بوباية، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠١٠م).

- **السيوطي، جلال الدين عبدالرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ):**

٥٣- الحاوي للفتاوي، دار الفكر، (بيروت، ٢٠٠٤م).

- **الشريشي، أحمد بن عبد المؤمن (ت٦١٩هـ):**

٥٤- شرح مقامات الحريري، تح: محمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، (بيروت، ١٩٩٢م).

- **الشماخي، أبو العباس احمد بن سعيد (ت٩٢٨هـ):**

٥٥- كتاب السير، (قسطنطينية، ١٨٨٣هـ).

- **الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم (ت٥٤٨هـ):**

٥٦- الملل والنحل، تح: محمد سيد كربلائي، دار المعرفة، (بيروت، ١٤٠٤هـ).

- **الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ):**

٥٧- الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط، دار أحياء، (بيروت، ٢٠٠٠م).

- **ابن الصغير، علي بن محمد المالكي (ت٧١٩):**

٥٨- أخبار الأئمة الرستميين، تح: محمد ناصر وإبراهيم بحاز، دار الغرب الإسلامي، (د.م، د.س).

- **الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ):**

٥٩- تاريخ الطبري المسمى بتاريخ الأمم والملوك، ط١، دار الكتب، (بيروت، ١٤٠٧م).

- **ابن عبد البر، أبو عمر يوسف القرطبي (ت٤٦٣هـ):**

٦٠- الأستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي، ط١، دار جيل، (بيروت، ١٩٩٢م).

٦١- القصد والأمم في التعريف بأصول أنساب العرب والعجم، مطبعة السعادة، (القاهرة، ١٣٥٠هـ).

- **ابن عبد الحكم، عبد الرحمن بن عبدالله (ت٢٥٧هـ):**

٦٢- فتوح مصر وأخبارها، تح: محمد صبيح، مكتبة مدبولي، (القاهرة، دو.س).

- **ابن عبد الظاهر، محي الدين (ت٦٩٢هـ):**

٦٣- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تح: عبد العزيز الخويطر، ط١، (الرياض، ١٩٧٦م).

- **ابن عذارى، أبو العباس احمد بن محمد (ت٧١٢هـ):**

٦٤- البيان المغرب في أخبار ملوك الأندلس والمغرب، تح: شبار عواد معروف، ط١، دار الغرب، (تونس، ٢٠١٣م).

- **ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبدالله (ت٥٤٣هـ):**

٦٥- أحكام القرآن، تح: علي محمد البجاوي، دار صادر، (بيروت، ١٩٨٧م).

- **العزيزي، الحسن بن أحمد المهلبي (ت٣٨٠هـ):**

٦٦- الكتاب العزيزي (الممالك والممالك)، تح: تيسير خلف، دار التكوين، (د.م، ٢٠٠٦م).

- **العمري، احمد بن يحيى بن فضل الله (ت٧٤٩هـ):**

٦٧- التعريف بالمصطلح الشريف، تح: محمد حسين، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٩٨٨م).

٦٨- مسالك الابصار في ممالك الامصار، ط١، المجمع الثقافي، (أبو ظبي، ١٤٢٣هـ).

- **الغرناطي، أبو حامد بن عبد الرحيم الاندلسي (ت٥٦٥هـ):**

٦٩- تحفة الالباب ونخبة الأعجاب، (باريس، ١٩٢٥م).

- **ابو الفداء، عماد الدين أسماعيل بن الملك الافضل (ت٧٣٢هـ):**

٧٠- تقويم البلدان، تح: رينود وماك كوكين، دار الطباعة، (باريس، ١٨٤٠).

٧١- المختصر في أخبار البشر، المطبعة الحسينية المصرية، (د.م، د.س).

- **الفشتالي، عبد العزيز بن محمد (ت١٠٣٢هـ):**

٧٢- مناهل الصفا في أخبار الملوك الشرفاء، تح: عبد الله كنون، المطبعة المهدية، (تطوان، ١٩٦٤م).

- **ابن الفقيه، أبو عبدالله احمد بن محمد (ت٣٦٥هـ):**

٧٣- البلدان، تح: يوسف الهادي، ط١، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٩٦م).

- **الفيروز أبادي، محمد بن يعقوب (ت٨١٧هـ):**

٧٤- القاموس المحيط، تح: محمد نعيم، ط٨، مؤسسة الرسالة، (بيروت، ٢٠٠٥م).

- **القزويني، زكريا بن محمد (ت٦٨٢هـ):**

٧٥- أثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، (بيروت، د.ت).

- **القشيري، أبو القاسم عبد الكريم بن هوزان (ت٤٦٥هـ):**

٧٦- الرسالة القشيرية، دار التربية، (د.م، د.ت).

- **القلقشندي، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري (ت٨٢١هـ):**

٧٧- صبح الأعشى في صناعة الأنشا، دار الكتب العلمية، (بيروت، د.س).

٧٨- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب المصري، (د.م، ١٩٨٢م).

٧٩- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تح: إبراهيم الأبياري، ط٢، دار الكتاب، (بيروت، ١٩٨٠م).

- **كعت، محمود بن الحاج المتوكل التنبكتي (ت٩٤٥هـ):**

٨٠- تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش واكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريق انساب العبيد من الاحرار، طبعة هوداس، (باريس، ١٩٦٤م).

- **ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت٢٠٤هـ):**

٨١- جمهرة النسب، تح: ناجي حسن، مطبعة النهضة، (بيروت، ١٩٨٦م).

٨٢- نسب معد واليمن الكبير، تح: ناجي حسن، ط١، عالم الكتب، (د.م، ١٩٨٨م).

- **المبرد، أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٦هـ):**

٨٣- نسب عدنان وقحطان، تح: عبد العزيز اليمني، (الهند، ١٩٣٦م).

- **المراكشي، عبد الواحد بن علي التميمي (ت٦٤٧هـ):**

٨٤- المعجب في تلخيص أخبار المغرب من لدن فتح الأندلس الى آخر عصر الموحدين، تح: صلاح الدين هواري، ط١، المكتبة العصرية، (صيدا، ٢٠٠٦م).

- **المروزي، أسماعيل بن الحسين بن محمد الأزورقاني (ت بعد ٦١٤هـ):**

٨٥- الخضري في أنساب الطالبين، تح: مهدي الرجائي، ط١، مطبعة سيد الشهداء، (قم، ١٤٠٩هـ).

- **المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ):**

٨٦- أخبار الزمان ومن أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران، ط١، دار الأندلس، (بيروت، ١٩٩٦م).

٨٧- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تح: كمال حسن مرعي، ط١، المكتبة العصرية، (بيروت، ٢٠٠٥م).

- **المغيلي، محمد بن عبد الكريم(ت ه):**

٨٨- أسئلة الاسقيا وأجوبة المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، (الجزائر، ١٩٧٤م).

- **المقدسي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت٣٨٠هـ):**

٨٩- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط٣، مطبعة مدبولي، (القاهرة، ١٩٩١م).

- **المقري، شهاب الدين احمد بن محمد (ت١٠٤١هـ):**

٩٠- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تح: مصطفى السقا وأخرون، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (القاهرة، ١٩٣٩م).

٩١- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تح: أحسان عباس، ط١، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٧م).

- **المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت٨٤٥هـ):**

٩٢- اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تح: جمال الدين شيال، ط٢، (القاهرة، ١٩٩٦م).

٩٣- إغاثة الأمة في كشف الغمة، تح: ياسر سيد صالحين، (القاهرة، ١٩٥٧م).

٩٤- الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تح: عبد المنعم حنيفي، المكتبة الأزهرية، (القاهرة، ٢٠٠٦م).

٩٥- الخطط، (القاهرة، ١٩٥٩م).

٩٦- الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تح: جمال الدين الشيال، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (بو سعيد، ٢٠٠٠م).

٩٧- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار، ط١، دار الكتب العلمية، (بيروت، ١٤١٨هـ).

- **المنجم، إسحاق بن الحسين (ت ق ٤هـ):**

٩٨- أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان، تح: فهمي سعيد، ط١، عالم الكتب، (بيروت، ١٩٨٨م).

- **ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت٧١١هـ):**

٩٩- لسان العرب، ط٣، دار صادر، (بيروت، ١٩٩٧م).

- **مؤلف مجهول:**

١٠٠-الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول، دار الشؤون الثقافية، (بغداد، ١٩٨٦م).

- **النباهي، أبو الحسن عبدالله بن الحسن (ت٧٩٢هـ):**

١٠١-تاريخ قضاة الاندلس، تح: لجنة احياء التراث، ط٥، دار الأفاق، (بيروت، ١٩٨٣م).

- **ابن هشام، محمد بن عبد الملك (ت٢١٨هـ):**

١٠٢-السيرة النبوية، تح: مصطفى السقا وآخرون، مطبعة مصر، (القاهرة، ١٩٥٠م).

- **ابن الوردي، سراج الدين عمر بن المظفر (ت٨٥٢هـ):**

١٠٣-خريدة العجائب وفريدة الغرائب، تح: أنور محمود زناتي، ط١، مكتبة الثقافة الإسلامية، (القاهرة، ٢٠٠٨م).

- **الوزان، الحسن بن محمد (ت٩٥٦هـ):**

١٠٤-وصف أفريقيا، تر: محمد حجي، ط٢، دار الغرب، (بيروت، ١٩٨٣م).

- **الوسياني، أبو الربيع سليمان بن عبد السلام (ت ق٦هـ):**

١٠٥-سير الوسياني، تح: عمرو لقمان، ط١، وزارة التراث، (مسقط، ٢٠٠٩م).

- **الونشريسي، أحمد بن يحيى (ت٩١٤هـ):**

١٠٦-المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، تح: محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، (المملكة المغربية، ١٩٨١م).

- **اليعقوبي، أحمد بن اسحاق (ت٢٨٤هـ):**

١٠٧-البلدان، تح: محمد أمين، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠٠٢م).

١٠٨-تاريخ اليعقوبي، دار صادر، (بيروت، د.س).

ثالثاً:- المراجع الثانوية:-

- **الأرواني، أحمد بابير (ت١٩٩٠م):**

١-السعادة الأبدية في التعريف بعلماء تنبكت البهية، تح: الهادي المبروك الدالي، ط١، دار الكتب، (بنغازي، ٢٠٠١م).

- **آل المغيلي، الصديق الحاج أحمد:**

٢-من أعلام التراث الكنتي المخطوط الشيخ محمد بن بادي الكنتي، دار الغرب، (د.م، د.س).

- **الآلوري، أدم عبد الله:**

٣-موجز تاريخ نيجيريا، دار مكتبة الحياة، (بيروت، ١٩٦٥م).

- **اوليفر، رولاند وفيج، جون:**

٤-موجز تاريخ أفريقيا، تر: دولت أحمد صادق، الدار المصرية، (القاهرة، ١٩٦٩م).

- **باري، محمد فاضل وكريدية، سعيد إبراهيم:**

٥-المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضـــارة، ط١، دار الكتـــب، (بيـــروت، ٢٠٠٧م).

- **بازينة، عبدالله سالم:**

٦-أنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، ط١، منشورات جامعة ٧ أكتوبر، (مصراته، ٢٠١٠م).

- **بدوي، عبده:**

٧-حركة الإسلام في أفريقيا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ١٩٧٠م.

- **البرتلي، محمد بن أبي بكر الولاتي (ت١٢١٩هـ):**

٨-فتح الشكور في معرفة أعيان التكرور، تح: محمد أبراهيم، ط١، دار الغـــرب، (بيروت، ١٩٨١م).

- **بروكلمان، تاريخ الادب العربي:**

٩-تر: عبد الحليم النجار، ط٣، دار المعارف، (د.م، د.س).

- **باري، عثمان برايما:**

١٠- جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الافريقي، ط١، دار الأمين، (القاهرة، ٢٠٠٠م).

- **البوزيدي، أحمد:**

١١- التاريخ الاجتماعي لدرعة، مؤسسة الملك عبد العزيز، الدار البيضاء.

- **بوفيل:**

١٢- الممالك الإسلامية في غرب افريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، تر: زاهر رياض، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٦٨م.

١٣- تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، تر: هادي أبو لقمة، جامعة قاريونس، (بنغازي، ١٩٨٨م).

- **بولم، دنيس:**

١٤- الحضارات الأفريقية، تر: علي شـــاهين، دار مكتبـــة الحيـــاة، (بيـــروت، ١٩٧٤م).

- **تريمنجهام، سبنسر:**

١٥- الإسلام في السودان، تر: فؤاد محمد، مطبعة المجلس الأعلى للآثـــار (د.م، ٢٠٠١م).

- **توماس، أرنولد:**

١٦- الدعوة الى الإسلام، تر: حسن أبـــراهيم حســـن، ط١، مكتبـــة النهضـــة، (القاهرة، ١٩٧١).

- **التونسي، محمد بن عمر (ت١٢٧٤هـ):**

١٧- تشحيذ الأذهان بسيرة بلاد العرب والسودان، تح: خليل عساكر ومصـــطفى سعد، المؤسسة المصرية العامة، (القاهرة، ١٩٦٥م).

- **الجراري، عباس:**

١٨- ثقافة الصحراء، (تونس، ١٩٨٧م).

- **الجزائري، مبارك بن محمد:**

١٩- تاريخ الجزائر القديم والحديث، تقديم: محمد الميلي، المؤسســـة الوطنيـــة، (الجزائر، ١٩٨٦م).

- **الجمل، شوقي عطا الله، أبراهيم، عبد الله عبد الرزاق:**

٢٠- تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة، (القاهرة، ١٩٩٦م).

٢١- تاريخ كشف أفريقيا وأستعمارها، المطبعة الحديثة، (القاهرة، ١٩٧١م).

- **جوزيف، جوان:**

٢٢- الإسلام في ممالك أفريقيا السوداء، تـــر: مختـــار الســـيوفي، دار الكتـــب، (القاهرة، ١٩٨٩م).

- **الجيدي، عمر:**

٢٣- محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإســـلامي، منشـــورات عكاظ، (الرباط، ٢٠١٢م).

- **حسن، أبراهيم حسن:**

٢٤- انتشار الإسلام والعروبة فيما يلي الصحراء، معد الدراسات العربية، جامعة الدول العربية، (القاهرة، ١٩٥٧م).

٢٥- أنتشار الإسلام في القارة الافريقية، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٨٤مم).

- **حسن، يوسف فضل الله:**

٢٦- الإسلام في أفريقيا، (الخرطوم، د.س).

٢٧- الشلوخ أصلها ووضيفتها في السودان، (الخرطوم، ١٩٧٦م).

- **الحشائشي، محمد بن عثمان:**

٢٨- رحلة الحشائشي من ليبيا سنة ١٨٩٥م، تح: مصطفى المصراتي، دار لبنان، (بيروت، ١٩٦٥م).

- **الاحمر، أسماء احمد:**

٢٩- الدين والدولة في مملكة سنغاي الإسلامية، ط١، دار الكتب الوطنية، (بنغازي، ٢٠٠٨م).

- **حوتية، محمد الصالح:**

٣٠- تاريخ توات والأزواد، دار الكتاب العربي، (الجزائر، ٢٠٠٧م).

- **الخزاعي، كريم عاتي وعباس، رضا هادي:**

٣١- محاضرات في تاريخ المغرب والاندلس، ط٤، (بغداد، ٢٠١٤م).

- **الدالي، الهادي المبروك:**

٣٢- التاريخ الحضاري لأفريقيا فيما وراء الصحراء، مكتبة الإسكندرية، (د.م، د.س).

٣٣- التاريخ السياسي والأقتصادي لأفريقيا فيما وراء الصحراء، ط١، الدار المصرية اللبنانية، (القاهرة، ١٩٩٩م).

٣٤- مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع المغرب وليبيا، ط١، دار الملتقى، (بيروت، ٢٠٠١م).

- **دبوز، محمد علي:**

٣٥- تاريخ المغرب الكبير، (القاهرة، ١٩٦٣م).

- **الدراجي، بوزياني:**

٣٦- القبائل الأمازيغية، دار الكتاب، (الجزائر، ٢٠٠٧م).

- **دندش، عصمت عبد اللطيف:**

٣٧- دور المرابطين في نشر الإسلام في غـرب أفريقيـا، ط١، دار الغـرب، (بيروت، ١٩٨٨م).

- **الدوري، ظاهر جاسم:**

٣٨- أفريقيا في العصور الإسلامية، ط١، دار الجنان، (عمان، ٢٠١٥م).

- **ديبوا، فيلكس:**

٣٩- تمبكت العجيبة، تح: عبد الله عبد الرزاق، المجلس الأعلى للثقافة، (القاهرة، ٢٠٠٣م).

- **ديشان، هوبير:**

٤٠- الديانات في أفريقيا السوداء، تر: أحمد صادق، الهيئة المصرية، (القـاهرة، ٢٠١١م).

- **رزق الله، مهدي:**

٤١- حركة التجارة والإسلام والتعليم في غرب افريقيـا، ط١، مركـز الملـك فيصل، (الرياض، ١٩٩٨م).

- **روكرز، يوسف:**

٤٢- أفريقيا السوداء سياسة وحضارة، ط١، المؤسسـة الجامعيـة، (بيـروت، ١٩٨٦م).

- **زامبارو:**

٤٣- معجم الأنساب والأسر الحاكمة في التاريخ الإسلامي، تر: محمد حسن بك وحسن أحمد محمود، دار الرائد، (بيروت، ١٩٨٠م).

- **زبادية، عبد القادر:**

٤٤- الحضارة العربية والتأثير الأوربي في افريقيا جنوب الصحراء، المؤسسـة الوطنية، (الجزائر، ٢٠٠٥م).

٤٥- دراسة عن أفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسـلمين، ديوان المطبوعات، (الجزائر، د.ت).

٤٦- مملكة سنغاي في عصر الأسقيين، المؤسسة الوطنية، (الجزائر، د.ت).

- **الزركلي، خير الدين بن محمود (ت١٣٩٦هــ):**

٤٧- الاعلام، دار العلم، (د.م، ٢٠٠٢).

- **زكي، عبد الرحمن:**

٤٨- تاريخ الدول الإسلامية بأفريقيا الغربية، المؤسسة العربية، (القاهرة، ١٩٦١م).

- **زناتي، محمود سلام:**

٤٩- الإسلام والتقاليد القبلية في أفريقيا، دار النهضة، (بيروت، ١٩٦٩م).

- **زيادة، نيقولا:**

٥٠- أفريقيات (دراسة في تاريخ المغرب العربي والسودان الغربي)، ط١، رياض الريس، (لندن، ١٩٩١م).

- **سلجيمان:**

٥١- السلالات البشرية في أفريقية، تر: يوسف خليل، مكتبة العالم العربي، (القاهرة، ١٩٥٩م).

- **السويدي، محمد امين بن علي البغدادي (ت١٢٤٦م):**

٥٢- سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، دار احياء العلوم، (بيروت، د.س).

- **شاكر، خولة والدوري، تقي الدين:**

٥٣- تاريخ المسلمين في أفريقيا، ط١، دار الكتب الوطنية، (أبو ظبي، ٢٠١٤م).

- **الشرقاوي، محمود:**

٥٤- رحلة مع أبن بطوطة، مكتبة الأنجلو المصرية، (القاهرة، ١٩٦٨م).

- **الشعباني، نور الدين:**

٥٥- محاضرات في تاريخ السودان الغربي، دار الجزائر، (الجزائر، د.ت).

- **الشكري، أحمد:**

٥٦- الأسلام والمجتمع السوداني لأمبراطورية مالي، ط١، المجتمع الثقافي، (أبو ظبي، ١٩٩٩م).

- **شلبي، أحمد:**

٥٧- موسوعة التاريخ الأسلامي، مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٨١م).

- **شنتيرة، خير الدين، الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي:**

٥٨- المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، (تلمسان، ٢٠١١).

- **الشنقيطي، احمد بن الأمين (ت١٣٣١هـ):**

٥٩- الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، تح: فؤاد السيد، ط٤، مطبعة المدني، (القاهرة، ١٩٨٩م).

- **الشيخلي، صباح أبراهيم والالوسي، محي الدين:**

٦٠- تاريخ الإسلام في أفريقيا وجنوب شرق أسيا، مطبعة التعليم العالي، (بغداد، ١٩٨١م).

- **الصفاقسي، أبو الثناء محمود بن سعيد (ت١٢٢٨هـ):**

٦١- نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، تح: علي الزواري، ط١، دار الغرب، (بيروت، ١٩٨٨م).

- **أبو ظيف، مصطفى:**

٦٢- أثر القبائل العربية في الحياة المغربية خلال عصري الموحدين وبني مرين، ط١، (د.م، ١٩٨٢م).

- **طرخان، أبراهيم علي:**

٦٣- الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي والاوسط، الهيئة العامة، (القاهرة، ١٩٦٩م).

٦٤- امبراطورية غانة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (القاهرة، ١٩٧٠م).

٦٥- دولة مالي الإسلامية، ط٢، الهيئة العامة، (جامعة القاهرة، ١٩٧٣م).

- **الطيب، محمد سليمان:**

٦٦- موسوعة القبائل العربية، دار الفكر العربي، (القاهرة، ٢٠٠١م).

- **الطيبي، أمين توفيق:**

٦٧- دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والاندلس، الدار العربية للكتاب، (د.م، ١٩٩٧م).

- **ضيف، شوقي:**

٦٨- المعجم الوسيط، ط٤، مكتبة الشروق الدولة، (مصر، ٢٠٠٤م).

- **العبادي، أحمد مختار:**

٦٩- في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة، (بيروت، د.ت).

- **عبد الله، عبد الرزاق:**

٧٠- الطرق الصوفية في القارة الافريقية، دار ط٢، الثقافة، (القاهرة، ٢٠٠١م).

- **عبدالله، عبد الماجد أبراهيم:**

٧١- الغرابة الجماعات التي هاجرت من غرب أفريقيا واستوطنت سودان وادي النيل، ط١، دار الحاوي، (د.م، ١٩٩٨م).

- **عبد الحميد، سعد زغلول:**

٧٢- تاريخ المغرب العربي، منشأة المعارف، (د.م، د.س).

- **عبد الرزاق، محمد إسماعيل:**

٧٣- الخوارج في بلاد المغرب، ط٢، دار الثقافة، (المغرب، ١٩٨٥م).

- **عبد العزيز، محمد فتحي:**

٧٤- أبن بطوطة في بلاد السودان، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، (القاهرة، ٢٠١٧م).

- **العربي، إسماعيل:**

٧٥- الصحراء الكبرى وشواطئها، (الجزائر، ١٩٨٣م).

٧٦- حاضر الدول الإسلامية في القارة الافريقية، المؤسسة الوطنية للكتاب، (الجزائر، ١٩٨٤م).

- **علي، مسعود عمر:**

٧٧- تأثير الشمال الأفريقي على الحياة الفكرية في السودان الغربي، جمعية الدعوة الإسلامية، (طرابلس ٢٠٠٣م).

- **عمران، كبا:**

٧٨- الشعر العربي في الغرب الافريقي، منشورات المنظمة الاسلامية، (الرباط، ٢٠١١م).

- **عوض الله، الشيخ الأمين:**

٧٩- العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطتين مـــالي وسنغاي، دار المجتمع العلمي، (جده، ١٩٧٩م).

- **الغربي، محمد أحمد:**

٨٠- موريطانيا ومشاغل المغرب الافريقية، (الرباط، ١٩٦٤م).

- **الغربي، محمد:**

٨١- بداية الحكم المغربي في السودان الغربي، مؤسسة الخليج، (الكويت، د.س).

- **غيث، أمطير سعد:**

٨٢- التأثير العربي الإسلامي في السودان الغربي فيما بين القرنين الرابع عشر والسادس عشر، ط١، دار الرواد، (طرابلس، ١٩٩٦م).

٨٣- الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع الســـودان الغربـــي، ط١، دار المدار الإسلامي، (بيروت، ٢٠٠٥م).

- **الفاسي، الشريف يوسف بن عابد:**

٨٤- رحلة أبن عابد، رحلة أبن عابد الفاسي من المغرب الى حضر موت، تـــح: إبراهيم السامرائي، ط١، دار الغرب، (بيروت، ١٩٩٣م).

- **فهد، بدري محمد:**

٨٥- الصلات بين العرب وأفريقيا الثقافية والسياسية والأقتصادية والاجتماعيـــة، دار المناهج، عمان، ٢٠١٦م).

- **في جي دي:**

٨٦- تاريخ غرب أفريقيا، تر: السيد يوسف نصر، ط١، دار المعارف، (القاهرة، ١٩٨٢م).

- **الفيتوري، عطية مخزوم:**

٨٧- دراسات في تاريخ شرق أفريقيا وجنوب الصحراء، ط١، منشورات جامعة قاريونس، (بنغازي، ١٩٨٨م).

- **فيرون، ريمون:**

٨٨- الصحراء الكبرى، تر: جمال الدين ناصوري، سجل العرب، (القاهرة، ١٩٦٣م).

- **قاسم، جمال زكريا:**

٨٩- الأصول التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، دار الفكر العربي، (القاهرة، ١٩٩٦م).

- **قداح، نعيم:**

٩٠- أفريقيا الغربية في ظل الإسلام، مطبعة الوحدة العربية، (دمشق، ١٩٦٠م).

- **القشاط، محمد سعيد:**

٩١- جهاد الليبيين ضد الاستعمار الفرنسي في الصحراء الكبرى، مركز دراسات وأبحاث شؤون الصحراء، (طرابلس، ١٩٨٨م).

- **القصير، مليحة عوني:**

٩٢- أصل العائلة، (بغداد، ١٩٦٤م).

- **الكانمي، أحمد محمد:**

٩٣- الجهاد الإسلامي في غرب أفريقيا، مطبعة الزهراء، (القاهرة، ١٩٨٧م).

- **كحالة، عمر رضا:**

٩٤- معجم القبائل العرب القديمة والحديثة، (دمشق، ١٩٩٤م).

- **الكعاك، عثمان:**

٩٥- البربر، ط١، مطبعة الترقي، (تونس، ١٩٥٦م).

- **الكنتي، محمد الخليفة (ت١٢٤٢هـ):**

٩٦- الرسالة الغلاوية، تح: حماه الله ولد السالم، ط١، مطبعة المعارف، (الرباط، ٢٠٠٧م).

- **لومبارد، موريس:**

٩٧- الجغرافية التاريخية للعالم الأسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، تر: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، (دمشق، ١٩٧٩م).

- **مارتي، بول:**

٩٨- البرابيش (بنو حسان)، تر: محمد محمود ولدودادي، مطبعة زيد بن ثابت، (دمشق، ١٩٨٥م).

٩٩- القبائل البيضانية في الحوض والساحل الموريتاني، تر:محمد محمود ولد ودادي، جمعية الدعوة الاسلامية، (طرابلس، ٢٠٠١م).

١٠٠-كنتة الشرقيون، تر: محمد محمود ولد ودادي، مطبعة زيد بن ثابت، (دمشق، ١٩٨٥م).

- **ماير:**

١٠١-الملابس المملوكية، تر: صالح شيتي، الهيئة المصرية العامة، (القاهرة، د.س).

- **المحجوب السالك، ولد محمد ولد عباد:**

١٠٢-مجتمع البيضان تاريخ أمة وكفاح شعب، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧م).

- **محمد زينهم محمد عزب:**

١٠٣-تاريخ مملكة الاغالبة لأبن وردان، ط١، مكتبة مدبولي، (القاهرة، ١٩٨٨م).

- **محمد، سحر عنتر:**

١٠٤-فقهاء المالكية وأثرهم في مجتمع السودان الغربي في عهد دولتي مالي وصنغاي، ط١، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، ٢٠١١م).

- **محمد، سوادي عبد والحاج، صالح عمار:**

١٠٥-دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط١، المكتب المصري، (القاهرة، ٢٠٠٤م).

- **محمد، ظاهر جاسم:**

١٠٦-أفريقيا في العصور الإسلامية، ط١، دار الجنان، (عمان، ٢٠١٢م).

- **محمد، محمد عوض:**

١٠٧-الشعوب والسلالات الافريقية، الدار المصرية، (القاهرة، ١٩٦٦م).

- **محمود، حسن أحمد:**

١٠٨-الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في أفريقيا الغربية، ط٣، دار الفكر، (القاهرة، ١٩٨٦م).

١٠٩-قيام دولة المرابطين، دار الفكر، (القاهرة، د.س).

- **محمود، نبيلة حسن:**

١١٠-الحضارة الإسلامية، دار المعرفة الجامعية، (القاهرة، د.س).

- **محنض، الحسن:**

١١١-تاريخ موريتانيا القديم والوسيط، ط١، دار الفكر، (موريتانيا، ٢٠١٠م).

- **المختار ولد حامد:**

١١٢-حياة موريتانيا (الجغرافيا)، دار الغرب، (بيروت، ١٩٩٤م).

- **مراد، عدنان:**

١١٣-المجتمعات الأفريقية أصولها وتاريخها وشعوبها وثقافتها، أتحاد الكتاب العرب، (د.م، ١٩٩٥م).

- **المنجد، صلاح الدين:**

١١٤-مملكة مالي عند الجغرافيين المسلمين، ط٢، دار الكتب، (بيروت، ١٩٨٢م).

- **منصور، عبد الوهاب:**

١١٥-قبائل المغرب، دار الكتاب العربي، (بيروت، ١٩٨٦م).

- **المهندس، فريد عبد الرشيد:**

١١٦-العلاقات بين الدولة المرينية ومملكة مالي الإسلامية، ط١، المكتب العربي للمعارف، (القاهرة، ٢٠١٧م)

- **مؤنس، حسين:**

١١٧-أبن بطوطة ورحلاته، دار المعارف، (القاهرة، د.ت).

- **ميغا، أبو بكر أسماعيل:**

١١٨-الحركة العلمية والثقافية والإصلاحية في السودان الغربي، ط١، مكتبة توبة، (السعودية، ١٩٩٧م).

- **الناصري، أبو العباس أحمد بن خالد (ت١٣١٥م):**

١١٩-الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب، (الدار البيضاء، ١٩٩٧م).

١٢٠-طلعة المشتري في النسب الجعفري، المؤسسة الناصرية، (سلا، د.س).

- **الناني ولد حسين:**

١٢١-صحراء الملثمين، دراسة لتاريخ موريتانيا وتفاعلها مع محيطها الإقليمي خلال العصر الوسيط منذ منتصف القرن الثاني الهجري الى نهاية القرن الخامس الهجري، دار المدار الإسلامي، ط١، (بيروت، ٢٠٠٧م).

- **النحوي، الخليل:**

١٢٢-بلاد شنقيط المنارة والرباط، (تونس، ١٩٨٧م).

- **النقيرة، محمد عبد الله:**

١٢٣-التأثير الإسلامي في غربي أفريقيا، ط١، (الرياض، ١٩٨٨م).

- **نوري، دريد عبد القادر:**

١٢٤-تاريخ الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، جامعة الموصل، (الموصل، ١٩٨٥م).

- **هلال، عمار:**

١٢٥-الطرق الصوفية ونشر الإسلام والثقافة العربية في غرب أفريقيا السمراء، المؤسسة الوطنية، (الجزائر، ١٩٨١م).

- **هنتس، فالتر:**

١٢٦-المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، تر: كامل العسلي، منشورات الجامعة الأردنية، (عمان، ١٩٧٠م).

- **الولاتي، محمد بن صالح بن عبد الوهاب، (ت ١٢٧١هـ):**

١٢٧-الحسوة البيسانية في علم الأنساب الحسانية، تح: حماه الله ولد السالم، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠١٥م).

- **ولد النقرة، أكناتة:**

١٢٨-الطوارق من الهوية الى القضية، طوب بريس، (الرباط، ٢٠١٤م).

- **ولد السالم، حماه الله:**

١٢٩-تاريخ بلاد شنكيطي (موريتانيا)، ط١، دار الكتب، (بيروت، ٢٠١٠م).

- **وناس، زمان عبيد:**

١٣٠-تاريخ مدينة كاو، دار الأيام، (عمان، ٢٠١٥م).

١٣١-تمبكتو وأثرها الحضاري في العصور الإسلامية المتأخرة، ط١، دار الأيام، (عمان، ٢٠١٥م).

- ويدنر، دونالد:

١٣٢-تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، تر: راشد البراوي، دار جيـل، (الفجالـة، ٢٠٠١م).

رابعاً:- المراجع الاجنبية:-

- **A.Coyne,**

1-**Le sahara de L'ouest:** Etude Geographique sur L'Adrar, et unepartie du Sahara occidentale.

- **Cauret (comdt):**

2- L'origine caucasienne des Touareg, ex B.E.S.G.A. Alger, 1925.

3-les marabouts, Alger, 1923.

- **Dol, A, R:**

4-Islamic thought and calture. Their impact on a frica with special reference to Nigeria. The Islamic review, (October: 1969).

- **Dubois, Feliy:**

5-Timbucto le mysterious (translated by Dion white: London 1982).

- **E,F. Gautier:**

6-Le passe de l'Afrique du nord, payot.,(paris,1937)

- **Fage j D:**

7-An Introduction to the History of west Africa, (Cambridge, 1962).

- **Goully, Alphonse, L:**

8-L Islam dans L Afriqae occidental francaise, (Paris, 1952).

- **Guog, J:**

9-La Famille Aqite de tombouctou, 1978, premier seme stre.

- **Henri Lhote:**

10- Les Touaregs Du Hoggar, payot, (paris, 1955).

- **Hunwik J.O,**

11- **kunta:** Encyclopedie de lislam.

- **Levtzion, Nehemia:**

12- Ancient Ghana and mali, muthuen and Go, (London, 1973).

- **Mauny, R:**

13- Tableau geographiques de l'oust africain au moyen a ge- d'apres, la tradition et. L'archeologie, memoires, (Dakar, 1961).

- **Murphy. E.J:**

14- History African civilization thoms, (NewYork, 1971).

- **Oliver, Roland:**

15- the down of African History, (oxford, 1968).

- **Palmer:**

16- Islam in western Sudan, co.LtD, 1976.

- **Rennel Rodd:**

17- people of the veil, ouster, N.B, 1970.

- **Tirmingham, spencer:**

18- the Influence of Islam upon Africa, (London: 1968).

19- History of Islam in west Africa, oxford university, (London: 1962).

خامساً:- الموسوعات:-

- **الحليم، رجب محمد:**

١-الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي (المسلمون في افريقيا جنوب الصحراء)، (معهد البحوث والدراسات الأفريقية، ١٩٩٧م)، ج٩.

- **شلبي، أحمد:**

٢-موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة العبرية الإسلامية، ط١، مطبعة مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، ١٩٧٢م).

- **الشناوي، أحمد وإبراهيم زكي خورشيد وعبد الحميد يونس:**

٣-دائرة المعارف الإسلامية، مراجعة محمد مهدي، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

سادساً:- المجلات والدوريات:-

- **أبراهيم، حامد لمين:**

١-إسهامات قبائل كنتة والفلان في التواصل الثقافي بين توات والسودان الغربي، مجلة دراسات تاريخية، موريتانيا، عدد٧، ٢٠١٦م.

- **إدريس، الفاتح الزين:**

٢-الحضارة العربية الإسلامية وأثرها الايجابي في السودان الغربي، مجلة الدراسات الافريقية، عدد٣٩، (السودان، ٢٠٠٨م).

- **أسماعيل، احمد محمد:**

٣-تاريخ مدينة أودغست ودورها في حركة التجارة بين المغرب وأفريقيا جنوب الصحراء (السودان الغربي)، حوليات مركز البحوث والدراسات التاريخية، جامعة القاهرة، ٢٠٠٨م.

- **ألياس، أحمد:**

٤-طرق القوافل عبر الصحراء والمسالك الافريقية جنوب الصحراء الكبرى في المصادر العربية، مجلة دراسات أفريقية، عدد٦، (السودان، ٢٠٠٨م).

- **الأمين، عوض الله:**

٥-تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي وأثارها الحضارية، كتاب تجارة القوافل ودورها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، (بغداد، ١٩٨٤م).

- **أمين، محمد محمد:**

٦-علاقات دولتي مالي وسنغاي بمصر في عصر سلاطين المماليك، مجلة دراسات أفريقية، عدد٤، (القاهرة، ١٩٧٥م).

- **الانباري، نجم عبد الامير:**

٧-الشيخ محمد الأمين وجهادهُ القومي في السودان الغربي، .

- **أنور، محمد:**

٨-بحيرات أفريقيا (نهر النيجر)، مجلة قارتنا، عدد٧، (القاهرة، ٢٠١٣م).

- **باسبليوس:**

٩-السحر، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، مج٢٦.

- **بتقة، أبراهيم:**

١٠- لمحات من تاريخ قبائل التوارق، مجلة الدراسات الافريقية، عدد٥، ٢٠١٦م.

- **بلهواري، فاطمة:**

١١- العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي خلال (ق٤هـ)، دورية كان التاريخية، عدد١٠، ٢٠١٠م.

- **بلولة، أبراهيم محمد أحمد:**

١٢- الهجرات والقوافل التجارية عبر الصحراء الكبرى، مجلة دراسات دعوية، عدد٩، ٢٠٠٥م.

- **بليغ، أحمد فؤاد:**

١٣- عبدالرحمن السعدي عصره وكتابه تاريخ السودان، المجلة التاريخية المصرية، مج٢٠، عدد٢٠، ١٩٧٣م.

- **بناني، عثمان:**

١٤- السودان الغربي عند أبن بطوطة وأبن خلدون، مجلة دعوة الحق، عدد ٢٦٩٢، (المغرب، ١٩٨٨م).

- **بودواية، مبخوت:**

١٥- أعلام السودان الغربي ما بين القرنين التاسع والعاشر هجري، حولية المؤرخ، عدد٦، اتحاد المؤرخين الجزائريين، (الجزائر، ٢٠٠٥م).

- **ج.ت بناتي:**

١٦- مالي والتوسع الثاني للماندينغ، تاريخ أفريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٨٨م).

- **جعفري، مبارك:**

١٧- علماء منطقة توات وتأثيرهم في السودان الغربي، دورية كان التاريخية، عدد١٦، ٢٠١٢م.

- **الجمل، شوقي عطا الله:**

١٨- الحضارة العربية الاسلامية في غرب أفريقيا سماتها ودور المغرب فيها، مجلة المناهل، عدد٧، الرباط، ١٩٧٦م.

١٩- الحضارة العربية الإسلامية في غرب أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، عدد٨، (القاهرة، ١٩٧٩م).

٢٠- دور العرب الحضاري في افريقيا، بحث في كتاب العرب في أفريقيا، دار الثقافة العربية، (القاهرة، ١٩٨٧م).

- **الجنيدي، عبد الحميد:**

٢١- مدينة تنبكت، نشأة المدينة وتطورها، دورية كان التاريخية، دار ناشري، الكويت، عدد١٦، ٢٠١٢م.

- **الحبيب، موسى جمعة:**

٢٢- طرق انتشار الإسلام في غرب أفريقيا، مجلة العلوم والدراسات الإنسانية، عدد١٠، جامعة بنغازي، ٢٠١٦م.

- **الحرير، إدريس صالح:**

٢٣- العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الدولة الرستمية وبلدان جنوب الصحراء وأثرها في نشر الإسلام، مجلة البحوث التاريخية، مركز دراسات الجهاد الليبي، عدد١، ١٩٨٣م.

- **حياوي، فراس سليم:**

٢٤- الدولة الرستمية وعلاقاتها الخارجية، مجلة كلية التربية الأساسية، عدد١٠، (جامعة بابل، ٢٠١٣م).

- **خالد بلعربي:**

٢٥- تجارة القوافل عبر الصحراء الكبرى في العصر الوسيط، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، عدد١٥، ٢٠١١م.

- **الداودي، نور الدين:**

٢٦- جذور العلاقات المغربية الأفريقية، مجلة كان التاريخية، دار ناشري، عدد٣٣، (الكويت، ٢٠١٦م).

- **داوود، محمود حسن:**

٢٧- تغربة بني هلال، مجلة البحوث والدراسات الاسلامية، عدد٢٠، ٢٠١٠م.

- **دفيس، جان:**

٢٨- التجارة والطرق التجارية في غرب أفريقيا العام، اليونسكو، باريس، ١٩٩٤م.

- **دندش، عصمت عبد اللطيف:**

٢٩- الثقافة الإسلامية في غرب أفريقيا على عهد المرابطين، مجلة دعوة الحق، (الرباط، ١٩٨٦م).

- **الدهماني، سالم الدهماني:**

٣٠- الجاليات العربية الإسلامية المبكرة في غرب أفريقيا وأثرها في نشر الإسلام واللغة العربية، مجلة كلية الآداب، جامعة طنطا، عدد٢٢، (مصر، ٢٠٠٩م).

• **زبادية، عبد القادر:**

٣١- القرن ١٦ وحركة التعليم في تمبكتو، مجلة المؤرخ العربي، عدد١٤، (بغداد، ١٩٨٠م).

• **السنجري، بان حسين:**

٣٢- امبراطورية غانة، مجلة جامعة الانبار، عدد٢، ٢٠١٢م.

• **سيسوكو:**

٣٣- الصنغي منذ القرن الثاني عشر الى السادس عشر الميلادي، مقال في كتاب تاريخ أفريقيا العام، المطبعة الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٨٨م).

• **شبيب، بشار عبد الجبار:**

٣٤- دولة مالي الإسلامية، مجلة جامعة ديالى، عدد٥٩، (ديالى، ٢٠١٣م).

• **شعبان، ماهر عطية:**

٣٥- جامعة سنكري في تمبكتو ودورها الحضاري والثقافي، مجلة دراسات أفريقية، عدد٢٤، ٢٠٠٢م.

• **شعباني، نور الدين:**

٣٦- التواجد المذهبي في السودان الغربي بين القرنين الخامس والعاشر الهجري، دورية كان التاريخية، عدد١٨، ٢٠١٢م.

٣٧- دور ملوك السودان الغربي والأوسط في نشر الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، دورية كان التاريخية، عدد١٤، ٢٠١١م.

• **شعيب، أبو بكر عبدالله:**

٣٨- اللغة العربية في أفريقيا الواقع والتطلعات، مجلة قراءات أفريقية، عدد٥، ٢٠١٠م.

• **الشيخلي، صباح أبراهيم:**

٣٩- عوامل أنتشار الإسلام في أفريقيا الغربية، مجلة دراسات إسلامية، الجامعة المستنصرية، عدد١، ٢٠٠٠م.

٤٠- ملاحظات حول انتشار الثقافة العربية الإسلامية في افريقيا جنوب الصحراء، مجلة أفاق الثقافة والتراث، مركز خيمة المساجد، عدد٣٨، ٢٠٠٢م.

٤١- النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الغربي حتى نهاية (ق٥هـ)، بحث في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٤م).

- **الصافي، محمد:**

٤٢- جوانب من التاريخ الاقتصادي المغربي، مدينة نول لمطة أنموذجاً، دورية كان التاريخية، سنة ٨، عدد٢٨، (الكويت، ٢٠١٥م).

- **صفي الدين، محي الدين:**

٤٣- العلاقات التجارية بين الدولة الرستمية والسودان الغربي، مجلة الدراسات التاريخية، عدد٧، (موريتانيا، ٢٠١٦م).

- **طرخان، أبراهيم علي:**

٤٤- الاسلام واللغة العربية في السودان الغربي والأوسط، مجلة جامعة أم درمان، عدد٢، ١٩٦٩م.

٤٥- إمبراطورية صنغي الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، عدد٨، (السعودية، ١٩٨١م).

- **عباس، عبدالله:**

٤٦- التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الحقيقة، عدد٣٤، (الجزائر، ٢٠١٥م).

- **عبد الله عبد الرزاق:**

٤٧- المسلمون والغزو لإمبراطورية الفولاني، مجلة عالم المعرفة، (الكويت، ١٩٨٩م)، عدد١٣٩.

- **عبدالله، عبد الصمد:**

٤٨- أثر اللغة العربية والشعر العربي في البناء الحضاري بغرب أفريقيا، ندوة كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، (مكة، ٢٠١٣م).

- **عبد، عباس كريم:**

٤٩- الصلات التجارية بين المغرب والسودان الغربي، مجلة كلية التربية الأساسية، بابل، عدد٤، ٢٠١٠م.

- **عبد، كوثر:**

٥٠- نهر السنغال، مجلة قارتنا، عدد٨، (القاهرة، ٢٠١٣م).

- **العبيدي، عبد العزيز بن راشد:**

٥١- مراكز الحضارة الإسلامية في السودان الغربي، مجلة دراسات افريقية، عدد٥، (الخرطوم، ١٩٨٩م).

٥٢- وسائل أنتشار الإسلام في افريقيا دراسة تاريخية، مجلة دراسات أفريقية، عدد٦، (الخرطوم، ١٩٩٠م).

- **العراقي، السير سيد أحمد:**

٥٣- تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا وأثرها الحضاري، بحث في كتاب تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية ق١٩م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية، (بغداد، ١٩٨٣م).

٥٤- ملامح تطور الحضارة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي، مجلة بيادر، عدد١٢، (السعودية، ١٩٩٤م).

- **عشي، علي:**

٥٥- أبعاد الحضور المغرب الأوسطي في أفريقيا جنوب الصحراء الجانب الثقافي، مجلة حروف للدراسات الثقافية، عدد١، ٢٠١٤م.

- **العطاء، عوض عبد الهادي:**

٥٦- الرحلة الحجازية وأثرها العلمي على أفريقيا، مجلة دراسات أفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم، ٢٠٠٠م، عدد٢٣.

- **العلوي، التقي:**

٥٧- أصول المغاربة، القسم البربري: صنهاجية الشمال، مجلة البحث العلمي، المغرب، عدد٢٧، ١٩٧٧م.

- **عميرة، محمد:**

٥٨- معدن ملح أوليل واستغلاله في العصر الوسيط، مجلة الاتحاد العام للآثاريين العرب، عدد٩، السنة.

- **العنبكي، أنور جاسم:**

٥٩- الكارم وأثرهم في نشر الإسلام في افريقيا عصر المماليك، مجلة كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠١٥م.

- **عنيشل، خديجة:**

٦٠- التراث الكنتي المخطوط، مجلة الذاكرة، عدد٥، الجزار، ٢٠٠٣م.

- **عيسى، عبدالله:**

٦١- أثر الإسلام على المجتمع الافريقي مملكة سنغاي نموذجاً، مجلة جامعة القدس، عدد٣٦، ٢٠١٥م.

- **الغربي، محمد:**

٦٢- الجذور الادريسية لإمبراطورية غانة والأصول السنغالية للدولة المرابطية، مجلة دعوة الحق، عدد٢٦٩، المغرب، ١٩٨٨م.

- **غيث، أمطير سعد:**

٦٣- آل بغيغ الونكريين ودورهم الثقافي في السودان الغربي، مجلة جامعة الزيتونة، (ليبيا، ٢٠١٤م)، عدد١١.

- **فرانسوا دي ميديروس:**

٦٤- شعوب السودان: تنقل السودان، مقال ضمن كتاب (تاريخ أفريقيا العام).

- **فضل الله، يوسف:**

٦٥- الجذور التاريخية للعلاقات العربية الافريقية، بحث مقدم لندوة العرب وأفريقيا، مركز دراسات الوحدة العربية، (بيروت، ١٩٨٧م).

- **قاسم، جمال زكريا:**

٦٦- دور العرب في كشف أفريقيا، موسوعة الثقافة التاريخية، عدد١١، دار الفكر العربي، ٢٠٠٨م.

٦٧- العلاقات العربية الأفريقية، مجلة معهد البحوث والدراسات العربية، عدد٥٤٧، القاهرة، ١٩٧٧م.

- **قداح، نعيم:**

٦٨- التأثير العربي الاسلامي في مجتمع أفريقيا الغربية، مجلة المعرفة، عدد١٤، (دمشق، ١٩٦٣م).

- **كرراز، فوزية:**

٦٩- السيطرة الهلالية بالمغرب الاسلامي، دورية كان، عدد١٢، دار ناشري، (الكويت، ٢٠١١م).

- **كنان، محمد حمد:**

٧٠- مظاهر الثقافة الاسلامية في تنبكت وغاو وجني، مجلة قراءات أفريقية، عدد٣، ٢٠٠٨م.

- **مباركية، عبد القادر:**

٧١- دولة تاهرت شمال أفريقية وعلاقتها مع السودان الغربي، دورية كان التاريخية، عدد٣٥، (الكويت، ٢٠١٧م).

- **مجاهد، حورية توفيق:**

٧٢- تاريخ الإسلام في أفريقيا (الابعاد والوسائل)، مجلة قراءات تاريخية، عدد٦، ٢٠١٠م.

- **محمد، سوزي أباظة:**

٧٣- عائلة أقيت وأسهاماتها الثقافية في تنبكت، مجلة دراسات أفريقية، عدد٦، (القاهرة، ٢٠٠٤م).

- **محمد، عاصم محمد حسن:**

٧٤- الديانات التقليدية في غرب أفريقيا، مجلة قراءات أفريقية، عدد٣، ٢٠٠٨م.

- **مسعود، خالدي:**

٧٥- أبو اسحاق الساحلي، مجلة كان، عدد٣٧، ٢٠١٧م.

- **مؤنس، حسين:**

٧٦- الإسلام الفاتح، مجلة دعوة الحق، مكة، عدد٤.

- **ميغا، أبو بكر أسماعيل محمد:**

٧٧- أشهر علماء تمبكت وجني وغاو واثرهم في أزدهار الحركة العلمية والثقافية في مدن السودان الغربي، مجلة جامعة الأمام محمد بن سعود، عدد١١، (السعودية، ١٤١٥هـ)

٧٨- تاريخ الثقافة والتعليم في السودان الغربي، مجلة الدارة، السعودية، مج١٩، عدد٢، ١٩٩٣م.

- **نوري، دريد عبد القادر:**

٧٩- أنتشار الإسلام في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة كلية العلوم السياسية، جامعة الموصل، عدد١، ٢٠٠٧م.

٨٠- أنتشار اللغة العربية في أفريقيا جنوب الصحراء، مجلة كلية الآداب، عدد٣٠، (موصل، ١٩٩٧م).

- **وناس، زمان عبيد:**

٨١- الحياة الاجتماعية والثقافية في مدينة جاو، مجلة جامعة كربلاء، م٤، عدد٣، ٢٠٠٦م.

- **يعقوب، علي:**

٨٢- اللغة العربية في النيجر بين الماضي والحاضر، مجلة قراءات أفريقية، العدد٤، ٢٠٠٩.

- **يوسو منكيلا:**

٨٣- دور الشعر العربي في الحفاظ على إسلامية الهوية الافريقية، مجلة قراءات أفريقية، عدد١٦، ٢٠١٣م.

سابعاً:- الرسائل والاطاريح الجامعية:-

- **إمحمد، فاطمة علي:**

١-تجارة القوافل بين طرابلس والمراكز التجارية جنوب الصحراء، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة أم درمان، (السودان، ٢٠١٦م).

- **جنيد، مصباح الدين:**

٢-الشيخ عثمان بن فودي الفلاني وعقيدته، أطروحة غير منشـــورة، جامعـــة أم القرى، (السعودية، ١٩٨٢م).

- **الحسني، عبد الرزاق أحمد:**

٣-العلاقات التجارية بين بلاد المغرب والسودان الغربي (من ق٣-٨هــ)، رسالة ماجستير غير منشورة، معد التـــاريخ العربـــي والتـــراث العلمـــي، (بغـــداد، ٢٠١١م).

- **الربيعي، أزهار محسن:**

٤-قبيلة بني سليم، رسالة غير منشورة، جامعة بغـــداد، كليـــة الآداب، (بغـــداد، ٢٠٠٢م).

- **سعد، فرح:**

٥-الحياة الاجتماعية والأقتصادية في السودان الغربي من خلال نوازل الشيخ باي بن عمر، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، (الجزائر، ٢٠١٦م).

- **سيدو، كورماكان:**

٦-التصوف الأسلامي في مالي نشأتهُ وتطوره، رسالة ماجستير غيـــر منشـــورة، جامعة القاهرة، ٢٠١٢.

- **الشاوي، عبير كريم:**

٧-تجار الكارم وأثرهم الأقتصادي والحضاري (٤-٩هــ)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، (جامعة بغداد، ٢٠٠٥م).

- **الشمراني، أمل بنت صالح:**

٨-رحلات الحج واثارها على بلاد السودان الغربي فـــي عصـــر دولتـــي مـــالي وسنغاي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الامام محمـــد بـــن ســـعود، السعودية، ٢٠١٢م.

- **الشيخي، حسن علي:**

٩-تأثير الإسلام وثقافته في السودان الغربي، أطروحة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، (السودان، ٢٠٠٩م).

- **صالح، عمر:**

١٠- دور الحكام السودانيين في نشر الاسلام بأفريقيا الغربية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، (بغداد، ٢٠٠٢م).

- **العزي، محمود محسن:**

١١- بنو هلال في المغرب العربي وأثارهم السياسية والأجتماعية، رسالة غير منشورة، الجامعة المستنصرية، كلية التربية، (بغداد، ٢٠٠٥م).

- **الفاجالو، محمد:**

١٢- الحياة العلمية في دولة صنغاي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، (مكة، ١٩٩٣م).

- **فتاح، فوزية يونس:**

١٣- التأثيرات الحضارية العربية الإسلامية على السودان الغربي، كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٤م.

- **فردوس، حناني:**

١٤- محمد الخليفة الكنتي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، (الجزائر، ٢٠٠٩م).

- **قدوري، عبد الرحمن:**

١٥- الوجود المغربي في منطقة السودان الغربي (٩-١٠)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة تلمسان، الجزائر.

- **موسى، جميلة:**

١٦- تجارة الذهب بين المغرب والسودان الغربي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، ٢٠٠٠م.

- **مولاي، محمد:**

١٧- العلاقات العلمية بين توات وبلاد الساحل الافريقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة وهران، (الجزائر، ٢٠١٤م).

- **نوري، دريد عبد القادر:**

١٨- أنتشار الاسلام في السودان الغربي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الموصل، ١٩٨١م.

- **الهويمل، عبد العزيز بن سعد:**

١٩- السودان الغربي من خلال المصادر العربـــي، أطروحـــة دكتـــوراه غيـــر منشورة، جامعة الأمام محمد بن سعود، (السعودية، ١٤٢٥هـ).

Republic of Iraq
Ministry of Higher education and Scientific research
Al-Mustansiriyah University
College of Education/ department of History



The migration of Arab and Berber tribes to western Sudan and its cultural impact from the fifth century AH to tenth Century AH

A Thesis

Submitted to the council of college of education / Al-Mustansiriyah University and it is partial requirements of fulfillment of Master- Degree in the Islamic History

By the student

Zahraa Yousif Ismaeel

Supervised By

Asst. Prof. Dr.

Anwar Jasim Hassan Al-Anbaki

2018AD **Baghdad** **1440AH**

Abstract

The ways and means of spreading Islam in the western Sudan country were varied, The human migrations that came to the western Sudan were one of the most important methods of spreading Islam in western Sudan country. Moreover, these migrations, whether collective or individual, were peaceful, as they were not preoccupied with Islamic invocation and imposed by force or Islamic strife , but just their coming and staying in those areas can rally around them and encourage the western community of Sudan to embrace Islam.

This thesis is marked "migration of Arab and barbarian tribes to the western Sudan from the fifth century AH until the tenth century AH",the purpose of the thesis is to highlight the migration of Arab and Barbarian tribes to western Sudan and their cultural impact in that period, It is a beginning of a new phase and the beginning of forming an era in the history of the western Sudan.

This thesis has been divided into an preamble and four chapters, as follows:

1- In the preamble, we referred to the geographical and human definition of the western Sudan country .
2- In the fourth chapter, the study shed the light on the architectural, scientific and religious implications of the migration of the Arab and Barbarian tribes to the western Sudan country.
3- The title of the second chapter was "Migration of the Arab and Barbarian tribes to the western Sudan country from the fifth century AH until the tenth century AH", where it contained four topics , the first topic dealt with the motives of the migration of Arab and Barbarian tribes to Western Sudan ,while the second topic dealt with the migration of Arab tribes and their origins and lineages, in the third

topic we discussed the migration of the barbarian tribes and their origins and lineages, and the fourth topic dealt with the individual migrations which included a personal migrations and family ones.

4- The third chapter has examined the political, economic and social effects of migration of Arab and Barbarian tribes to western Sudan country.

5- In the fourth chapter, the study focused on the architectural, scientific and religious effects of the migrations of Arab and Barbarian tribes into the western Sudan country.

The importance of this subject has given us an important results , that the migration of the Arab and barbarian tribes from the Islamic countries to the western Sudan country has been a key factor in transferring of cultural influences to these regions and did not stand as natural obstacle without the intellectual, political, cultural and religious consonance , the study proved that Arabs and barbarians with their different affiliations and origins, contributed greatly in developing the region and have introduced a new bloods that merged with the indigenous peoples.